

السيرة النبوية

لأبي شام

قدّم لها وعلّق عليها وضبطها

كاتبها المخلص

مستطاب

السيرة النبوية

لابن هشام

أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

قدم لها وعاق عليها وضبطها

ظهر البرزوقي

١

الجزء الرابع

From The Library of
Ismail Serageldin

دار الجيل
بيروت

طبعة جديدة
مضبوطة — منقحة

حقوق الطبع محفوظة

١٩٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عمرة القضاء

في ذى القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر، أقام بها شهرى ربيع وجماديين ورجبا وشعان [وشهر] رمضان وشوالا، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم. ثم خرج في ذى القعدة في الشهر الذى صد فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء، مكان عمرته التى صدوه عنها.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عوف بن الأعبط الديلى.

ويقال لها عمرة القصاص^(١)، لأنهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة في الشهر الحرام من سنة ست، فأقتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم، فدخل مكة في ذى القعدة، في الشهر الحرام الذى صدوه فيه، من سنة سبع.

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: فأنزل الله في ذلك: «والحرمات قصاص».

قال ابن إسحاق: وخرج معه المسلمون من كان صد معه في عمرته تلك، وهي سنة سبع، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، ونحو ذلك قريش بينها أن محمدا وأصحابه في عسرة وجهد وشدة.

(١) عمرة القصاص: وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى: «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص»، وهذه الآية فيها نزلت، فهذا الاسم أولى بها، وسميت عمرة القضاء. لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا عليها، لأنه قضى العمرة التى صد عن البيت فيها، فإنها لم تك فسدت بصددهم عن البيت، بل كانت عمرة تامة متبلة، حتى لأنهم حين حللوا رءوسهم بالحل احتملوا الريح، فألقته في الحرم، فهي معدودة في عمرته صلى الله عليه وسلم — وهي أربع: عمرة الحديبية. وعمرة القضاء، وعمرة الجمرات، والعمرة التى قرنها مع حجة في حجة الوداع فهو، أصح القولين أنه كان قارناً في تلك الحجة وكانت إحدى عمره عليه السلام في شوال كذا. روى عروة عن عائشة وأكث الروايات أنهن كن كلهن في ذى القعدة إلا التى قرن مع حجه، كذا روى الزهرى، وانفرد معمر عن الزهرى بأنه عليه السلام كان قارناً، وأن عمره كن أربعاً بعمرة القران.

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن ابن عباس ، قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطجع ^(١) بردائه ، وأخرج عضده اليماني ، ثم قال : رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن ، وخرج يهرول ^(٢) ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا وراه البيت منهم ، واستلم الركن اليماني ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرهما . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحى من قریش للذى بلغه عنهم ، حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها ، فصنت السنة بها .

= وأما حجاته عليه السلام فقد روى الترمذى أنه حج ثلاث حجرات ثنتين بمكة ، وواحدة بالمدينة وهى حجة الوداع ، ولا ينبغي أن يضاف إليه فى الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج من الناس إذا كان بمكة كما روى الترمذى ، فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج ، وكأله ، لأنه كان مغلوباً على أمره وكان الحج منقولاً عن وقته ، كما تقدم فى أول الكتاب ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ، ويؤخرونه فى كل سنة أحد عشر يوماً ، هذا هو الذى منع النبى — صلى الله عليه وسلم — أن يحج من المدينة ، حتى كانت مكة دار إسلام ، وقد كان أراد أن يحج مقفله من تبوك ، وذلك يائز فتح مكة بيسير ، ثم ذكر أن بقايا المشتركين يحجون ، ويطوفون عراة فأخر الحج ، حتى نبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وذلك فى السنة التاسعة ، ثم حج فى السنة العاشرة بعد اعفاء رسوم الشرك ، وانحسام سير الجاهلية ، ولذلك قال فى حجة الوداع : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .

والعمرة واجبة فى قول أكثر العلماء ، وهو قول ابن عمر وابن عباس ، وقال الشعبي : ليست بواجبة ، وذكر عنه أنه كان يقرؤها : « وأتموا الحج والعمرة لله » بالرفع — أى رفع لفظ العمرة على جعل « والعمرة لله » كلاماً مستأنفاً لا يعطفها على الحج ، وقال عطاء : هى واجبة إلا على أهل مكة ، ويكره مالك أن يعتصر الرجل فى العام مراراً ، وهو قول الحسن وابن سيرين ، وجهور العلماء على الإباحة فى ذلك ، وهو قول على وابن عباس وعائشة والقاسم بن محمد . قالوا : يعتصر الرجل فى العام ما شاء .

(١) اضطجع : أدخل الرءاء تحت إبطه الأيمن وغطى به الأيسر .

(٢) يهرول : من الهرولة وهى فوق المشى ودون الجرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام^(١) ناقته يقول :

خلوا بني الكفار عن سيده خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب لاني مؤمن بقيله أعرف حق الله في قبوله^(٢)
نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله^(٣)
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذلل الخليل عن خليله

قال ابن هشام : « نحن قتلناكم على تأويله ، إلى آخر الآيات ، لعابر بن ياسر في غير هذا اليوم^(٤) » ، والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقرأوا بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل .

زواج الرسول بميمونة : قال ابن إسحاق : وحدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح وبهاده أبي الحجاج ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث^(٥) في سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذي زوجه إياها العباس ابن عبد المطلب .

قال ابن هشام : وكانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، وكانت أم الفضل تحت العباس ،

(١) الخطام : حبل تقاد به الناقة .

(٢) قيله : قوله .

(٣) ويروى : اليوم نضربكم على تأويله بسكون الباء ، وهو جائز في الضرورة نحو قول امرئ القيس :

فاليوم أشرب شير مستقب

ولا يبعد أن يكون جائزاً في الكلام إذا اتصل بضمير الجمع ، فقد روى عن ابن عمر أنه كان يقرأ « يأمركم وينصركم » .

(٤) قالهما يرم صنفين ، وهو اليوم الذي قتل فيه عمار ، قتله أبو الغادية الفزارى وابن جزء اشتركا فيه .

(٥) وأما : هند بنت عوف الكنانية .

بجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس ، وزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأتاه حويطب بن عبد العزى ابن أبي قيس بن عبدود بن نضر بن مالك بن حسل ، في نفر من قريش ، في اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكنه بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ؛ فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك ، فأخرج عنا ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه قلوباً : لأحاجة لنا في طعامكم ، فأخرج عنا . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخف أبا رافع موله على ميمونة ، حتى أتاه بها بسرف^(١) ، فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذى الحجة .

(١) مكان قرب التنعيم وبسرف كانت وفاتها رضي الله عنها حين ماتت ، وذلك سنة ثلاث وستين ، وقبل سنة ست وستين ، وعلى عليها ابن عباس ، ويزيد بن الأصم : وكلاهما ابن أخت لها ، ويقال : فيها نزلت « وأمرأه مؤمنة إن ودبت نفسها للنبي ، في أحد الأقوال ، وذلك أن الخطاب جاءها ، وهي على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم . واختلف الناس في تزويجه إياها أكان محرماً أم حلالاً فروى ابن عباس أنه تزوجها محرماً ، واحتج به أهل العراق في تجويز نكاح المحرم ، وغالغهم أهل الحجاز ، واحتجوا بنهيه عليه السلام عن أن ينكح المحرم أو يُنكح ، وزاد بعضهم فيه : أو يخطب من رواية مالك ، وعارضوا حديث ابن عباس بحديث يزيد بن الأصم أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال ، وخرج الدارقطني والترمذي أيضاً من طريق أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة ، وهو حلال . وروى الدارقطني من طريق ضعيف عن أبي هريرة أنه تزوجها وهو محرم كرواية ابن عباس وفي مسند البزار من حديث مسروق وعائشة رضي الله عنها ، قالت : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو محرم ، واحتجم وهو محرم ، وإن لم تذكر في هذا الحديث ميمونة ، فنكاحها أراد ، وهو حديث غريب ، وخرج البخاري حديث ابن عباس ، ولم يعله هو ، ولا غيره ، وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال : خطب ابن عباس أو قال وهم ، ما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم إلا وهو حلال ، ولما أجمعوا عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم — وتزوجها محرماً ، ولم ينقل عنه أحد من المحدثين غير ذلك استغربت استغراباً شديداً ما رواه —

ما جاء من القرآن في حمة اللصبة : قال ابن مشام : فأُزِلَ الله عز وجل عليه ، فيما حدثني أبو عبيدة : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رموسكم ومقصرين لا يخافون ، فلم ما لم تعلموا ، لجعل من دون ذلك فتحا قريباً ، يعني خير .

ذكر غزوة مؤتة^(١)

في جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

قال ابن إسحاق : فأقام بها بقية ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، والمحرم وصفر وشهر ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد لجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

== الدارقطني في السنن من طريق أبي الأسود يقيم عروة ، ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة ، وهو حلال ، فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره ، فقف عليها ، فإنها غريبة عن ابن عباس ، وهناك من يتأول قول ابن عباس : تزوجها محرماً ، أى : في الشهر الحرام ، وفي البلد الحرام ، وذلك أن ابن عباس رجل عربي فصيح ، فتكلم بكلام العرب ، ولم يرد الإحرام بالحج ، وقد قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله مخذولاً

وذلك أن قتله كان في أيام التشريق ، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس ، أو لا .. عن الروض الأنف

(١) وهى مهموزة الواو ، وهى قرية من أرض البلقاء . من الشام ، وأما الموتة بلا همزة ، فضرب من الجنون وفى الحديث أن النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يقول فى صلاته : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ، وفسره راوى الحديث ، فقال : نفثه : الشعر ، ونفخه : الكبر ، وهمزه الموتة .

تجهز الناس ثم تهبوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلوا عليهم . فلما ودع عبد الله بن رواحة من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ؛ فقالوا : ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار ، وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ، فليست أدرى كيف لي بالصدر بعد الورود ؛ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين ؛ فقال عبد الله بن رواحة :

لكني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقلد الوبد^(١)
أوطنة يسدى حران مجزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبد^(٢)
حتى يقال إذا مروا على جدتي أرشده الله من غاز وقد رشدا^(٣)

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهبوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ، ثم قال :

فتبت الله ما آتاك من حسن تثبت موسى ونصراً كالذي نصروا
إني تفرست فيك الخير نافلة الله يعلم أني أباب البصر
أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدر

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات :

أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدر
فتبت الله ما آتاك من حسن في المرسلين ونصراً كالذي نصروا
إني تفرست فيك الخير نافلة فراصة خالفت فيك الذي نظروا
يعني المشركين ؛ وهذه الأبيات في قصيدة له .

(١) الفريغ : السمة . والزبد في الأصل الرغبة ، ويراد هنا شدة تدفق الدم .

(٢) المجزة : التي تجهز عليه ، أي تسرع في قتله .

(٣) الجدث : القبر .

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خلف السلام على امرئ ودعته في النخل خير مشيع ونخل

ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مأب ، من أرض البلقاء ، في مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من لحم وجذام والتقين وجرهاء وبلى مئة ألف منهم ، عليهم رجل من بلى ثم أحد لإراشة يقال له : مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره بعدد عدونا ، فإذا أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنضني له .

قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن أتى تكمهون ، لتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما تقال الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما تقاثلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانهلوا فإنما هي إحدى الحسينين إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة . فعضى الناس : فقال عبد الله بن رواحة في محبتهم ذلك :

جلبنا الخيل من أجلى وفتح ثغر من الحشيش لها العكوم^(١)
حذوناها من الصوان سبنا أرل كان صفحته أديم^(٢)

(١) أجأ : أحد جبلى طيء والجبلى الآخر سلى . وفتح : مكان بأجأ . ثغر : تطعم مرة بعد أخرى . والعكوم : جمع عكم وهو الجنب .

(٢) أى حذوناها نمالاً من حديد جعله سبناً لها ، مجازاً . وصوان من الصون ، أى : يصون حوافرها ، أو أخفافها ، إن أراد الإبل ، فهو فعال من الصون ، فقد كانوا يحذونها السريح وهو جلد يصون أخفافها ، وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوان بيس الأرض ، أى لا سبت له إلا ذلك ، ووزنه فعلان من قولهم : نحلة غاوية أى يابسة ، وأنشد أبو علي :

قد أوييت كل ماء فم صياوية

ويشهد لمعنى الصوان هنا قول النافذة الديبائى :

برى وقع الصوان حد نسورما

وعين الفعل فى صوان ولامه واو ، وأدخل صاحب الدين فى الصاد والواو والياء هذا =

أقامت ليتين على معان فأعقب بعد فترتها جوم^(١)
فرحنا والجياد مسومات تنفس في مناخرها السوم
فلا وأبي مآب لتأينها وإن كانت بها عرب وروم
نعبأنا أعتها لجاءت عوايس والغبار لها بريم^(٢)
بذى لجب كأن البيض فيه إذا برزت قوائسها النجوم^(٣)
فراضية الميشة طلقها أستها فتنكح أو تنيم^(٤)

قال ابن هشام : « و يروى : جلبنا الخيل من آجام قرح » ، وقوله : ، نعبأنا أعتها ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم ، قال : كنت يقباً لعبد الله بن رواحة في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك يردني على حمية رحله فوالله إنه ليسر ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

== اللفظ ، فقال : صوى يصوى : إذا يبس ، ونخلة صاوية ، ولو كان مما لأمه ياء ، لقل في صوان صيان ، فقليل طيان وريان ، ولكن لما انقلبت الواو ياء من أجل الكسرة ظن الحرف من ذوات الياء .

(١) معان بفتح الميم ، وهو اسم موضع ، وذكره البكري بضم الميم ، وقال : هو اسم جبل ، والمعان أيضاً : حيث تحبس الخيل والركاب ، ويجتمع الناس ، ويحوز أن يكون من أمعت للنظر ، أو من الماء المعين ، فيكون وزنه فعلا ، ويحوز أن يكون من العون ، فيكون وزنه مفعلا ، وقد جدس المعري هذه الكلمة ، فقال :

معان من أحبنا معان تجيب الصاهلات بها القيان
والفترة : السكون . الجوم : اجتماع القوة .

(٢) البريم في الأصل : الخيط المقتول الذي فيه لوانان مختلطان ، يريد أن لون الخيل اختلط بلون التراب .

(٣) بذى لجب : أى يحيش ذى لجب . واللجب اختلاط الأصوات . البيض ما يوضع على الرأس من الحديد ليحميه . والقوائس : أعلى البيض .

(٤) تنيم : تنبى دون زوج

إذا أدبني وحملت رحلى مسيرة أربع بعد الحساء^(١)
 فشانك أنعم وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلى ورائى
 وجاء المسلمون وغادرونى بأرض الشام مشتهى الثواء
 وردك كل ذى نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإغواء
 هنالك لا أبالى طلع بعل ولا نخسل أسافلها رواء^(٢)

فلما سمعتن منه بكيت . قال : تخففى بالدرة ، وقال : ما عليك بالكع^(٣) أن يرزقنى الله
 شهادة وترجع بين شعبى الرجل !

قال : ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يا زيد زيد اليعملات الذبل تطاول الليل هديت فانزل^(٤)

لقاء الروم وحلفائهم : قال ابن إسحاق : فضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم^(٥) البلقاء
 لقيتهم جموع هرقل ، من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا
 العدو ، واحراز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، فتعبا لها المسلمون ،
 فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عذرة ، يقال له : قطبة بن قنادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من
 الأنصار يقال له عباية بن مالك .

قال ابن هشام : ويقال عبادة بن مالك .

مقتل زيد بن حارثة : قال ابن إسحاق : ثم التقى الناس واقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة
 براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط^(٦) فى رماح القوم .

(١) الحساء . جمع حسى : ماء يخبث فى الرمل حتى يجد مكانا صلبا فيستقر

(٢) البعل : من يشرب بعروقه من الزرع دون رى .

(٣) الكع : اللئيم أو الأحمق .

(٤) اليعملات : التوق السريعة . والذبل : التى أهزلها السير .

(٥) التخوم : الحدود الفاصلة بين البلاد .

(٦) شاط : توزع .

مقتل جعفر : ثم أخذوا جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألهه (١) القتال اقتحم (٢) عن فرس له شقراء ، فمقرها (٣) ، ثم قاتل القوم حتى قتل . فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام .

وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي وكان أحد بني مرة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لكانني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
على إذ لاقيتها ضرابها

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أدل العلم : أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، ناحضته بعصديه حتى قل رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء (٤) . ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة ، فقطعه بنصفين .

(١) ألهه : وقع فيه فلم يجد له مخرجا .

(٢) اقتحم عن فرسه : رمى نفسه من عليها .

(٣) عقرها : ضرب قوائمها بسيفه . ولم يعبد ذلك عليه . فدل على جواره مخافة أن يأخذها العدو ، فيقاتل عليها المسلمين ، فلم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم ، وقتلها عبثاً . خير أن أبا داود خرج هذا الحديث فقال : حدثنا النفيلي قال : حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن ابن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال حدثني : أبي الذي أَرْضَعَنِي ، وهو أحد بني مرة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة مؤتة ، قال : والله لكانني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فمقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل .

قال : أبو داود : وليس هذا الحديث بالقوى ، وقد جاء فيه نهى كثير عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : دخلت الجنة البارحة ، =

مقتل عبد الله بن رواحة : قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي ، وكان أحد بني مرة بن عوف ، قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمت يا نفس لتنزله لتنزلن أو لشكره

فرايت جعفرًا يطير مع الملائكة ، وجناحاه مضر جان بالدم ، وعن سعيد بن المسيب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل لي جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة في خيمة من در على أسرة ، فرايت زيدا وعبد الله وفي أعناقهما صدود ، ورأيت جعفرًا مستقيمًا . فقيل لي : لئنهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما ، ومضى جعفر ، فلم يعرض ، وسمع النبي — صلى الله عليه وسلم — فاطمة حين جاء نعي جعفر تقول واعماه ، فقال : على مثل جعفر ، فلتبك البواكي . وكان أبو هريرة يقول : ما احتذى النعال ، ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر . وقال عبد الله بن جعفر : كنت إذا سألت عليًا حاجة ، فنغني أقسم عليه بحق جعفر فيعطيني .

ومما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يسبق إلى الوم على مثل جناحي الطائر وربشه ، لأن الصورة الآدمية أشرف الصور ، وأكملها ، وفي قوله عليه السلام : إن الله خلق آدم على صورته تشریف له عظيم ، وحاشا لله من التشبيه والتمثيل ، ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية ، أعطاها جعفر كما أعطيتها الملائكة ، وقد قال الله تعالى لموسى : « واضمم يدك إلى جناحك ، فعب عن العضد بالجناح توسعاً ، وليس ثم طيران ، فكيف بمن أعطى القوة على الطيران مع الملائكة أخلق به إذا : أن يوصف بالجناح مع كمال الصورة الآدمية وتمام الجوارح البشرية ، وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ، ولكنها صفات ملكية لا تُفهم إلا بالمعاني ، واحتجوا بقوله تعالى : « أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا ، ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ، ولا أربعة ، فكيف بستمائة جناح ، كما جاء في صفة جبريل عليه السلام ، فدل على أنها صفات لا تنضب كقيمتها للفكر ، ولا ورد أيضاً في بيانها خبر ، فيجب علينا الإيمان بها ، ولا يفيدنا علماً لأعمال الفكر في قيمتها ، وكل امرئ قريب من مساينة ذلك . انظر الروض الأنف بتحقيقنا

إن أجلب الناس وشدوا الرنة مال أراك تكرهين الجنة^(١)
قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا تطفه في شنة^(٢)

وقال أيضا :

يا نفس إلا تقتلى تموتى هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفصلي فعملها هديت

يريد صاحبه : زيدا وجعفرًا ؛ ثم نزل . فلما نزل أناه ابن عم له بقرق^(٣) من لحم فقال : شد بهذا صلبك ، فانك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم اتهم^(٤) منه نهسة ، ثم سمع الحطمة^(٥) في ناحية الناس ، فقال وأنت في الدنيا ١٢ ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل .

امارة محالد : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان ، فقال : يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم ، وخانى^(٦) بهم ، ثم انحاز وانحز عنه ، حتى انصرف بالناس .

الرسول يتنبأ بما حدث : قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر

(١) الرنة : صوت يشبه البكاء .

(٢) النطفة الماء القليل السافى . الشنة : السقاء البالى ، ضرب بذلك مثلاً بقصر العمر .

(٣) العرق : عظم عليه بعض اللحم .

(٤) اتهم : أخذ اللحم بمقدم أسنانه وتثنيه .

(٥) الحطمة : كسر الناس لبعضهم .

(٦) وانحازة . المحازة ، وهى مفاعلة من الخشية ، لأنه خشى على المسلمين لقلته عددهم فقد قيل : كان العدو مائتى ألف من الروم ، وخمسين ألفاً من العرب ، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين ، وفى قول ابن إسحاق : وكان العدو مائة ألف وخمسين ألفاً : وقد قيل : إن المسلمين لم يبلغ عددهم فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف ، ومن رواه حاشى بالحاء المهملة ، فهو من الحشى ، وهى الناحية ، وفى رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قتيبة فى المعارف أنه سئل عن قوله : حاشى بهم ، فقال : معناه : انحاز بهم .

فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ قال : ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الانصار ، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ ثم قال : لقد رفعوا إلى في الجنة ، فيما يرى النائم ، على سرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا ^(١) عن سريري صاحبه ، فقلت : عم هذا ؟ فقل لي : مضيا وتردد عبد الله بعين التردد ، ثم مضى :

حزن الرسول على جعفر : قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أم عيسى الخزاعية ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس ، قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دبغت أربعين منا — قال ابن هشام : وروى أربعين منيثة — وعجنت عجني ، وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم . قالت : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتليني بنبي جعفر ؛ قالت : فأتيته بهم ، فتشمهم وذرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم . قالت : فقامت أجمع ، واجتمعت إلى النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم ^(٢) .

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أتى نبي جعفر عرفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، إن النساء ~~ههنا~~ وفتنا ؛ قال فارجع إليهن فأسكنهن . قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك — قاله : تقول وربما ضر النكف أهله — قالت : قال :

(١) الازورار : الميل

(٢) وهذا أصل في طعام التعزية وتسمية العرب الوضيعة ، كما تسمى طعام العرس الوليمة ، وطعام القادم من السفر ، النعيقة ، وطعام البناء الوكيرة ، وكان الطعام الذي صنع لآل جعفر فيما ذكر الزبير ، في حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال : فعمدت سلى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى شعير ، فطاحتها ، ثم آدمته بنيت وجعلت عليه فلفلا ، قال عبد الله ، فأكلت منه ، وحسبني النبي صلى الله عليه وسلم مع إخوتي في بيته ثلاثة أيام .

فأذهب فأسكنهن ، فإن آيين فاحت في أفواههن التراب ، قالت : وقلت في نفسي : أبعدك الله ! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لا يقدر على أن يمحي في أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قطبة بن قتادة العذري ، الذي كان على مينة المسلمين ، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله ، فقال قطبة بن قتادة :

طلعت ابن زافلة بن الإرا ش برمح مضى فيه ثم انحطم
ضربت على جيده ضربة فال كما مال غصن السلم^(١)
وسقنا نساء بني عمه غداة رقوقين يحوق النعم^(٢)

قال ابن هشام : قوله : « ابن الإراش » ، عن غير ابن إسحاق .

والبيت الثالث عن خلاد بن قرة ؛ ويقال : مالك بن رافلة .

ما قالته كاهنة حدس : قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت بمحيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا ، قد قالت لقومها من حدس ، وقومها بطن يقال لهم بنو غنم — أنذرکم قوما خرزاً^(٣) ، ينظرون شوراً^(٤) ، ويقودون الخيل تترى ، ويهريقون دما عكراً . فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لحم ؛ فلم تزل بعد أترى حدس . وكان الذين صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدس ، فلم يزالوا قليلا بعد . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا .

الرسول يلتقي بالأبطال : قال ابن إسحاق : لخدمني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير ، قال : لما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون . قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، أعطوني ابن جعفر ، فأتى بعبد الله فأخذه لحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويقولون يا فرار ، فررتم في سبيل الله ! قال :

(١) السلم : شجر العضاة . نوع من الأشجار تؤخذ منه الصبغة .

(٢) رقوقين : اسم موضع . (٣) الخور : من يضيقون عيونهم وينظرون .

(٤) الشور : نظر العداوة .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى (١) .
قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض
آل الحارث بن هشام : وهم أخواله ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :
قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة : مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج
صاح به الناس يا فرار ، فررت في سبيل الله ، حتى قعد في بيته فما يخرج .
ما قبل من الشهرة مخوفة مؤنة : قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر
خالد وعشائته بالناس وانصرافه بهم ، قيس بن المسحور البعري ، يعتذر عما صنع يومئذ
وصنع الناس :

فوالله لا تنفك نفسي تلومني	على موقفي والحيل قابعة قبلي (٢)
وقفت بها لا مستجيها فنافذاً	ولا مانعاً من كان حم له القتل
على أنني آسيت نفسي بخالد	ألا خالد في القوم ليس له مثل
وجاشت إلى النفس من نحو جعفر	بؤنة إذ لا ينفع البابل التبل
وضم إلينا حجزتهم كليهما	مهاجرة لا مشركون ولا عزل (٣)

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ،
وحقق انحياز خالد بمن معه .

قال ابن مشام : فأما الزهري فقال فيما بلغنا عنه : أمر المسلمون طهيم خالد بن الوليد ،
ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى قفل إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) ورواية غير ابن إسحاق أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : نحن الفرارون يا رسول
الله ؟ فقال : بل أتم الكرارون ، وقال لهم : أنا فتنكم ، يريد : أن من فر متحيزاً إلى فئة
المسلمين فلا حرج عليه ، وإنما جاء الوعيد فيمن فر عن الإمام ، ولم يتحيز إليه ، أي لم يلجأ إلى
حوزته ، فيكون معه ، فالتحيز متفيعل من الحوز ، ولو كان وزنه متفعلاً كما يظن بعض
الناس لقليل فيه : متحوز : وروى أن عمر رضى الله عنه حين بلغه قتل أبي عبيد بن مسعود
وأصحابه في بعض أيام القادسية ، قال : هلا تحيزوا إلينا ، فإنما فئة لكل مسلم .

(٢) القبل : إقبال تضر كل من العيتين على الآخر .

(٣) حجزتهم : فاصبتهم .

قال ابن إسحاق : وكان عما يكي به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قول حسان بن ثابت :

تأويني ليل يثرب أعسر	وم إذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي عبرة	سفوحا وأسباب البكاء التذكر
بل إن فقدان الحبيب بلية	وكم من كريم يتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا	شعوب وخلفاء بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا	بؤة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا	جميعا وأسباب للنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم	إلى الموت ميمون النية أزهـر
أغر كضوء البدر من آل هاشم	أبي إذا سيم الظلامه بحـر
فطاعن حتى مال غير موسى	لمعترك فيه قنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه	جنان وملف الحدائق أخضر
وكان نرى في جعفر من محمد	وفاء وأمراً حازما حين يأمر
فارال في الإسلام من آل هاشم	دعائم عز لا يُزلن ومفخر
هم جبل الإسلام والناس حولهم	رضام إلى طود يروق ويقهر ^(١)
بهاليل منهم جعفر وابن أمه	على ومنهم أحمد المنخير ^(٢)
وحمة والعباس منهم ومنهم	عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللاواء في كل مأزق	عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر ^(٣)
هم أولياء الله أنزل حكمه	عليهم ، وفيهم ذا الكتاب المطهر

وقال كعب بن مالك :

قام العيون ودمع عينك يهمل	سحا كما وكف الطباب المنخل ^(٤)
في ليلة وردت على همومها	طوار أحن وتارة أتلعل

(١) الرضام : الحجارة المرصومة ، وهي المجموعة فوق بعضها . الطود : الجبل .

(٢) بهاليل : السادة . (٣) العماس : المظلم .

(٤) الطباب : جمع طبابة ، وهي سير بين خريزتين في المزاودة ، فإذا كان غير محكم وكف منه الماء .

واعتادنى حزن فبت كأننى
وكأنما بين الجوانح والحشى
وجئدا على نفر الذين تابخوا
صلى الإله عليهم من فنية
صبروا بمؤنة للإله نفوسهم
فضوا أمام المسلمين كأنهم
إذ يهتدون بمجهر ولوائه
حتى تفرجت الصفوف وجعفر
فتغير القمر المنير لفقده
قمر علا بنيانه من هاشم
قوم بهم عصم الإله عباده
فضلوا المعاشر عزة وتكرما
لا يطلقون إلى السفاه مجام
بيض الوجوه ترى بطون أكفهم
وجديهم رضى الإله لخلقهم

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر
ولقد جزعت وقلت حين نعتلى
بالبيض حين تسلى من أغمارها
حب النبی على البرية كلها
من للجلاد لدى العقاب وظلها^(٥)
ضربا وإنهال الرماح وعلها^(٦)

(١) بنات نعش نوعان : الكبرى وهى سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالى .
والأخرى : سبعة كواكب قرب بنات نعش الكبرى . والسماء : هما سما كان . نجمان بيران
أحدهما فى الشمال ويعرف « بالراح » ، والثانى فى الجنوب ويعرف « بالأعزل » . والمعنى أنه
من طول سهره بات يرعى النجوم .

(٢) الفتق : فحول الإبل : المرذل : السابغ .

(٣) الوعث : الالتحام . (٤) قمر : سيد .

(٥) العقاب : اسم رواية من رايات الرسول عليه السلام .

(٦) الإنهال : الشرب الأول . وعلها : شربها الثانى

بعد ابن فاطمة المبارك جعفر
 رزما وأكرمها جميعا محمدا
 للحق حين ينوب غير تحل
 لخشا، وأكثرها إذا ما يمتدى
 بالعرف غير محمد لأمثله
 خير البرية كلها وأجلها :
 وأعزها متظلا وأذلها :
 كذبا ، وأنداما يدا ، وأقلها : (١)
 فضلا ، وأبذلها ندى ، وأهلها : (٢)
 حتى من أحياء البرية كلها
 وقال حسان بن ثابت في يوم مؤنة يكي زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة :
 حين جودى بدمعك المزور
 واذكري مؤنة وما كان فيها
 حين راحوا وغادروا ثم زيدا
 حب خير الأنام طرا جميعا
 واذكري في الرعاء أهل القبور (٣)
 يوم راحوا في وقعة التغير
 نعم مأوى الضريك والمأسور (٤)
 سيد الناس حبه في الصدور

(١) في هذا البيت والبيتين اللذين قبله والبيت الذي بعده مضمين ، فقوله : وأذلها ، ثم قال في أول بيت آخر : الحق ، وكذلك قال في البيت الآخر : وأقلها ، وقال في الذي بعده لخشا . . . وذكر قدامة في كتاب نقد الشعر أنه عيب عند الشعراء ، ولعمري إن فيه مقالا ، لأن آخر البيت يوقف عليه ، فيوم الذم في مثل قوله : وأذلها ، وكذلك . وأقلها ، وقد غلب الزبرقان على الخبل السدى بكمة قالها وإن كان الخبل أشعر منه ، ولكنه لما قال يهجو :

وأبوك بدر كان ينهر الحصى وأبي الجواد ربيعة بن قتال

وصل الكلام بقوله : وأبي ، فقال له الزبرقان : لا بأس إذا ، فضحك من الخبل ، وغلب عليه الزبرقان ، وإذا كان هذا ممياً في وسط البيت ، فاحرى أن يعاب في آخره ، إذا كان يرمم الهم ولا يتدفع ذلك لوم إلا بالبيت الثاني ، فليس هذا من التحسين على المعاني والنزول للاعتراض .

(٢) الاجتهاد طلب المعروف .

(٣) الدور : القليل ، ولا يحسن ههنا ذكر القليل ، ولكنه من نزلت الرجل إذا ألححت عليه ، ونزلت النوى ، إذا استنفدته ومنه قول عمر - رحمه الله - نزلت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والأصح فيه التخفيف .

قال الشاعر :

لقد صغر من تهواه لا تنزله
 فعند بلوغ الكدر تق المشارب

(٤) الضريك : الفقير .

ذاك حزنى له معاً وسرورى
إن زيدا قد كان منا بأمر
ثم جودى للخزرجى بدمع
قد أتنا من قتلهم ما كفانا
ليس أمر المكذب المغرور
سيدا كان ثم غير نؤور^(١)
فبحزن نيت غير سرور

وقال شاعر من المسلمين من رجع من غزوة مؤتة :

كنى حزناً أنى رجعت وجعفر
وزيد وعبدالله فى رص أقبُر
قمضوا نجهم لما مضوا لسبيلهم
وخلفت للبلوى مع المتغير^(٢)
ثلاثة رمط قدموا فتقدموا
إلى ورد مكروه من الموت أحر

تسمية شهداء مؤتة : وهذه تسمية من استشهد يوم مؤتة .

من قريش ، ثم من بنى هاشم : جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، وزيد بن حارثة رضى الله عنه .

ومن بنى عدى بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة .

ومن بنى مالك بن حسل : وهب بن سعد بن أبى مرح .

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخزرج : عبدالله بن رواحة ، وعباد بن قيس .

ومن بنى مُثَمِّن بن مالك بن النجار : الحارث بن النعمان بن أساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم .

ومن بنى مازن بن النجار : سراقه بن عمرو بن عطية بن خنساء .

قال ابن هشام : ومن استشهد يوم مؤتة ، فيما ذكر ابن شهاب :

من بنى مازن بن النجار : أبو كليب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مذبذول وهما

لاب وأم .

ومن بنى مالك بن أفضى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر

ابن ثعلبة بن مالك بن أفضى .

قال ابن هشام : ويقال أبو كلاب^(٣) وجابر ، ابنا عمرو .

(٢) المتغير : الباقي .

(١) الترويض قليل العطاء

(٣) وهو المعروف عندهم وقيل أبو كليب ، قال أبو عمر : لا يعرف فى الصحابة أحد يقال

له : أبو كليب

ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة، وذكر فتح مكة

في شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثه إلى مؤتة جادى الآخرة ورجبا .

ما وقع بين بني بكر وخزاعة : ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوثير ، وكان الذى هاج مابين بني بكر وخزاعة أن رجلا من بني الحضرمي ، واسمه مالك بن عباد — وحليف الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رزن^(١) — خرج تأجرا ، فلما توسط أرض خزاعة ، عدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنو الأسود ابن رزن الديلي — وهم منخر بنو كنانة وأشرافهم — سلبى وكلثوم وذؤيب — فقتلوه برفة عند أنصاب الحرم^(٢) .

قال ابن إسحاق . وحدثني رجل من بني الديل ، قال : كان بنو الأسود بن رزن يودون في الجاهلية ديتين ديتين ، وفودى دية دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق : فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، كان فيما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حطرت لهم ، كما حدثني الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن عخرمة ومروان بن الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ؛ فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهدنة اغتصمها بنو الديل من بني بكر من خزاعة ، وأرادوا

(١) ذكر الشيخ الحافظ أبو بھر أن أبا الوليد أصلحه : رزنا بكسر الراء ، قال : والرزن : نقرة في حجر يمسك الماء ، وفي كتاب العين : الرزن أكمة تمسك الماء ، والمعنى متقارب ، وذكر أن بنو رزن من بني بكر ، وقد قبل فيه : الدئل .

(٢) أنصاب الحرم هنا : حجارة توضع بين الحل والحرم للفصل بينهما .

أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم بنى الأسود بن رزن، فخرج نوفل ابن معاوية الديلي في بنى الديل، وهو يومئذ قائم، وليس كل بنى بكر تابعه حتى بيئت خزاعة وهم على الوثير، ماء لهم، فأصابوا منهم رجلاً، وتحاوزوا واقتلوا، ورفدت بنى بكر قريش بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً، حتى حازوا (١) خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه، قالت بنو بكر: يا نوفل، إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك، فقال: كلمة عظيمة، لا إله له اليوم، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم، فلمعري إنكم لتسرقون؛ في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه؟ وقد أصابوا منهم ليلة بيتوم بالوثير رجلاً يقال له منبه وكان منبه رجلاً مفتوداً (٢) خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد، وقال له منبه: يا تميم، انج نفسك فأما أنا فوالله إنى لميت، قتلوني أو تركوني، لقد انبت (٣) فؤادى، وانطلق تميم فأفكت، وأدركوا منها فقتلوه، فلما دخلت خزاعة مكة، لجثوا إلى دار بديل بن ورقاء، ودار مولى لهم يقال له رافع؛ فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبه:

لما رأيت بنى نفاثة أقبلوا	يغشون كل وتيرة وحجاب (٤)
صخرأ ورزنا لاعريب سوام	يُزْجُون كل مقاص خناب (٥)
وذكرت ذحلا عندنا متقادما	فيما مضى من سالف الأحقاب (٦)
ونشيت ربيع الموت من تلقائهم	ورهبى وقع مهند قضاب (٧)
وعرفت أن من يتقفوه يتركوا	لها لجرية وشلو غراب (٨)
فوت رجلا لأخاف عثارها	وطارحت بالمتن العراء ثيابى (٩)
ونجوت لا ينجو نجاتى أحقب	علج أقب مشمر الأقراب (١٠)

-
- (١) حازوا: ساقوا .
 (٢) مفتودا: ضعيف الفؤاد .
 (٣) انبت: انقطع .
 (٤) الوتيرة: الأرض الممتدة . الحجاب: ما اطمأن من الأرض .
 (٥) لاعريب: لا أحد . المقاص: الفرس طويل القوائم، منضم البطن . الخناب:
 واسع المنخرين . (٦) الذحل: طلب النار . (٧) نشيت: شممت .
 (٨) لجرية: اللبوة التى لها جراء أى أبناء، الشلو: بقية الجسد .
 (٩) المتن: ظهر الأرض .
 (١٠) نجوت: أسرعت . والأحقب: حمار الوحش أبيض العجز . علج: غليظ . أقب:
 ضامر البطن . مشمر الأقراب: منقيض الخواصر .

تلحى ولو شهدت لكان تكثيرها بولاً يبل مشافر القتباق (١)
 القوم أعلم ما تركت منها عن طيب نفس فأسأل إلى أصحابي
 قال ابن مشام : وتروى لحبيب بن عبد الله الأعمى الهذلي . وبنيته : « وذكرت ذحلاً
 عندنا متقادماً ، عن أبي عبيدة ، وقوله « خباب ، و « عالج أقب مشعر الأقارب ، عنه أيضاً .
 قال ابن إسحاق : وقال الآخرز بن لعط الدبلي ، فيما كان بين كنانة وخزاعة في
 تلك الحرب :

الاهل أتى قصوى الاحايش أنا	رددنا بني كعب بأفوق ناضل (٢)
حبناهم في دارة العبد رافع	وعند بديل محبسا غير طائل
بدار الذليل الآخذ الضيم بعدما	شفينا النفوس منهم بالمناصل
حبناهم حتى إذا طال يومهم	نفخنا لهم من كل شعب بوابل (٣)
نذبهم ذبح التيس كأتنا	أسود تبارى فيهم بالقواصل
هم ظلمونا واعتدوا في مسيرهم	وكانوا لدى الانصاب أول قاتل
كأنهم بالجزع إذ يطردونهم	قفائور حقان النعام الجواصل (٤)

- (١) تلحى : تلوم ، للمشافر : الجوانب . القتباق : الفرج .
 (٢) الاحايش : من تعاهدوا مع قریش وليسوا منهم . الأفوق : السهم الذى انكسر
 طرفه الذى على الوتر . والبائل : الذى زال نصله .
 (٣) نفخنا : وسعنا . والشعب : ما استوى بين الجبلين . الوابل : فى الاصل المطر الشديد
 وأراد به هنا الدفعة من الحبل .
 (٤) الجزع : ما انعطفت من الوادى . قفائور ، يعنى : الجبل ، وقفا ظرف الفعل الذى
 قبله ، وقال : قفائور : ولم ينون لانه اسم علم مع ضرورة الشعر ، قيل ، ولو قال : قفائور
 بنصب الواو ، وجعله غير منصرف ، لم يبعد لأن مالا تتوين فيه ، وهو غير معروف بألف
 ولام ولا إضافة ، فلا يدخله الحذف لئلا يشبه ما يضيفه المتكلم إلى نفسه ، وقفائور بهذا
 اللفظ تحيد فى الأصل ، وظاهر كلام البرقي فى شرح هذا البيت أنه بقاءور . لانه قال :
 القائور سيدهم الفضة ، وكأنه شبه المكان بالفضة لثقائه واستوائه ، فإن كانت الرواية
 كما قال ، فهو اسم موضع ، والقائور : خوان من فضة ، ويقال : إبريق من فضة . قيل -
 ذلك فى قول جميل :

وعدركفائور العجى وجيد

فاجابه بديل بن عبد مناة بن سلة بن عمرو بن الاشب ، وكان يقال له : بديل بن أم
أصرم ، فقال :

تفاقد قوم يفخرون ولم تدع	لهم سيذا يندوم ^(١) غير نافل ^(١)
أمن خيفة القوم الالى تزدريهم	تحمز الوثير خانقا غير آئل ^(٢)
وفي كل يوم نحن نجبر حباءنا	لعقل ولا يمحي لنا في المعائل ^(٣)
ونحن صبحنا بالتلاعة داركم	بأسيافا يسبقن لوم العواذل
ونحن منعنا بن يعض وعشود	إلى خيف رضوى من حجر القنابل ^(٤)
ويوم الغميم قد تسكفت ساعيا	عيس فجناء بجلد ملحال ^(٥)
إلا أجمرت في بيتها أم بعضكم	بجموسها تنزون أن لم تقائل ^(٦)

= وفي قول لبيد :

حقائبهم راح عتيق ودرمك ومسك وفائورية وسلاسل
وكما قال البرقي : ألفيته في نسخ صحيحة سوى نسخة الشيخ ، وإن صح ما في نسخة الشيخ
فهو كلام حذف منه ومعناه : قفا فائور ، وحسن حذف الفاء الثانية ، كما حسن حذف اللام
الثانية في قولهم : علاه بنى فلان لاسيا مع ضرورة الشعر ، وترك الصرف ، لأنه جعله اسم
بقعة ، ومن الشاهد على أن فائور اسم بقعة قول لبيد :

ويوم طعنتم فاسمعت وفودكم بأجماد فائور كريم مصابر
أى أنا كريم مصابر ، ولذلك قال البكري ولم يذكر فيه اختلافا . وقال هو اسم جبل
يعنى فائور وقال ابن مقبل :

حى محاضرم شتى وجمعهم دوم الإياد ، وفائور إذا اتجمعوا
وقال لبيد :

ولدى النمان منى موطن بين فائور أفاق فالدخل
وحفان النعام : صغارها ، وهو مرفوع لأنه : بر كان عن السيل .
(١) يندوم : يجمعهم في النادى . (٢) الوثير : ماء لحزاعة . (٣) نجبو : نعطى .
(٤) يعض : منازل بنى كنانة . والعشود : ماء لهم . الخيف : ما انحدر من الجبل . رضوى
جبل بالمدينة .

(٥) الغميم : مكان بين مكة والمدينة . تسكفت : حاد . عيس : اسم رجل . الملحال : السيد
(٦) الجموس : العنزة . أجمرت : ضرب من الحدث يسبح وصفه ويقبح .

كذبتم وبيت الله ما إن قتلتم ولكن تركنا أمركم في بلابل^(١)
قال ابن هشام : قوله « غير نافل » ، وقوله « إلى خيف رضوى » عن غير ابن إسحاق .
قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت في ذلك :

لما الله قوما لم تدع من سرائهم لم أحدا يندوهم غير ناقب
أخصي حارمات بالأمس نوفلا متى كنت مفلحا عدو الحقائب
خزاعة تستنجد بالرسول : قال ابن إسحاق : فلما نظامت بنو بكر وقريش على خزاعة
وأصابوا منهم ما أصابوا ، وتقتضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاد
والميثاق بما استحلوا من خزاعة ، وكانوا في عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ، ثم
أحد بني كعب ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح
مكة ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهري الناس ، فقال :

يا رب إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الاتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ثم أسلنا فلم نزع يدا^(٢)
فانصر هداك الله نصر اعتدا وانص عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا - إن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجرى مربدا إن قريشا أخلفوك الموعدا
وتقتضوا ميثاقتك الموعدا وجعلوا لي في كداء وعددا
وزعوا أن لست أدعو أحدا وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركمما وسجدا
يقول : قتلنا وقد أسلنا .

قال ابن هشام : ويروى أيضا :

فانصر هداك الله نصر أيدا

قال ابن هشام : ويروى أيضا :

نحن ولدناك فكنت ولدا

(١) البلابل : وساوس الأفكار .

(٢) يريد أن بني عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك : قصي أمه : فاطمة بنت سعد
الخزاعية ، والولد بمعنى الولد : وقوله : ثم أسلنا . هو من السلم لأنهم لم يكونوا آمنوا
بعد ، غير أنه قل : ركمما وسجدا ، فدل على أنه كان فيهم من صلى لله ، فقتل ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصرت ياعمرو بن سالم . ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان^(١) من السماء ، فقال : إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب .

ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى نكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : كأنتكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ، ويزيد في المدة . ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان ، قد بعثه قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليشد العقد ، ويزيد في المدة ، وقد رهبوا الذي صنعوا : فلما لقي أبو سفيان بديل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : تسيرت في خزاعة في هذا الساحل ، وفي بطن هذا الوادي ؛ قال : أو ماجئت محمداً ؟ قال : لا ؛ فلما راح بديل إلى مكة ، قال أبو سفيان : لئن جاء بديل المدينة لقد عاف بها النوى ، فأتى مبرك راحلته ، فأخذ من بحر ما ففته ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً .

أبو سفيان يطلب الصلح : ثم خرج أبو سفيان حتى قدام على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان ؛ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فقال : يا بنية ، ما أدرى أرغبت في عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ، فلم يرد عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبي بكر ، فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوافقه لم ولم أجد إلا الذر لجامدكم به . ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ، وعندها حسن بن علي ، غلام يدب بين يديها ، فقال : يا علي ، إنك أمس القوم بن رحما ، وإني قد جئت في حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لي إلى رسول الله ، فقال : ويحك يا أبا سفيان والله لقد هزم رسول

الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه : فالتفت إلى فاطمة فقال : يا أبا محمد ، هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجبر بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغنى ذلك أن يجبر بين الناس وما يجبر أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) قال : يا أبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدت على ، فاصبرنى ، قال : والله ما أعلم لك شيئاً ، ولكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك ، قال : أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً ؟ قال : لا والله ، ما أظنه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان فى المسجد ، فقال : أيها الناس ، إنى أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما رد على شيئاً ، ثم جئت ابن أبى قحافة ، فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب ، فوجدته أدنى العدو .

قال ابن هشام : أعدى العدو .

قال ابن إسحاق : ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم ، وقد أشار على بشيء صنعته ، فوالله ما أدري هل يعنى ذلك شيئاً أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجبر بين الناس ، نفعلت ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال لا ، قالوا . وياك والله إن زاد الرجل على أن لعب بك فإيغى عنك ما قلت : قال : لا والله ، ما وجدت غير ذلك .

الاستعداد للفتح مكة : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها ، وهى تحرك بعض جهاز رسول الله

(١) وقد ذكر أبو عبيد هذا محتجاً به على من أجاز أمان الصبي وجواره ، ومن أجاز جواز الصبي إنما أجاهه إذا عقل الصبي ، وكان كالمراهق .

وقولها : ولا يجبر أحد على رسول الله ، وقد قال عليه السلام : يجبر على المسلمين أدناهم ، فعنى هذا — والله أعلم — كالعبد ونحوه يجوز جواره ، فيما قل ، مثل أن يجبر واحداً من العدو أو نفراً يسيراً ، وأما أن يجبر على الإمام قوماً يريد الإمام غزوهم وحرهم ، فلا يجوز ذلك عليهم ، ولا على الإمام ، وهذا هو الذى أرادت فاطمة — رضى الله عنها — والله أعلم ، وأما جوار المرأة وتأمنها لجائز عند جماعة الفقهاء إلا سحنون وابن الماجشون ، فإنهما قالوا : هو موقوف على إجازة الإمام ، وقد قال عليه السلام لأم هانئ : نكحتك أجراً من أجرت يالأم هانئ ، وروى معنى قولها عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد . وأما جوار العبد ، فالحق إلا عند أن حنيفة ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : «موجبر على المسلمين أدناهم» يدخل فيه العبد والمرأة .

صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أى بنية : أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز ؛ قال : فأين تريته يريد ؟ قالت : لا والله ما أدرى . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتبؤ ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها . فتجهز الناس .

فقال حسان بن ثابت يمرض الناس ، ويذكر مصاب رجال خزاعة :

ضاني ولم أشهد بيطحاء مكة	رجال بنى كعب تمز رقابها
بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم	وقتل كثير لم تهن ثيابها ^(١)
ألا ليت شعري هل تالان نصرتي	سبيل بن عمرو وخزما وعقابها
وصفوان عودحن من شفر وراسته	فهذا أوان الحرب شد عصابها
فلا تأمنا يا بن أم مجالد	إذا احتلبت صرفا وأعصل نأبها ^(٢)
ولا تجهزوا منا فإن سيوفنا	لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن هشام : قول حسان : يا أيدي رجال لم يسلوا سيوفهم ، يعنى قريشا ، وابن أم مجالد ، يعنى عكرمة بن أبي جهل .

حاطب بن عبد الله أهل مكة : قال ابن إسحاق . وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير وذويه عن عبد الله بن عتبة ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لي غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب ، ومجهل لما مجهلا حتى أن تبلفه قريشا ، فحمله في رأسها ، ثم قتلت عليه قرونها ، ثم خرجت به : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم فخرجوا حتى أدركاها بالحليقة ، فحليقة بنى أبي أحد ، فاستزلاما ، فالتصاه في رحلها ، فلم يجدوا شيئا ، فقال لها على بن أبي طالب : إني أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) تهن : تستر ، يريد أنهم قتلوا ولم يستروا بالدين .

(٢) أعصل : أخرج .

عليه وسلم ولا كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك . فلما رأت الجدة منه ، قالت : أعرض ، فأعرض ، لحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فألقى به رسول الله صلى الله عليه وسلم : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا ، فقال : يا حاطب ، ما حلك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى مؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأة آليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب ، يا رسول الله ، دعنى فلا تضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم . فأنزل الله تعالى فى حاطب : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » . . إلى قوله . « لقد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده » . إلى آخر القصة .

خروج الرسول إلى مكة . قال ابن إسحاق . وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم ، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى ، وخرج لعشر مضي من رمضان ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد ، بين عسفان وأبج أنظر .

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مر الظهران فى عشر آلاف من المسلمين ، فسيبت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم ، وألفت مزينة (١) ، وفى كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران ، وقد عميت الأخبار عن قريش ، فلم يأتهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يدرون ما هو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به ، وقد كان العباس بن عبد المطلب اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق .

قال ابن هشام : لقيه بالبحفة مهاجرا بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقبلا بمكة على سقايته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض ، فيما ذكر ابن شهاب الزهرى .

(١) سبعت : صارت سبيحة . وألفت : صارت ألفا .

إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية: قال ابن إسحاق: وقد كان أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بنيق العنتاب، فيما بين مكة والمدينة، فالتقيا الدخول عليه، فسكته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، بن عمك وابن عمك وصهرك، قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمي وصهرى فهو الذى قال لي بكفة ما قال. قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بن له (١). فقال: والله ليأذن لي أو لآخذن يدي بنى هذا، ثم لبذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لهما، ثم أذن لهما: فدخلا عليه، فأسلما.

وأشدد أبو سفيان بن الحارث قوله فى إسلامه، واعتذر إليه بما كان مضى منه، فقال:

لعمرك إني يوم أحمل راية	لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالدج الحيران أظلم ليله	فهذا أواني حين أُمُدى وأهتدى
هداني هاد غير نفسي وثالي	مع الله من طردت كل مطرد
أصد وأناى جامداً عن محمد	وأدعى وإن لم أنسب من محمد
هم ما هم من لم يقل بهوام	وإن كان ذا رأى يلم ويفند (٢)
أريد لأرضهم ولست بلائط	مع القوم ما لم أهد فى كل مقعد (٣)
فقل لتقيف لا أريد قتالها	وقل لتقيف تلك: غيى أوعدى
فما كنت فى الجيش الذى نال عامراً	وما كان جرأ لسانى ولا يدي (٤)
قبائل جاءت من بلاد بيسنة	نزاع جاءت من سهام وسرد

قال ابن هشام: ويروى «ودلى على الحق من طردت كل مطرد».

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين أشدد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

-
- (١) لعله يكون جعفرًا، فقد كان آنذاك غلاماً مدركا وشهد مع أبيه حينئذ ومات فى خلافة معاوية.
- (٢) يفند: يكذب.
- (٣) لاط: لصق.
- (٤) جرا: جراء.

« ونالني مع الله من طردت كل مطرد ، ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره ،
وقال : أنت طردتني كل مطرد .

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب : فقلت :
واصبح قريش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه ،
لأنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر . قال : جلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ،
فخرجت عليها . قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعل أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو
ذا حاجة يأتي مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لينخرجوا إليه فيستأمنوه
قبل أن يدخلها عليهم عنوة . قال : فوالله إني لأسير عليها ، وألتبس ما خرجت له ، إذ سمعت
كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء ، وهما يتراجمان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالبيلة تيرانا
قط ولا عسكريا ، قال : يقول بديل : هذه والله خراعة حشنتها ^(١) الحرب . قال : يقول
أبو سفيان : خراعة أذل وأقل من أن تكون هذه تيرانها وعسكرها ؛ قال : فعرفت صوته ؛
فقلت : يا أبا حفصة ، عرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : مالك ؟
بذاك أبي وأمي ؛ قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ،
واصبح قريش والله . قال : فما الحيلة ؟ فذاك أبي وأمي ؛ قال : قلت : والله لئن ظفر بك
لبضرب عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه
لك ؛ قال : فركب خلفي ورجع صاحبه ؛ قال : لجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين
قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عليها ، قالوا : عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار من نيران أصحاب رضى الله عنه ، فقال : من
هذا ؟ وقام إلي ؛ فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة ، قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذي
أمكن بخير منك عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة ،
فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء . قال : فاقترحت عن البغلة ، فدخلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان أمكن الله منه
بخير عقد ولا عهد ، ندعني فلا ضرب عنه ، قال : قلت : يا رسول الله ، إني قد أجرتك ، ثم جلست
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا ينجيه الليلة دوني رجل ؛
فلما أكثر حمري شأنه ، قال : قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من بني عدى بن كعب ما قلت

(١) حفنها : أحرقتها .

هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف ، فقال : مهلا يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتني به ، قال : فذهبت به إلى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ، ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بلى أنت وأمي ، ما أحملك وأكرمك وأوصلك ، والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بلى أنت وأمي ، ما أحملك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً ، قال : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب ليصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباس ، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل ^(١) ، حتى تمر به جنود الله ويراهما . قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي ، حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه .

عرض الجيش على أبي سفيان : قال : ومرت القبال على رايها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالي وسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : مالي ولمزينة ، حتى نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا يسألني عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالي ولبي فلان ، حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال الحارث بن حذافة الشكري :

ثم محجراً عنى ابن أم قطام وله فارسية خضراء

يعنى الكتيبة وهذا البيت في قصيدة له ، وقال حسان بن ثابت الانصاري :

(١) الخطم : الأنف ، شيء يخرج من الجبل يضيق به الطريق .

لما رأى بدرًا تسيل رجلاه بكثيرة خضراء من بلخروج

وهذا للبيت في أبيات له قد كتبناها في أشعار يوم بدر .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد هؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أختك الغداة عظيمًا ، قال : قلت : يا أبا سفيان ، إنها النبوة . قال : فنعم إذن . قال : قلت : التجماء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحيت الدسم الأحمر^(١) قبح من طليعة قوم^(٢) قال : ويلكم لا تفرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ! وما تغني عنا دارك ، قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

قال ابن إسحاق . لحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عثمونه ليكاد يمس واسطة الرجل .

إسلام أبي قحافة : قال ابن إسحاق . وحدثني يحيى بن عبد بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده أسماء بنت أبي بكر ، قالت . لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طوى قال أبو قحافة لابنة^(٣) من أصغر ولده : أي بنية ، اظهري بي على أبي قبيس^(٤) ، قالت وقد كف بصره ،

-
- (١) الحيت : الزق ، نسبة إلى الضخم والسمن ، والأحمر الذي لا خير عنده ، من قولهم : عام أحمر إذا لم يكن فيه مطر ، وزاد عبد بن حميد في حديثه أنها قالت : يا آل غالب اقتلوا الأحمر ، فقال لها أبو سفيان : والله لتسلمن أو لأضربن عنقك ، وفي إسلام أبي سفيان قبل منة وإسلامها قبل انقضاء عدتها ، ثم استقرا على نكاحهما ، وكذلك حكيم بن حزام مع امرأته حجة الشافعي ، فإنه لم يفرق بين أن تسلم قبله أو يسلم قبلها ، مادامت في العدة . وفرق مالك بين المسألين على ما في الموطأ وغيره . (٢) طليعة القوم : الذي يحرسهم . (٣) واسمها : أم فروة زوجة تميم الغناري ومن بعده الأشعث بن قيس . أو هي قرية تزوجها قيس بن سعد بن عبادة . (٤) أبو قبيس : جبل بمكة .

قالت : فأشرفت به عليه ، فقال أى بنية ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت ، وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك مقبلاً ومدبراً ، قال : أى بنية ، ذلك الوازع يعنى الذى يأمر الخيل ، ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دفعت الخيل ، فأسرعى بي إلى بيتي ، فأنحطت به ، وولقاء الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طوق من ورق ^(١) ، فتلقاها رجل فيقطعها من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟ قال أبو بكر ، يا رسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت . قال : قالت : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : أسلم ، فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر وكان رأسه ثغامة ^(٢) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غيروا هذا من شعره ^(٣) ، ثم قام

(١) الطوق : القلادة تطوق العنق . الورق : الفضة .

(٢) الثغامة . واحدة الثغام ، نبات أبيض الشجر والزهر ، يشدد بياضه إذا يبس .

(٣) هو على الندب ، لأعلى الوجوب ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يغير شيبه ، وقد روى من طريق أبي هريرة أنه خضب . وقال من جمع بين الحديثين : إنما كانت شيبات يسيرة يغيرها بالطيب . وقال أنس : لم يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم حد الخضاب وفى البخارى عن عثمان بن موهب : قال : أرتقى أم سلة شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وفيه أيضاً عن ابن موهب قال : بعثني أهلي بقدح إلى أم سلة ، وذكر الحديث ، وفيه اطلعت في الجبل فرأيت شعرات حمراً ، وهذا كلام مشكل وشرحه في مسند وكيع بن الجراح قال : كان جلجلا من فضة صنع صيوناً لشعرات كانت عندهم من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فإن قيل فهذا يدل على أنه كان مخضوب الشيب ، وقد صح من حديث أنس وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يخضب إنما كانت شعيرات تعد .

فالجواب : أنه لما توفي خضب من عنده شيء من شعره : تلك الشعرات ليكون أبني لها كذلك قال الدارقطني في أسماء رجال الموطأ له ، وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم ، وكان عمر يخضب بالصفرة ، وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر .

وبعض أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحاق في شيب أبي قحافة : وجنبوه السواد =

أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أشهد الله والإسلام طرق أختي ، فلم يجبه أحد ، قالت : فقال :
أى أختي ، احتسبي طوقك ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل .

دخول مكة : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذي طوى ، أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدسى ، وكان الزبير على المنجبة اليسرى ، وأمر سعد بن عباد أن يدخل في بعض الناس من كداه (١) .

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخل ، قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، فسمعها رجل من المهاجرين — قال ابن هشام : هو عمر ابن الخطاب — فقال : يا رسول الله : اسمع ما قال سعد بن عباد ، ما نأمن أن يكون له في قریش ضولة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : أدركه ، فخذ الراية منه فكن أنت الذى تدخل بها .

= وأكثر العلماء على كراهة الخضاب بالسواد من أجل هذا الحديث ، ومن أجل حديث آخر جاء فيه الوعيد والنهي لمن خضب بالسواد ، وقيل : أول من خضب بالسواد فرعون وقيل : أول من خضب به من العرب عبد المطلب ، وترخص قوم في الخضاب بالسواد منهم محمد بن علي وروى عن عمر أنه قال : أخضبروا بالسواد ، فإنه أنكى للعدو ، وأحب للنساء . وقال ابن بطال في التشرح : إذا كان الرجل كهلاً لم يبلغ الهرم جاز له الخضاب بالسواد ، لأن في ذلك ما قال عمر رضى الله عنه من الإرهاب على العدو والتجيب إلى النساء ، وأما إذا قوس واحد ودب لحينئذ يكره له السواد ، كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في أبي قحافة : غيروا شيبه ، وجنبوه السواد .

(١) كداه بفتح الكاف والمد ، وهو باعلى مكة . وكدى وهو من ناحية عرفة ، وبمكة موضع ثالث يقال : كدا بعزم الكاف والقصر ، وأنشدوا في كداه وكدى :
أفقرت بعد عبد شمس كداه فكدى فالركن والبطحاء

وبكداه وقف إبراهيم عليه السلام حين دعا لذريته بالحرم . كذلك روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس . فقال : فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، فاستجيب دعوته ، وقيل له : أذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً . ألا تراه يقول يأتوك ، ولم يقل يأتونى . لأنها استجابة لدعوته فن ثم — والله أعلم — استحجب النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى لمكة أن يدخلها من كداه لأنه الموضع الذى دعا فيه إبراهيم بأن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من الليط ، أسفل مكة ، فبعض الناس ، وكان خالد على المجنبية اليمنى ، وفيها أسلم وسليم وشغار ومزينة وجبينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هناك قبته .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر : أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخدمة ليقاتلوا ، وقد كان حماس ابن قيس بن خالد أخو بني بكر ، يعد سلاحا قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم ، ثم قال :

إن يقبلوا اليوم فإلى صله هذا سلاح كامل وآله (١)

وذو غرارين سريع السلة (٢)

ثم شهد الخدمة مع صفوان وسهيل وعكرمة فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من قتال ، فقتل كرز بن جابر ، أحد بني عارب بن فهر ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بني منقر ، وكانا في شيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا ، قتل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر ، فجعل كرز بن جابر بين رجله ، ثم قاتل عنه حتى قتل ، وهو يرتجز ويقول :

قد طلت صفراء من بني فهر نقية الوجه نقية الصدر (٣)

لأضرب اليوم عن أبي صخير

قال ابن هشام : وكان خنيس يكنى أبا صخر ، قال ابن هشام : خنيس بن خالد ، من خزاعة

(١) الآلة : الحربة ذات السنان العلوية . (٢) غرارين : حدين .

(٣) قوله : من بني فهر بكسر الميم . هذا على مذهب العرب في الوقف على ما أوسطه ساكن ، فإن منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عين الفعل في الوقف ، وذلك إذا كان الاسم مرفوعا أو مخفوضا ، ولا يفعلون ذلك في النصب وعلة مستقصاة في النحو .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن بكر ، قالوا : وأصيب من جبهة سلمة بن الميلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلا ، أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا ، فخرج حماش منهم ما حق دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقي على بابي ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنك لو شهدت يوم الخدمة إذ فر صفوان وفر عسكره
وأبو يزيد قائم كالوتمه واستقبلهم بالسيوف المسله (١)
يقطعن كل ساعد وجمجمه ضربا فلا يسمع إلا غمغمه
لهم نيب خلفنا وهممه لم تنطق في اللوم أدنى كلبه (٢)

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قوله كالوتمه ، وتروى للرعاش الهذلي .

شعار المسلمين يوم فتح مكة : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحسين والطائف ، شعار المهاجرين : يابني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يابني عبد الله وشعار الأوس : يابني عبيد الله .

من أمر النبي بقتلهم : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلى من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد في نفر سمام أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بني عامر بن لؤي .

(١) وقوله : وأبو يزيد بقلب الهزمة من أبو ألفا ساكنة ، فيه حجة لعثمان بن سعيد بن عبد الله المصري المشهور بورش حيث أبدل الهزمة ألفا ساكنة ، وهي متحركة ، وإنما قياسها عند النحويين أن تكون بين بين ومثل قوله : وأبو يزيد ، قول الفرزدق .

فأرعى فزار لا هناك المرتع

وإنما هو هناك بالهزمة وتسبيلها بين بين فقلبها ألفا على غير القياس المعروف في النحو ، وكذلك قولهم المنساء وهي العصا ، وأصلها الهزمة ، لأنها مفعلة من نسات ، وهي في التنزيل كما ترى في قوله تعالى : « ما دهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته » .

(٢) التيهت والهيمه : أصوات .

ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى ، فارتد مشركا راجعا إلى قريش ، ففر إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أطمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له : فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ، ثم قال : نعم ، فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلى يا رسول الله ؟ قال : إن النبى لا يقتل بالإشارة .

قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خطل ، رجل من بنى تميم بن غالب : لما أمر بقتله أنه كان مسلما ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا ، وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلما ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تيسا ، فيصنع له طعاما ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئا ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركا .

وكانت له قيتان : فرتى وصاحبها ، وكاتنا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

والخويرث بن تقيذ بن وهب بن عبد بن قصى ، وكان ممن يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حل فاطمة وأم كلثوم ، ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فنخس بهما الخويرث بن تقيذ ، فرمى بهما إلى الأرض .

قال ابن إسحاق ومقيس بن حباب : ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مشركا : وسارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب . وعكرمة بن أبى جهل . وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، فخرجت في طلبه إلى اليمن ، حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم . وأما عبد الله بن خطل ، فقتله سميد بن حريث الخزومى وأبو برزة الأسلمى ، اشتراكا في دمه ، وأما مقيس بن حباب فقتله نائلة بن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مقيس في قتله :

لمرى لقد زأخرى نائلة رمطه
ولجس أضياف الشتاء بمقيس

فله عينا من رأى مثل مقيس إذا النفساء أصبحت لم تحترس^(١)

وأما قيننا ابن خطل فقتلت إحداهما، وهربت الأخرى، حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد، فأمنها. وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا في زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها. وأما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي هند، عن أبي مرة، مولى عقيل بن أبي طالب، أن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة، فرأى رجلا من أمياني، من بني مخزوم، وكانت عند هيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل عليّ علي بن أبي طالب أخى، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة، فوجدته يقتل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستر به ثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إلى، فقال: مرجا وأهلا يا أم هانئ، ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي؛ فقال: قد أجرنا من أجرت، وأمنا من أمنت، فلا يقتلنهما.

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة.

الرسول يدخل الحرم: قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن صفية بنت شيبة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة، وأطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعا على راحلته، يستلم الركن بمحجن^(٢) في يده، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها فوجد فيها حامة من عيدان، فبكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس^(٣) في المسجد.

قال ابن إسحاق: لحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة، فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ألاكلى مأثرة^(٤) أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين لإسداة^(٥) البيت

(١) التخريس: نوع من الطعام يصنع للراءة بعد ولادتها.

(٢) المحجن: عصا معققة الرأس.

(٣) استكف: اجتمع.

(٤) المأثرة: ما يتحدث به من المكارم.

(٥) الإسداة: الخدمة.

وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ، ففيه الدية مغفلة ، مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها : يامعشر قريش ؛ إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم » . . . الآية كلها . ثم قال يامعشر قريش ، ماترون أنى فاحل فيكم ؟ قلوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ؛ قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ؛ فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده ؛ فقال ؛ يا رسول الله ؛ اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له ، فقال ؛ هاك مفتاحك يا عثمان ؛ اليوم يوم بروفاء .

قال ابن هشام ؛ وذكر سفيان بن عيينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي ؛ إنما أعطيك ما ترضون لا ما تترزمون .

قال ابن هشام ؛ وحدثني بعض أهل العلم ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح ؛ فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ؛ فرأى إبراهيم عليه السلام مصورا في يده الأزلام^(١) يستقسم بها ، فقال ؛ قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأت إبراهيم والأزلام ؛ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين . ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

قال ابن هشام ؛ وحدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحلف بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله ؛ أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى ؛ فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قبل وجهه ، وجعل الباب قبل ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قدر ثلاث أذرع ثم يصلي ، يتوخى بذلك الموضع الذي قال له بلال .

قال ابن هشام ؛ وحدثني ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام

(١) الأزلام : السهام التي يستقسم بها .

نجلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يفيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا ، لو تكلمت لأخبرت عن هذه الحصى ، فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد علمت الذي قاتم ، ثم ذكر ذلك لهم ؛ فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا ، فنقول أخبرك .

قال ابن إسحاق : حدثني سعيد بن أبي سندر الأسلمي ، عن رجل من قومه ، قال كان معنارجل يقال له أحمر بأسا ، وكان رجلا شجاعا ، وكان إذا نام غط غطيظا منكرا لا يخفى مكانه ، فكان إذا بات في حيه بات معتزرا (١) ، فإذا بات الحمي (٢) صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لا يقوم لسيظه ثوبا : فأقبل غزى من هذيل يريدون حاضره (٣) ؛ حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأنوع الهذلي : لا تعجلوا على حق أنظر ، فإن كان في الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فإن له غطيظا لا يخفى ، قال : فاستمع ، فلما سمع غطيظه مشى إليه حتى وضع السيف في صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ؛ فلما كان عام الفتح ، وكان القد من يوم الفتح ، أتى ابن الأنوع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسال عن أمر الناس ، وهو على شركه ، فرأته خزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدار مكة ، يقولون : أنت قاتل أحمر ؟ قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فه ؟ قال : إذ أقبل خراش ابن أمية مشتملا على السيف ، فقال هكذا عن الرجل (٤) ، والله ما نظن إلا أنه يريد أن يفرج الناس عنه . فلما انفرجنا عنه حمل عليه ، فطعنه بالسيف في بطنه ، فوالله لسكراني أنظر إليه وحشوته (٥) تسيل من بطنه ، وإن عينيه لترتقان (٦) في رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يامعشر خزاعة ؟ حتى انجمف (٧) فوقع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتهم قتيلا لأدينه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن حرمة الأسلمي ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خراش بن أمية ، قال : إن خراشا لقتال ؛ يعيبه بذلك .

(١) معتزرا . منفردا . (٢) بيت : غزى ليلا .

(٣) الحاضر : النازلون على الماء . (٤) أي تمنحوا عنه .

(٥) حشوته : ما اشتعل عليه جوفه من الاحشاء .

(٦) ترتقان : قربتا على الانغلاق . (٧) انجمف : سقط بكل ثقله .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي شريح الخزاعي ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير ^(١) مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جثته ، فقالت له : يا هذا ، إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فقال : يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة ؛ فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يسفك فيها دما . ولا يعصد ^(٢) فيها شجرا لم تحال لأحد كان قبلي ، ولا تحل لأحد يكون بعدي ، ولم تحال لي إلا هذه الساعة ، غضبا على أهلها . ألا ، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فن قال لكم : إن رسول الله قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يحللها لكم ، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع . لقد قتلتهم قتيلا لأدينه ، فن قتل بعد مقامى هذا فأمله بغير النظرين . إن شاءوا قدم قاتله ، وإن شاءوا فعهله : ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبي شريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سائك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إني كنت شاهدا وكنت غائبا ، ولقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ شاهدا نا غائبا ، وقد أبلغتك ، فأنت وشأنك .

قال ابن هشام : وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جندب بن الأكوع ، قتلته بنو كعب ، فوداه بمائة ناقة .

تغوى الأنصار من بقاء الرسول بمكة : قال ابن هشام : وبلغني عن يحيى بن سعيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أهدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله : فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : معاذ الله ! المحيا محياكم ، والممات مماتكم .

(٦) هذا وهم من ابن هشام وصوابه : عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وهو الأشدق ... وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكاكي في روايته ، من أجل أن عمرو بن الزبير كان معاديا لأخيه عبد الله ومعينا لبني أمية . هذا ما ذهب إليه السبيلي في الروض الأنف .
(٧) يعصد : يقطع .

كسر الأصنام : قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناده ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص ؛ فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ، فأشار إلى صنم منها في وجهه لإلوقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه لإلوقع لوجهه ، حتى ما بق منها صنم لإلوقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك :

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاب

إسلام فضالة : قال ابن هشام : وحدثني : أن فضالة بن عمر بن الملوح اللبني أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله ، قال : ماذا كنت تبحث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله ، قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استغفر الله ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول والله مارفع يده عن صدرى حتى مامنى خلق الله شيء أحب إلى منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلى ، فررت بامرأة كنت أنحدث إليها ، فقالت : هلم إلى الحديث ، فقلت : لا ؛ وانبعث فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا
لوما رأيت محمدا وقيله
يا بى عليك الله والإسلام
بالتفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا
والشرك يغشى وجهه الإظلام

الأمان صفوان بن أمية : قال ابن إسحاق : لحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير قال : خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يأنى الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هاربا منك ، ليقذف نفسه في البحر ، فأمنه صلى الله عليه وسلم ، قال : هو آمن ، قال : يا رسول الله فأعطى آية يعرف بها أمانك ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : يا صفوان فذاك أبى وأمى ، الله الله في نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئت بك به ، قال : ويحك ! أغرب عني فلا تسكننى ، قال : أى صفوان ، فذاك أبى وأمى ، أنضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، ولمسك ملكك ، قال : لى أخاذه على نقسى ، قال : هو أحلم من ذاك وأكرم . فرجع ههنا ، حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمتنى قال : صدق ، قال : فاجعلنى فيه بالخيار شهرين ، قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثنى رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لعمر : ويحك ! أغرب عني ، فلا تكلمنى ، فإنك كذاب ، لما كان صنع به ، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر .

إسلام وموس أهل مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى : أن أم حكيم بنت الحارث ابن هشام ، وفاخنة بنت الوليد - وكأنت فاخنة عند صفوان بن أمية ، وأم حكيم عند عكرمة ابن أبي جهل - أسلتا ، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعكرمة ، فأمنته فأحقت به باليمن ، فجاءت به ، فلما أسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على الله - كاح الأول .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : قال : روى حسان : ابن الزبيرى وهو بنجران يبيت واحد ما زاده عليه :

لأنعد من رجلا أحلك بغضه نجران فى عيش أخذ لثيم^(١)

فلما بلغ ذلك ابن الزبيرى خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال حين أسلم :

يا رسول الملك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور^(٢)

إذ أبارى الشيطان فى سنن الفى ومن مال ميله مشور^(٣)

آمن اللحم والعظام لربى ثم قلبى الشهيد أنت النذير

لأنى عنك زاجر ثم حية - من لوى وكلمهم مغرور

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبيرى أيضا حين أسلم :

منع الرقاد بلابل ومموم والليل معتلج الرواق بهيم^(٤)

ما أتانى أن أحمد لأمى فيه فبت كأتى محموم

(١) الأحذ : القليل .

(٢) الراتق : الساد . بور : هالك . (٣) أبارى : أجازى . مشور : هالك .

(٤) البلابل : وسوس الأحران . معتلج : مضطرب . والبهيم شديد الإظلام .

يا خير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدى غشوم^(١)
 لاني لمعتذر إليك من الذى أسديت لاذ أنا فى الضلال أهم
 أيهم تأمرنى بأغوى خطة سهم وتأمرنى بها مخزوم
 وأؤمد أسباب الردى ويقودنى أمر الغواة وأمرهم مشوم
 فاليوم آمن بالنبي محمد قلبى ومخطئى هذه محروم
 مضت العداوة وانقضت أسبابها ودعت أواصر بيتنا وحلوم
 فاغفر - فدى لك والداى كلاما - زلى ، فإنك راحم مرحوم
 وعليك من علم المليك علامة نور أغر وخاتم مختوم
 أعطاك بعد محبة برهانه شرفا وبرهان الإله عظيم
 ولقد شهدت بأن دينك صادق حق وأنت فى العباد جسيم
 والله يشهد أن أحمد مصطفى مستقبل فى الصالحين كريم
 قرم علا بنيانه من هاشم فرع تمكن فى الذرا وأروم^(٢)
 قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

هبييرة يبقى على كفره : قال ابن إسحاق : وأما هبييرة بن أبى وهب الخزومى فأقام بها حتى مات كافرا ، كانت عنده أم هانىء بنت أبى طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانىء :

أشأقتك هند أم أذاك سؤالها كذاك التوى أسبابها وانفتالها^(٣)
 وقد أرقمت فى رأس حصن منع بنجران يسرى بعد ليل خيالها
 وعاذلة نعبت بلبيل تلومنى وتمذلى بالليل ضل ضلالها
 وتزعم أنى إن أطعت عشيرتى بأردى وهل يردى إلا زيالها^(٤)

(١) العيرانة : الناقة الشديدة تشبه العير . سرح اليدى : شديدتهما . غشوم : لا ترد عن وجهها .

(٢) قرم : سيد . الأروم : الأصول .

(٣) انفتالها : تقبلها .

(٤) أردى : أهلك . زيالها : ذهابها .

فأني لمن قوم إذا جد جدم على أى حال أصبح اليوم حالها
ولاني لحام من وراء عشرين إذا كان من تحت العوالي بجالها (١)
وصارت بأيديها السيوف كأنها مخاريق ولدان ومنها ظلالها (٢)
وإني لأقلى الحاسدين وفعلهم على الله رزقى نفسها وعيالها
وإن كلام المرء في غير كنهه لكأنبل تهوى ليس فيها نصالها
فإن كنت قد تابعت دين محمد وعطفت الأرحام منك جبالها
فكوني على أعلى سحيق بهضة مليلة غبراء ييس بلالها (٣)

قال ابن إسحاق : و يروى : « وقطعت الأرحام منك جبالها » .

عدة من فتح مكة : قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة
آلاف . من بني سليم سمائة . ويقول بعضهم : ألف : ومن بني غفار أربعمائة ، ومن أسلم
أربعمائة ؛ ومن مزينة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم ، وطوائف
العرب من تميم وقيس وأسد .

ما قيل من الشعر في فتح مكة : وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن
ثابت الأنصاري :

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلا (٤)
ديار من بني الحسحاس قفر تعفيا الروامس والسماء (٥)

(١) العوالي : الرماح .

(٢) المخاريق : ما يلعب به الأطفال من الحرق المقتولة .

(٣) مليلة : مستديرة .

(٤) عفت : تغيرت . ذات الأصابع ، والجواء : موضعان بالشام . والجواء كان منزل
الحارث بن أبي شمر الغساني . وكان حسان كثيراً ما يرد على ملوك غسان يمدحهم . وعذراء :
قرية على بريد من دمشق قتل بها حجر بن عدي وأصحابه .

(٥) بنو الحسحاس : حتى من بني أسد . وقوله الروامس والسماء ، يعني : الرياح والطر =

وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها ناعم وشاء^(١)
 فدع هذا ، ولكن من لطيف يورقي إذا ذهب المشاء
 لشعنا التي قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء^(٢)
 كأن خبيثة من بيت رأس يكون مزاجها عل وماء^(٣)
 إذا ما الأشربات مذكرن يوما فهن لطيب الراح الفداء
 نولها الملامة إن ألما إذا ما كان مفتح أو لحاء^(٤)
 ونشرها فتركنا ملوكا وأسدأ ما ينهننا اللقاء^(٥)
 عدنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء^(٦)
 ينازعن الاعة مصفيات على أكتافها الأسل الظاء^(٧)
 قطل جيانا متمطرات يطمهن بالخر النساء^(٨)

= والسما لفظ مشترك يقع على المطر ، وعلى السماء المعروفة ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعينا وإن كانوا غنابا
 لأنه يحتمل أن يريد مطر السماء ، لحذف المضاف ، ولكن لما عرفناه من قولهم في جمعه
 سمى ، وهم يقولون في جمع السماء : سموات وأسمية ، فعلنا أنه اسم مشترك بين شيئين .
 (١) النعم : الإبل ، فإذا قيل أنعام دخل فيها الغنم والبقر والإبل ، والشاء والشرى اسم
 للجميع كالضأن والعنن والإبل والإبل ، والمعز والمعيز ، وأما الشاء ، فليست من لفظ الشاء
 لأن لام الفعل منها هاء وأبو الحساس : حى من بنى أسد .

(٢) شعنا : اسم امرأة وهي زوجته ، وبنت كاهن الأسلية .
 (٣) الخبيثة : الخمر المصنوع بها ، وبيت رأس : موضع بالأردن .
 (٤) نولها الملامة : ترجع إليها اللوم . المفتح : الضرب بالكف . واللحاء : الباب .
 (٥) ينهننا : يوجرنا . (٦) كداء : موضع بمكة .
 (٧) المصفيات : المتحركة للطن . الأسل : الرماح .

(٨) متمطرات : متسابقات . يطمهن : يضربهن . يقول السيل في الروض : قال ابن
 دريد في الجهرة كان الخليل يروى « يطمهن » وينكر « يطمهن » ويجمعه بمعنى ينفض النساء
 بضمهم ما على الخيل من القبار . انظر الروض ج ٤ ص ١١٨ .

فإما تعرضوا هنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء
ولا فاصبروا لجلاد يوم يعين الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء^(١)
وقال الله قد أرسلت عبداً يقول الحق إن نفع البلاء^(٢)
شهدت به فقوموا صدقوه فقلتم لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيرت جنداً هم الأنصار عرضتها للقاء^(٣)
لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء
نفحكم بالآفاق من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء^(٤)
ألا أبلغ أبا سفيان عنى مغفلة فقد برح الحقاء^(٥)
بأن سيوفنا تركتك عبداً وعبدُ الدار سادتها الإمام
هجوت محمداً وأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أنهجو ولست له بكفء فشركا لخيركا الفداء^(٦)
هجوت مباركا برا خنيفا أمين الله شيمته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ١٩
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لا عيب فيه وبحرئ لا تكدره الدلاء

(١) كفاء : مثل . (٢) البلاء : الاختبار .

(٣) عرضتها : عايتها . (٤) نفحكم : نمنع .

(٥) المغفلة : الرسالة المكتوبة .

(٦) فشركا لخيركا الفداء : في ظاهر اللفظ بشاعة . لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما
لألا وفي كليهما شر ، وكذلك : شر منك ، ولكن سيويوه قال في كتابه : تقول مررت برجل
شر منك : إذا نقص عن أن يكون مثله ، وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ، ونحو
منه قوله عليه السلام : « شر صفوف الرجال آخرها ، يريد : نقصان حظهم عن حظ الأول ،
كما قال سيويوه ، ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشر . والله أعلم .

قال ابن هشام : قالوا حسان يوم الفتح . ويروى : « لسانى صارم لاعتب فيه » .
 وبلغنى عن الزهرى أنه قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يطمعن الخيل
 بالخر تبسم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .
 قال ابن إسحاق : وقال أنس بن مريم الدبلى يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
 كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى :

أنت الذى تهدى معد بأمره بل الله يهديهم وقال لك أشهد
 وما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد
 أحث على خير وأسبغ نائلا إذا راح كالسيف الصقيل المند
 وأكسى ليُرد الحال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرد^(١)
 تعلم رسول الله أنك مدركى وأن وعيداً منك كالأخذ باليد^(٢)
 تعلم رسول الله أنك قادر على كل صرم متهمين ومنه^(٣)

(١) الخال : نوع من البرود اليمنية وهو من رفيع الثياب وسمى بالخال الذى بمعنى الغيلاء
 والسابق : الفرس السابق . والمتجرد : بهذا المعنى أيضاً .

(٢) هذا البيت معناه من أحسن المعانى . وقد أخذه النابغة فقال :

فإك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المتأى عنك واسمع
 خطاطيف حجن فى جبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع

فالشطر الأول كالبيت الأول من قول النابغة ، والشطر الثانى كالبيت الثانى ، لكنه أطبع
 منه ، وأوجز . وقول النابغة كالليل : فيه من حسن التشبيه ما ليس فى قولى الدبلى ، إلا أنه
 يسمح مثل هذا التشبيه فى النى صلى الله عليه وسلم ، لأنه نور وهدى ، فلا يشبه بالليل ، وإنما
 حسن فى قول النابغة أن يقول كالليل ، ولم يقل كالصبح ، لأن الليل تهرب غوائله ، ويحذر من
 إدراكه ما لا يحذر من النهار ، وقد أخذ بعض الأندلسيين هذا المعنى ، فقال فى هربه من
 ابن عباد :

كأن بلاد الله وهى عريضة تشد بأقصاها على الاناملا

فأين مفر المرء عنك بنفسه إذا كان يطوى فى يدك المراحل

(٣) الصرم : السيوت المجتمعة . متهمين ساكنين تهامة . منجد : من سكن فى نجد .

تعلم بأن الركب ركب عويمر هم الكاذبون الخلفو كل موعد
ونبوا رسول الله أنى هجوته فلا حلت موطنى إلى إذن يدي
سوى أننى قد قلت ويل أم فتية أصيروا بنحس لا بطلق وأسعد^(١)
أصاهم من لم يكن لدماهم كفاء فعزت عبرتى وتبلدى^(٢)
فإنك قد أخفرت إن كنت ساعيا بعد بن عبد الله وابنة مهود
ذويب وكاثوم وسلى تابعوا جميعا فالألا تدمع العين أكمد
وسلى ، وسلى ليس حى كئله وإخوته وهل ملوك كأعبد^(٣)
فإنى لا دينا فتقت ولا دما هرفت تين عالم الحق واقصد

فأجابه بديل بن عبد مناف بن أم أصرم ، فقال :

بكى أنس رزنا فأعوله البكا فالأ عديا إذ تطل وتبعد^(٤)
بكيت أبا عبس لقرب دماها فتعذر إذ لا يوقد الحرب موقد
أصاهم يوم الخنادم فتية كرام فسرل ، منهم نفيل ومعد^(٥)
هنالك إن تسفح دموعك لا تلم عليهم وإن لم تدمع العين فاكمدوا
قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبى سلى فى يوم الفتح :

نفى أهل الحبايق كل فحيح مزينة غدوة وبنو خفاف^(٦)

(١) الطلق : الأيام السعيدة . (٢) تبلدى : تحيرى .

(٣) تطل : يبطل دما ويصير هدرا .

(٤) الخنادم : أراد يوم الخندمة . والخندمة : جبل بمكة .

(٥) الحبايق : أرض يسكنها قبائل من مزينة ، وقيس ، والحبايق : الغنم الصغار ، ولعله أراد بقوله : أهل الحبايق أصحاب الغنم ، وبنو عثمان هم مزينة وهم بنو عثمان بن لاطم بن أد ابن طابخة ، ومزينة أمهم بنت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة ، وأختها : الحوآب التى عرف بها ماء الحوآب المذكور فى حديث عائشة حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه ما معناه : من منكن تنجها كلاب الحوآب . فنجحت الكلاب عائشة رضى الله عنها فى قصة وقعة الجمل ، وأصل الحوآب فى اللغة القدح الضخم الواسع ، وبنو خفاف بطن من سليم .

ضربناهم بمكة يوم فتح النبي الخيبر بالبيض الخفاف
 صبحناهم بسبع من سليم وألف من بني عثمان واف^(١)
 نطا أكتافهم ضربا وطلعنا ورشنا بالمريشة النطاف^(٢)
 ترى بين الصفوف لما حفيفا كما انصاع الفواق من الرصاف^(٣)
 ففرحنا والجياد تهول فيهم بأرماع متممة الشفاف
 فأبنا غانمين بما اشتيننا وآبوا نادمين على الخلاف
 وأعطينا رسول الله منا موائنا على حسن النصاف
 وقد سمعوا مقاتلتنا فهدوا غداة الزوع منا بانصراف
 قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمي في فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسيل به البطاح مسوم
 فعمروا الرسول وشاعدوا أيامه وشعارهم يوم اللقاء مقدم
 في منزل ثبتت به أقدامهم ضنك كأن الهام فيه الحنتم^(٤)
 جرت سنايكها بنجد قلبها حتى استقاد لما الحجاز الأدم
 الله مكنه له وأذله خكم السيوف لنا وجد مزحم^(٥)
 عود الرياسة شامخ عرينه متطلع تشغر المسكارم خضرم^(٦)

إسلام عباس بن مرداس : قال ابن هشام : وكان لإسلام عباس بن مرداس ، فيما حدثني
 بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبد ، وهو حجر كان يقال له
 ضمار ، فلما حضر مرداس قال لعباس : أي بني ، اعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرك ، فبينما عباس
 يوما عند ضمار ، إذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول :

-
- (١) بسبع : أي بسعمائة . (٢) المريشة : السهام ذات الريش وهي أسرع في الرمي .
 (٣) الفواق : الفوق وهو طرف السهم . والرصاف جمع رصفة : ما يلوى على طرف
 السهم . (٤) الضنك : الضيق . الهام : الرموس . الحنتم : الخنل .
 (٥) مزحم : كثير المزاحمة ، يقصد أن حطهم عظيم .
 (٦) العود في الأصل المسن من الإبل ، ويريد به هنا أنه قديم في المجدنة لمقا . العرينين :
 طرف الألف . الخضرم : الكرم .

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قرش مهدي
أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب إلى النبي محمد
فخر عباس ضمار، ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأسلم.

قال ابن هشام: وقال جمعة بن عبد الله الخزاعي يوم فتح مكة:

أكمب بن عمرو دعوة غير باطل الحين له يوم الحديد متاح^(١)
أتيت له من أرضه وسمائه لتقتله ليلاً بغير سلاح
ونحن الآلى سدت غزال خيولنا ولِفِتْنا سددناه ونفج طلاح^(٢)
خطرنا وراء المسلمين بمجفل ذوى عضد من خيلنا ورماح
وهذه الآيات في آيات له:

وقال بجيد بن عمران الخزاعي:

وقد أنشأ الله السحاب بنمصرنا ركام صحاب الهيدب المتراكب^(٣)
ومجرتنا و أرضنا عندنا بها كتاب آتى من خير مُعمل وكان
ومن أجلنا حلت بمكة حرمة لتدرك ثأراً بالسيوف القواضب^(٤)

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة^(٥)

ومسير على لتلافى خطأ خالد

قال ابن إسحاق: وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول مكة السرايا تدعو إلى

(١) الحين الملاك . متاح : مقدر .

(٢) غزال اسم موضع ، منعه هنا من التوين وقد ينون . ولفت : موضع أيضاً ، وكذلك
نجم طلاح .

(٣) الهيدب : القريب من الأرض . المتراكب : الذى يركب بعضه بعضاً .

(٤) القواضب : القواطع .

(٥) وتعرف أيضاً بغزوة الغميط وهو ماء لبني جذيمة . كما ذكر السيل في الروض

الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطئ بني جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمي في ذلك :

فإن تلك قد أمّرت في القوم خالداً وقدمته فإنه قد تقدما
بجند هداه الله أت أميره نصيب به في الحق من كان أظلاماً

قال ابن هشام : وهذان البيتان في قصيدة له في حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله في موضعها .

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سليم بن منصور ، ومدلج بن مرة ، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلخوا .

قال ابن إسحاق : حدثني بعض أصحابنا من أدل العلم من بني جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يا بني جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإيسار ، وما بعد الإيسار إلا ضرب الاعتاق ، والله لا أضع سلاحني أبدا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس أسلخوا ووضعوا السلاح ، ووضع الحرب ، وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكثفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد .

الرخول يتبرأ من فعل خالد : قال ابن هشام : حدثني بعض أدل العلم ، أنه حدث عن إبراهيم بن جعفر المحمودي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت كأنني لقيت

لقمة من حيس^(١) فالتذذت طعمها ، فاعترض في حلق منها شيء حين ابتلعها ، فأدخل على يده فزعه ؛ فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله ، هذه سرية من سراياك تبعها ، فيأتيك منها بعض ماتحب ، ويكون في بعضها اعتراض ، فتبعث عليا فيسمله .

قال ابن هشام : وحدثني أنه انفلت رجل من القوم . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنكر عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض ربة^(٢) ، فنهمة^(٣) خالد ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب ، فراجع ، فاشتدت مراجعتهم ؛ فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله ، وأما الآخر فسالم ، مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال : يا علي ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ؛ فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه ليدى لهم ميلة الكلب^(٤) ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإني أعلّيك هذه البقية من هذا المال ، احتياغا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما يعلم ولا تعلمون ، ففعل . ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ؛ فقال أصبت وأحسن ! قال : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه ، حتى إنه يرى مما تحت منكبيه ، يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ابن الوليد ، ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعدر خالدًا إنه قال : ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاينهم لامتناعهم من الإسلام .

(١) الحيس : تمر يخلط بسمن ودقيق ويعجن .

(٢) الربة من الرجال : الذي بين الطويل والقصير .

(٣) نهمة : زجره .

(٤) ميلة ومياع : مستقاء تصنع من خشب لياع فيها الكلب ، والجمع ميالغ وموالغ .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدني : لما أتاهم خالد ، قالوا : صبأنا صبأنا^(١) .

قال ابن إسحاق : وقد كان كجحدم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد بنى جذيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغنى ، كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام . فقال : إنما ثأرت بأهلك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتل قاتل أبى ، ولكنك ثأرت بمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شر . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته .

ما كان بين قريش وبنى جذيمة فى الجاهلية : وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زهرة ، وعثمان بن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس قد خرجوا تجاراً إلى اليمن ، ومع عثمان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته ، فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه ، وقاتلوه ، فقتل عوف ، والفاكه بن المغيرة ونجا عثمان بن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فأنطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهت قريش بفز بنى جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاباً أصحابكم عن ملائنا ، إنما عدوا عليهم قوم بجهالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلاً من دم أو مال ، فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

وقد قال قاتل من بنى جذيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سلمى :

ولولا مقال القوم للقوم أسلوا للاقى سليم يوم ذلك ناطحا
لما صعب بسر وأصحاب جحدم ومرة حتى يتركوا البرك ضابحا^(٢)
فكان ترى يوم الغمضاء من قتي أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا^(٣)

(١) من معانى صبأ : خرج من دين إلى دين ويقصدون أنهم تركوا دينهم ودخلوا فى الإسلام .

(٢) المصاحمة : مضاربة بالسيوف . البرك هنا : الإبل الباردة .

(٣) الغمضاء : بلد .

أَلظْتُ بِخُطَابِ الْإِيَامِي وَطَلَقْتُ غَدَاتِنُ مَنْهِنٍ مَنْهِنٍ كَانَ نَاكِحًا (١)

قال ابن هشام : قوله « بسر » ، « وألظت بخطاب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : فأجابه عباس بن مرداس ، ويقال بل الجحاف بن حكيم السلمي :

دعني عنك تقول الضلال كفي بنا لكبش الوغى في اليوم والامس فاطحا
فخالد أولى بالتعذر منكم غداة علا نهجا من الأمور واضحا
مُعَانَا بِأَمْرِ اللَّهِ يَزْجِي إِلَيْكُمْ سَوَاخٍ لَا تَكْبُو لَهُ وَبُورَا
تَعَسَوْا مَالَكَا بِالسَّهْلِ لَمَّا دَبْلَنَهُ عَوَابِسُ فِي كَابِي النَّبَارِ كَوَالِحًا (٢)
لَا نَنْتَ أَمْسُكُنَاكَ سَلَى فَالْكَ تَرْكُمُ عَلَيْهِ نَائِحَاتٍ وَنَائِحَا

وقال الجحاف بن حكيم السلمي :

شهدن مع النبي مسومات حنيننا وهي دامية الكلام (٣)
وغزوة خالد شهدت وجرت سنابكن بالبلد الحرام
نعرض للظمان إذا التقينا وجوما لانعرض اطام
ولست بمخالع عني ثيابي إذا من الكفاة ولا أراي
واسكني يحول المهر تمحي إلى المرات بالعصب الحسام

خبر ابن أبي حنود بن جديمة : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأخنس ، عن الزهري ، عن ابن أبي حنود الأسلمي ، قال : كنت يومئذ في خيل خالد ابن الوليد ، فقال لي نقي من بني جديمة ، وهو في سبي ، وقد جمعت يداه إلى عنقه برمة (٤) ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا نقي ! فقلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة ، فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أفضي إليهن حاجة ، ثم تردني بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله لا يسير ما طلبت . فأخذت برمته فقذته بها ، حتى وقف عليهن ، فقال : اسلمي حبش ، على نقد من العيش (٥) :

أرْبَنُكَ إِذْ طَالَبْتَكُمْ فَوَجَدْتَكُمْ بِحَايَةٍ أَوْ الْفَيْتَكُمُ بِالْحَوَائِقِ (٦)

-
- (١) أَلظْتُ : لَزِمْتُ .
(٢) (٣) السَّكَّامُ : الجراح .
(٤) الرمة : الحبل البالي .
(٥) نقد العيش : فناؤه .
(٦) الحاية والحرائق : موضعان .

الم يك أهلا أن ينزل عاشق تكلف إدلاج السرى والودائق^(١)
فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلتنا معا أئبى بود قبل إحدى الصفائق^(٢)
أئبى بود قبل أن تشحط النوى وينأى الأمير بالحبيب المنارق
فإني لا ضيعة سر أمانة ولا راق عيني عنك بعدك رائق
سوى أن ما نال العشيرة شاغل عن الود إلا أن يكون التوامق^(٣)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشكر البيتين الآخرين منها له .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري عن ابن أبي حدرد الأسلمي قال : قالت : وأنت فحيت سبعا وعشرا ، وترا وثمانيا تترى . قال : ثم انصرفت به . فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبو فراس بن أبي سنبلة الأسلمي ، عن أشياخ منهم ، عن كان حضرماء منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنقه ، فأكبت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده .

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بني جذيمة :

جزى الله عنا مدجلا حيث أصبحت جزاءة بؤسى حيث سارت وحلت
أقاموا على أفضاضنا يقسمونها وقد نهلت فينا الرماح وعلت
فوالله لولا دين آل محمد لقد هربت منهم خيول فشلت
وما ضرهم أن لا يعينوا كتيبة كرجل جراد أرسلت فاشعلت^(٤)
فأما ينيروا أو يثوبوا لامرم فلانحن نهزمهم بما قد أضلت
فأجابه وهب ، رجل من بني ليث ، فقال :

دعونا إلى الإسلام والحق عامراً فما ذنبنا في عامر إذ تولت
وما ذنبنا في عامر لا أباهم لأن سفهت أحلامهم ثم ضلت
وقال رجل من بني جذيمة :

ليني بني كعب مقدم خالد وأصحابه إذ صبحتا الكتاب

(١) الإدلاج : السير ليلًا . الودائق : جمع وديقة : شدة الحر .

(٢) الصفائق : النوايب . (٣) النوامق : شدة الحب .

(٤) رجل الجراد : الجماعة منهم . اشعلت : تفرقت .

فلا قرة يسمى بها ابن خويلد وقد كنت مكفيا لو اذك غائب^(١)
 فلا قومنا ينهون عنا غواتهم ولا الداء من يوم الغميصاء ذاهب
 وقال غلام من بني جذيمة ، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب بهن « بن جيش خالد :
 رخصين أذيال المروط وأربعين مَشَيْ حَيَات كَأَن لَمْ يَفْزَعْنَ^(٢)
 لَن تَمْنَحَ الْيَوْمَ نِسَاءَ تَمْنَعْنَ
 وقال غلطة من بني جذيمة ، يقال لهم بنو مساحق ، يرتجرون حين سمعوا بخالد
 فقال أحدهم :

قد علمت صفراء بيضاء الإطل يحوزها ذو ثلثة وذو إبل^(٣)
 لا عنين^(٤) اليوم ما أغنى رجل
 وقال الآخر :

قد علمت صفراء تلهي العرسا لا تملأ الحيزوم منها نهسا^(٥)
 لأضربن اليوم ضربا وعصا^(٦) ضرب الموحلين^(٧) نخاضا قعسا^(٨)
 وقال الآخر :

أقسمت ما إن خادر ذولبده شئن البنان في غداة برودة^(٩)
 جهم الحيا ذو سبال ورده يرزم بين أيسكة وججده^(١٠)
 ضار بأكال الرجال وحده بأصدق الغداة مني نجده

-
- (١) الآرة : طلب الثأر . (٢) المروط : أثواب من خز . وأربعين : أقن .
 (٣) الإطل : الخاصرة . ثلة : جماعة الغنم .
 (٤) الحيزوم : وسط الصدر . النهس : نهش اللحم بمقدم الأسنان .
 (٥) الوعس : السريع . المحلين : الخارجين من الحرم إلى الحل . الخاض : الإبل الحوامل
 القعس : الممتعة عن السير .
 (٦) الخادر : الأسد المختبئ في خدره . شئن : غليظ .
 (٧) السبال : شارب الأسد . يرزم : يصيح ، الأيسكة : الشجرة الكثيفة الأغصان
 والمجحلة : قليلة الأغصان .

خالد يهدم العزى : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بنخلة ، وكانت بيتا يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر كلها ، وكانت سدنها وحداها بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم ، فلما سمع صاحبها النملى عمير خالد إليها ، علق عليها سيفه ، وأسند في الجبل (١) الذي هو فيه وهو يقول :

أيا عز شدى شدة لا شوى لها على خالد ألقى القناع وشمرى (٢)

يا عز إن لم تقتلى المرء خالداً فبئى بإثم عاجل أو تعمري

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة .

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان :

غزوة حنين في سنة ثمان — بعد الفتح

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النهمري ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت نصر وجشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدا منهم أحد له اسم ، وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخا مجربا ، وفي ثقيف سيدان لهم ، في الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ، وفي بني مالك ذو الحارث مسبيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النهمري . فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس (٣) اجتمع إليه الناس ،

(١) أسند في الجبل : ارتفع فيه . (٢) لا شوى لها : أى لا تذر شيئا .

(٣) ويقال لها أيضا غزوة أوطاس سميت بالوضع الذى كانت فيه الوقعة وهو من وطست النىء وطسأ إذا كدرت ، وأثرت فيه . والوطيس : نقرة في حجر توقد حوله النار ، فيطبخ به اللحم ، والوطيس الثور ، وفي غزوة أوطاس قال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن حمى الوطيس ، وذلك حين استعزت الحزب ، وهي من الهكلم التى لم يسبق إليها صلى الله عليه وسلم راجع الروض الآنف وراجع أيضاً المجازات النبوية للشريف الرضى بتحقيقنا : طبعة الحلبي .

وفيهم دريد بن الصمة في شجار^(١) له يقاد به ، فلما نزل قال : بأى واد أتم ؟ قالوا : بأوطاس قال : نعم مجال الخيل ! لآحزن ضرر^(٢) ، ولا سهل دهر^(٣) ، مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحmir . وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قالوا : ساقى مالك بن عرف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ودعى له ، فقال : يامالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له مابعده من الأيام . مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحmir ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولم ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ، ليقايل عنهم ، قال : فانتقض به^(٤) . ثم قال : راعى ضأن ، والله ! وهل يرد المنهزم شيء ؟ لأنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فوضعت فى أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدا منهم أحد ، قال : شاب الحد والجدة ، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فن شهدا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذاك الجذعان^(٥) من عامر ، لا ينفعان ولا يضران ؛ يامالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة^(٦) هوأزن إلى نحر الخيل شينا ، أرعهم إلى متمنع بلادهم وعاليا قومهم ، ثم ألق الصباء^(٧) على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألتاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . والله لتطعننى يامعشر هوأزن أو لاتكثن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن يكون لدريد بن الصمة بها ذكر أو رأى ؛ فقالوا : أطعنك ؛ فقال دريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى :

يألتنى فيها جذع أخب فيها واضع^(٨)
أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع^(٩)

(١) الشجار : مركب أصغر من المودج مكشوف أعلاه .

(٢) الحزن . المرتفع . ضرر : مافيه حجارة مدبية .

(٣) دهر : لين التراب . (٤) انتقض به : زجره .

(٥) الجذعان : مثني جذع . الشاب الحدث ، ويريد بهما هنا أنهما ضعيفان خاليان

عن التجربة . (٦) البيضة : الجماعة . (٧) الصباء : يقصد بهم المسلمون .

(٨) الجذع : الشاب الحدث ، ويريد به هنا قوة الشباب .

(٩) الوطفاء : طويلة الشعر . والشاة : الوعل . صدع : متوسط بين العظيم والحقير :

قال ابن هشام : أنشدني غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله :

« يا ليتني فيها جذع ،

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدوا شدة رجل واحد .

قال : وحدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدث : أن مالك بن عوف بعث غيرنا من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ فقالوا : رأينا رجلا بيضا على خيل باق ، فوالله ما تمالكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رزقه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم . فانهلق ابن أبي حدرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمره ووازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبي حدرد . فقال ابن أبي حدرد : إن كذبتني فربما كذبت بالحق يا عمر ، فقد كذبت من هو خير مني . فقال عمر : يا رسول الله ، ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر .

استعارة أذراع صفوان : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذكر له أن عند صفوان بن أمية أذراعا له وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : يا أبا أمية ، أعزنا سلاحك هذا تلقى فيه عدونا خدا ، فقال صفوان : أغصبا يا أحمدا ؟ قال : بل عارية ومضمونة حتى تؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح : فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم حملا ، ففعل .

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفا ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن .

قصيدة ابن مرداس : فقال عباس بن مرداس السلمي :

أصابك العام رِعْلا غولٌ قومهم	وسط البيوت ولون الغول ألوان ^(١)
يا لطف أم كلاب إذ تبيتهم	خيّل ابن هوزة لا تُنهى وإنسان ^(٢)
لا تلفظوها وشدوا عقد ذمتكم	أن ابن عمكم سعد ودهمان ^(٣)
لن ترجعوهما وإن كانت مجلّة	مادام في النعم المأخوذ ألبان
شعاعٌ جلال من سواها حُضن	وسال ذو شوغر منها وسلوان ^(٤)
ليست بأطيب مما يشتري حذف	إذ قال : كل سواء العير مجوفان ^(٥)
وفي هوازن قوم غير أن بهم	داء اليماني فإن لم يغدروا خانوا
فيهم أخ لو وفوا أو بر عهدهم	ولو نهكتهم بالعلم قد لانوا
أبلغ هوازن أعلاما وأسفاها	مضى رسالة نصيح فيه تبيان
أني أظن رسول الله صاحبكم	جيشأله في فضاء الأرض أركان
فيهم أخوكم سليم غير تارككم	والمسلمون عباد الله غنان
وفي عضادته النبي بنو أسد	والأجربان بنو عبس وذبيان ^(٦)
تكاد ترجف منه الأرض رهبة	وفي مقدمه أوس وعثمان

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان : قبلا مزينة .

قال ابن هشام : من قوله « أبلغ هوازن أعلاما وأسفاها » إلى آخرها ، في هذا اليوم ،

(١) رعل : قبيلة من سليم . وفي الحديث قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً يدعو على رعل وذكوان وعصية ، وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة ، وقد مضى حديثهم فيما تقدم من البيرة . الغول : الداهية .

(٢) إنسان : قبيلة من قيس ثم من بني نصر . وقيل هم من بني جشم بن بكر .

(٣) سعد ودهمان : ابنا نصر بن معاوية بن بكر .

(٤) حُضن : جبل في نجد . ذو شوغر وسلوان : واديان .

(٥) حذف : اسم رجل . العير : حمار الوحش . الجوقان : غرمولة .

(٦) سماهما بالأجربين تشبيها بالأجرب الذي لا يقرب .

وما قبل ذلك في غير هذا اليوم ، وهما مفصولتان ، ولكن ابن إسحاق جعلهما واحدة
 ذات أنواط : قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري ، عن سنان بن أبي سنان
 الدؤلي ، عن أبي واقد الليثي ، أن الحارث بن مالك ، قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال : فسرنا معه إلى حنين ، قال : وكانت كفار
 قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل
 سنة ، فيلقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويمكفون عليها يوماً . قال فرأينا ونحن
 نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سدرية خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جنبات الطريق :
 يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 الله أكبر ، قائم ، والذي نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم
 آلهة ، قال لأنكم قوم تجهلون . إنها السنين ، تركبن سنن من كان قبلكم .

ثبات الرسول وبعض الصحابة : قال ابن إسحاق : لحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن
 عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا فواد
 من أودية تهامة أجوف حطوط ، إنما تنحدر فيه انحداراً ، قال : وفي حماية الصبح ، وكان
 القوم قد سبمونا إلى الوادي ، فكننوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتجهشوا
 وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحنون إلا الكتاب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ،
 وانشمر الناس راجعين ، لا يلوي أحد على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟ ملأوا إلى ،
 أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلا شيء ، حملت الإبل بعضها على بعض ، فانطلق
 الناس ، إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

وقيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس
 ابن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وابنه ، والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث ،
 وأسامة بن زيد . وأمين بن عبيد ، قتل يومئذ (١) .

(١) إن قيل : كيف فر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه حتى لم يبق معه منهم إلا
 ثمانية ، والفرار من الزحف من الكبراء ، وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل ، قلنا :
 لم يجمع العلماء على أنه من الكبراء إلا في يوم بدر ، كذلك قال الحسن ونافع مولى عبيد الله
 ابن عمر وظاهر القرآن يدل على هذا ، فإنه قال : ومن يولهم يومئذ دبره ، فيومئذ إشارة إلى

قال ابن هشام : اسم ابن أبي سفيان بن الحارث جعفر ، واسم أبي سفيان المغيرة ، وبعض الناس يعد فيهم قثم بن العباس ، ولا يعد ابن أبي سفيان .

قال ابن إسحاق : وحديثي عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جبل له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل ، أمام هوازن ، وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمح ، وإذا فاته الناس رفع رمح لمن وراءه فاتبعوه .

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفأة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وإن الألام لمعه في كنانته . وصرخ جبلة بن الحنبل — قال ابن هشام : كلداء بن الحنبل — وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطل السحر اليوم ! فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يرتني رجل من قريش أحب إلى من أن يرتني رجل من هوازن .

حسان يهجو كلداء : قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت يهجو كلداء :

رأيت سواداً من بعيد فراعني أبو حنبل ينزو على أم حنبل

كان الذي ينزو به فوق بطنها ذراع قلوص من نتاج ابن عزم

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين ، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أمية ، وكان أخا كلداء لأمه .

شعبة بن طاححة يحاول قتل الرسول : قال ابن إسحاق : وقال شعبة بن عثمان بن أبي طلحة . أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أدرك ثأري ، وكان أبوه قتل يوم أحد ، اليوم أقتل نحمدا . قال : فأدركت رسول الله لاقتله ، فأقبل شيء حتى تغشى فوادى ، فلم أطق ذاك ، فعلمت أنه ممنوع مني .

== يوم بدر ، ثم نزل التحقيق من بعد ذلك في الفارين يوم أحد وهو قوله : « ولقد عفا الله عنهم ، وكذلك أنزل يوم حنين : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم » إلى قوله : « غفور رحيم » وفي قول ابن سلام : كان الفرار من الزحف يوم بدر من الكبار ، وأيضاً فإن المهزمين عنه عليه السلام رجعوا لحينهم ، وقاتلوا معه حتى فتح الله عليهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل مكة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين نزل من مكة إلى حنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن تغلب اليوم من قلة .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بني بكر قالما .

القصص : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : لاني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها ، قال : وكنت امرأة جسيما شديد الصوت ، قال . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يلوون على شيء ، فقال : يا عباس اصرخ ، يا معشر الأنصار : يا معشر أصحاب السمرة ، قال : فأجابوا : لييك ، لييك ، فقال : أقال فيذهب الرجل ليثنى بغيره ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه ، فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بغيره ، ويحلى سبله ، فيؤم الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدعوى أول ما كانت : يا للأنصار . ثم خلصت أخيرا : يا للخزرج . وكانوا ضيبرا عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه . فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حمى الوطيس .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جملة يصنع ما يصنع إذ هوى له على بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه على ابن أبي طالب من خلفه ، فضرب عرقوبه بالجل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصاري على الرجل ، فضربه ضربة أطان قدمه بنصف ساقه ، فانهجف عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو أخذ بفر بغلته ^(١) ، فقال من هذا ؟ قال : أنا ابن أملك يا رسول الله .

أم ضارم في المعركة : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله

(١) الثفر : سير من جلد يؤوضع في مؤخر السرج .

صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أم سليم بنت ملحان^(١) وكانت مع زوجها أبى طلحة^(٢) وهى حازمة وسطها برد لها ، وإنها لحامل بعيد الله بن أبى طلحة ، ومعهما جبل أبى طلحة ، وقد خشيت أن يعزها الجبل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها فى خزامته مع الخطام ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم سليم ؟ قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى يارسول الله ، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإهم لذلك أهل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفى الله يا أم سليم ؟ قال : ومعهما خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بمعته به قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع يارسول الله ما تقول أم سليم الرؤمىة .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين وجه إلى حنين ، قد ضم بنى سليم الضحاك بن سفيان الكلابى ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك ابن عوف يرتجز بفرسه :

أقدم حاج لأنه يوم نكر	مثلى على مثلك يحمى ويكر
إذا أضيع الصف يوما والدبر	ثم احزأت زمر بعد زمر ^(٣)
كتائب يسكل فيهن البصر	قد أطمع الطعنة تقذى بالسبر ^(٤)
حين يذم المستكين المنجحر	وأطمع التجلاء تعوى وتهر ^(٥)
لها من الجوف رشاش منهر	تفبق تارات وحينا تنفجر ^(٦)
وتعلب العامل فيها منكمر	يازيد يابن هـمهمم أين نفر ^(٧)
قد نفذ الضرب وقد طال العمر	قد علم البيض الطويلات الخر
أنى فى أمثالها غير تنمر	لذ تخرج الحاصن من تحت الستر

(١) واسمها : مليكة . ويقال : رميلة ، وقيل سبيلة .

(٢) واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام .

(٣) احزأت : ارتفعت . (٤) السبر : جمع سبير وهو القليل يسبر به الجرح .

(٥) التجلاء : الطعنة الواسعة . تعوى وتهر : أى يسمع لخروج الدم منها أصوات كالغواء

والهدير . (٦) تفبق : تنفتح .

(٧) الثعلب : عصا الرمح الداخلة فى السنان . العامل : أعلى الرمح .

وقال مالك بن عوف أيضا :

أقدم محجاجُ إنما الأساوره ولا تغرنك رجل نادره^(١)

قال ابن هشام : وهذان البيتان لغير مالك بن عوف في غير هذا اليوم .
من قتل قتيلا فله سلبه : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن
أبي قتادة الأنصاري قال : وحدثني من لأتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بني غفار أبي محمد
عن أبي قتادة ، قال : قال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان : مسلما ومشركا ، قال :
وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأثبته ، فضربت يده
فقطعتها ، واعتنقني بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم — ويروى :
ريح الموت ، وفيما قال ابن هشام — وكاد يقتلني ، فلولا أن الدم نزفه لقتلني ، فسقط ، فضربته
فقتلته ، وأجهضني عنه القتال ، ومرو به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها
وفرغنا من القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلا فله سلبه ، فقلت :
يا رسول الله ، والله لقد قتل قتيلا ذا سلب ، فأجهضني عنه القتال ، فما أدرى من استلبه ؟
فقال رجل من أهل مكة : صدق يا رسول الله ، وسلب ذلك القتل عندى ، فأرضه عنى من
سلبه ، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لا والله ، لا يرضيه منه ، تعمد إلى أسد من أسد
الله ، يقاتل عن دين الله ، تقاسمه سلبه ١٩ اردد عليه سلب قتيله ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : صدق فاردد عليه سلبه^(٢) . فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بشمته
مخرفا^(٣) فإنه لأول مال اعتدته .

(١) الأساورة : قادة الفرس . النادرة : أى التى قد ندرت أى انفصلت وبعدت .
(٢) وفي هذا الحديث من الفقه أن السلب للقاتل حكما شرعيا جعل ذلك الإمام له ،
أو لم يجعله ، وهو قول الشافعى . وقال مالك : إنما ذلك إلى الإمام له أن يقول بعد معمة
الحرب : من قتل قتيلا فله سلبه ، ويكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لئلا يخالط
النية غرض آخر غير احتساب نفسه لله تعالى .

(٣) مخرف بفتح الراء وكسر هاء مخلة وأما كسر الميم فإنما هو للمخرف ، وهى الآلة التى تخرف
بها القمرة أى تجتنى . وفتح الميم معناه البستان من النخل ، هكذا فسروه . وفسره الحرى ،
وأجاد فى تفسيره ، فقال : المخرف : نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر . فما فرق ذلك ،
فهو بستان أو حديقة ، ويقوى ما قاله الحرى ما قاله أبو حنيفة الدينورى ، قال : المخرف : مثل
الخروقة : هى النخلة يخترقها الرجل لنفسه ولعاليه ، وأنشد :

مثل المخارف من خيلان أو هجرا

قال : ويقال للخروقة : خريفة أيضاً .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لأتهم ، عن أبي سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا .

الملائكة تحضر القتال : قال ابن إسحاق : وحدثني أنى إسحاق بن يسار ، أنه حدث عن جبير بن مطعم ، قال : لقد رأيت - قبل هزيمة القوم والناس يقتلون - مثل البجاد^(١) الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مبعوث ، قد ملأ الوادي لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم .

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حنين ، وأمكن رسوله صلى الله عليه وسلم منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبت خيل الله خيل اللات والله أحق بالثبات

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالرواية للشعر :

غلبت خيل الله خيل اللات وخيله أحق بالثبات

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف في بني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايته ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب ، وكانت رايته مع ذى الخمار^(٢) ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرني عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله ، قال : أبعد الله ، فإنه كان يبغض قريشا .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصراني أغرل^(٣) ، قال : فينا رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف ، إذ كشف العبد يسلبه ، فوجده أغرل . قال : فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب : يعلم الله أن ثقيفا غرل . قال المغيرة بن شعبة : فأخذت يده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت : لا تقل ذلك ، فذاك أنى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصراني . قال ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم محتنين كما ترى .

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند

(١) البجاد : الكساء . (٢) هو عوف بن الربيع .

(٣) الأغرل : غير المحتن .

رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبني عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل من غيرة ، يقال له وهب ، وآخر من بني كبة ، يقال له الجلاح : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح : قتل اليوم سيد شباب ثقيف ، إلا ما كان من ابن هنيذة ، يعنى بابن هنيذة الحارث بن أويس .

فقال عباس بن مرداس السلمى يذكر قارب بن الأسود وفراره من بني أبيه ، وذا الحار وجبسه قومه للموت :

ألا من مبلغ غيلان غنى	وسوف - إخال - يأتيه الخير ^(١)
وعروة إنما أهدى جوابا	وقولا غير قولكما يسير
بأن محمداً عبد رسول	لرب لا يضل ولا يمحور
وجدناه نبيا مثل موسى	فكل فقى يحايره يخير
وبئس الأمر أمر بني قسي	بوج إذ تقسمت الأمور ^(٢)
أضاعوا أمرهم ولنكّل قوم	أمير والدوائر قد تدور
فجئنا أسد غابات إليهم	جنود الله ضاحية تسير ^(٣)
يؤم الجمع جمع بني قسي	على حنق نكاد له نطير
وأقسم لو هم مكثوا لسرنا	إليهم بالجنود ولم يغوروا ^(٤)
فكنا أسد لية ثم حتى	أبحناها وأسلمت النصور ^(٥)
ويوم كان قبل لدى حنين	فأقلع والدماء به تمور
من الأيام لم تسمع كيوم	ولم يسمع به قوم ذكور

(١) الفعل المستقبل هو : يأتيه ، وإن كان حرف (سوف) دخلا على إخال في اللفظ فإن ما يدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثاني كما قال :

وما أدري وسوف إخال أدري

وذلك أن إخال في معنى : أظن ، وليس يريد أنه يظن فيما يستقبل ، وإنما يريد أن يخال . الآن أن سيكون ذلك . (٢) قسي : اسم ثقيف . وج : واد بالطائف .

(٣) ضاحية : ظاهرة . (٤) لم يغوروا : لم يذهبوا .

(٥) لية : موضع قريب من الطائف . النصور : قيل لأنها جمع ناصر وقيل : هم بنو نصر من هوازن . رهط مالك بن عوف النصري يقال لهم النصور ، كما يقال لبني المنذر : المناذرة .

قتلنا في الغبار بني حطيط
ولم يك ذو الخنار رئيس قوم
أقام بهم على سنن المنايا
فأفلت من نجا منهم جريصاً
ولا ينفى الأمور أخو التواني
أحانهم وحن وملكوه
بنو عوف تميح بهم جياذ
فلولا قارب وبنو أبيه
ولكن الرياسة عموها
أطاعوا قارباً ولهم جدود
فإن يهدوا إلى الإسلام يلقوا
وإن لم يسلموا فهم أذان
كما حكتت بني سعد وحرب
كان بني معاوية بن بكر
فقلنا أسلوا إنا أخوكم
كان القوم إذ جاءوا إلينا

قال ابن هشام : غيلان : غيلان بن سلة الثقفي ، وعروة : عروة بن مسعود الثقفي .

مقتل دريد : قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون ، أتوا الطائف ومعهما مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثيايا .

(١) زور : مائلة . (٢) الجريص : من يغص بريقه . والجمع : جريص .

(٣) الفلق : ضيق الخلق . الصريرة : مصفر الصرورة وهو الذي لم يتزوج ، والحصور :

الذي لا يأتي النساء .

(٤) تميح : تمشي مشياً مستويا . الفصافص : جمع نصفصة : النبات الذي تأكله

(٥) المنقفير : الدامية .

المواشي رطباً .

فأدرك ربيعة بن رُفَينع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن الدغنة وهي أمه ، فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لدغنة فيما قال ابن هشام - دريد بن الصمة ، فأخذ بخطط جملته وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه في شجار له ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخ كبير . وإذا هو دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أقتلك قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن ربيع السلمي ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يغز شيئا ، فقال : بئس ما سلحتك أمك ! أخذ سيفي هذا من مؤخر الرجل ، وكان الرجل في الشجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فإني كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة ، فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوقع تكشف ، فإذا عجانه (١) وبطون نغذيه مثل القرطاس ، من ركوب الخيل أعراء ؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله لإياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا .

فقالت عمرة بنت دريد في قتل ربيعة دريدا :

لعمرك ما خشيت على دريد	بطن سميرة جيش العناق (٢)
جزى عنه الإله بنى سليم	وعقبتهم بما فعلوا عقاق
وأسقانا إذا قدنا إليهم	دماء خيارهم عند التلاق
فرب عظيمة دافعت عنهم	وقد بلغت نفوسهم التراق
ورب كريمة أعتقت منهم	وأخرى قد فككت من الوثاق
ورب منوّه بك من سليم	أجبت وقد دعاك بالارماق (٣)
فكان جزاؤنا منهم عقوقا	وهما ماع منه مخ ساق
عفت آثار خيلك بعد أين	بذى بقر إلى فيف الهاق (٤)

وقالت عمرة بنت دريد أيضاً

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا	فظل دمعى على السربال ينحدر
لولا الذى قهر الأقوام كلهم	رأت سليم وكعب كيف تأتمر
إذن لصبحهم غبا وظاهرة	حيث استقرت نواهم ججفل ذفر (٥)

(١) العجان : الاست . (٢) سميرة : واد قرب حنين . العناق : الامر الشديد .

(٣) الرماق : بقية الحياة . (٤) ذوبقر : موضع . فيف : قفر . الهاق : موضع .

(٥) الغب في الأصل : أن ترد الإبل الماء يوما بعد يوم . وظاهرة : أن ترده كل يوم . ذفر : ذو . رائحة كريهة من صدأ الحديد .

قال ابن هشام : ويقال اسم الذي قتل دريدا : عبد الله بن قنيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة .
قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل أوطاس
أباعر الأشعري ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال فرمى أبوعامر بسهم
فقتل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعري ، وهو ابن عمه فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم .
فيزعمون أن سلمة بن دريد هو الذي رمى أباعامر الأشعري بسهم : فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال :

إن تسألوا عني فإني سلمة ابن سمادير لمن توسمه
أضرب بالسيف رموس المسلمة .

وسمادير : أمه .

واستحر القتل من بني نصر في بني رثاب ، فزعموا أن عبد الله بن قيس - وهو الذي يقال
له ابن العوراء ، وهو أحد بني وهب بن رثاب - قال : يا رسول الله هلكت بنو رثاب .
فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجبر مصيبتهم .
وخرج مالك بن عوف عند المزيمة ، فوقف في فوارس من قومه ، على ثنية من الطريق ،
وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم ، وتلحق أخراكم . فوقف هناك حتى مضى من كان
لحق بهم من منهزمة الناس ؛ فقال مالك بن عوف في ذلك :

ولولا كرتان على مُحاج لضاق على المضاريط الطريق^(١)
ولولا كر دهمان بن نصر لدى النخلات مندفع الشديق^(٢)
لآبت جعفر وبنو هلال خزايا محقين على شقوق^(٣)

قال ابن هشام : هذه الأبيات لمالك بن عوف في غير هذا اليوم . وما يدلك على ذلك قول
دريد بن الصمة في صدر هذا الحديث : ما فعلت كعب وكلاب ؟ فقالوا له : لم يشهدا منهم
أحد . وجعفر بن كلاب . وقال مالك بن عوف في هذه الأبيات : « لآبت جعفر وبنو هلال » .
قال ابن هشام : وبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية ، فقال لأصحابه : ماذا

(١) محاج : فرس مالك : المضاريط : الأجراء .

(٢) الشديق : واد من وديان الطائف .

(٣) محقين : مردفين . شقوق : أي على مشقة .

ترونها ؟ فقالوا : نرى قوما واضعى رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلة بوادهم^(١) ؛ فقال : هؤلاء بنو سليم ، ولا بأس عليكم منهم ؛ فلما أقبلوا سلخوا بطن الوادى . ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ؛ فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوما عارضى رماحهم ، أغفالا^(٢) على خيلهم فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى الثانية سلخوا طريق بنى سليم . ثم طلع فارس ؛ فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى فارسا طويل الباد ، واضعا رمحاً على عاتقه ، عاصبا رأسه بملاء حمراء فقال هذا الزبير بن العوام وأحلف باللات ليخالطنكم ، فابتدأوا . فلما انتهى الزبير إلى أصل الثانية أبصر القوم ، فصمد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها .

قال ابن إسحاق : وقال سلبه بن دريد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نسيتنى ما كنت غير مصابية ولقد عرفت غداة نغف الاظرب^(٣)
أنى منعتك والركوب محبب ومشيت خلفك مثل مشى الانكب^(٤)
إذ فر كل مهذب ذى لمه عن أمه وخيله لم يعقب

قال ابن هشام : وحدثني من أتق به من أهل العلم بالشعر ، وحديثه : أن أبا عامر الأشعري لقي يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ، وبقي العاشر ؛ فحمل على أبي عامر ، وحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ؛ فقال الرجل : اللهم لا تشهد على ، فكف عنه أبو عامر ، فأفلت ؛ ثم أسلم بعد لحسن إسلامه . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : هذا شريد أبي عامر . ورى أبا عامر أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث ، من بنى جشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه ، والآخر ركبته ، فقتلاه . وولى الناس أبو موسى الأشعري فحمل عليهما فقتلتهما ، فقال رجل من بنى جشم بن معاوية يرثيها :

(١) بوادهم : جمع باد وهو باطن الفخذ . (٢) أغفالا : غير معدين بعلامة .
(٣) النغف أسفل الجبل . الاظرب : الجبل الصغير .
(٤) الانكب : المائل إلى جهة .

إن الرزية قتل العلاء وأوفى جميعاً ولم يستدا (١)
 هما القاتلان أبا عامر وقد كان ذا هبة أربدا (٢)
 هما تركاه لدى معرك كان على عطفه مجسدا (٣)
 فلم تر في الناس مثليهما أقل عثارا وأرى يدا

المنهي عن قتلهم : قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس متقصفون (٤) عليها فقال : ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : أدرك خالداً ، فقل له : إن رسول الله ينهك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً (٥) .

الشيء أخبت الرسول : قال ابن إسحاق ، وحدثني بعض بني سعد بن بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : إن قدرتم على مجاد ، رجل من بني سعد بن بكر ، فلا يفتلكم ، وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الأشياء ، بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعشفتها وأهليها في السياق : فقالت للسليين : تعلموا والله أني لأخت صاحبكم من الرضاعة ؛ فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : لحدثني يزيد بن عبيد السعدي ، قال : فلما انتهى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : يا رسول الله ، إني أختك من الرضاعة ، قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عصة عضضتها في ظهري وأنا متوركتك قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه ، وخبرها ، وقال : إن أحببت فعندي محبة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتك (٦) وترجعي إلى قومك فعلت ، فقالت بل تمتعني وتردني إلى قومي فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردها إلى قومها : فزعمت بنو سعد أنه أعطاهم غلاماً له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

-
- (١) لم يستدا : لم يبق فيهما رمق . (٢) ذا هبة : له سيف ذو هبة : والهبة الاهتزاز .
 (٣) المجسد : المصبوغ بالجساد وهو الزعفران .
 (٤) متقصفون : مجتمعون في ازدحام . (٥) العسيف : الأجير .
 (٦) أى أعطيك ما يمتك أى ما يكون فيه تمتك وانتفاعك .

ها أنزل الله في حنين : قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل في يوم حنين : ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ، : . إلى قوله « ذلك جزاء الكافرين » .

شهداء حنين : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين :

من قریش ثم بنى من هاشم : أيمن بن عبيد .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جمع به فرس له يقال له الجناح ، فقتل .

ومن الأنصار : سراقه بن الحارث بن عدى ، من بنى العجلان .

ومن الأشعرين : أبو عامر الأشعري .

سبايا حنين وأموالها : ثم جمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حنين وأموالها ، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفارى ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال إلى الجعرانة ، فحبست بها .

ما قبل من الشعر يوم حنين : وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم حنين :

لولا الإله وعبيده وليتم	حين استخف الرعب كل جبان
بالجزع يوم جبا لنا أقراتنا	وسوايح يَكْتَبُونَ للأذقان (١)
من بين ساع ثوبه في كفه	ومقطر بسنابك ولبان (٢)
والله أكرمنا وأظهر ديننا	وأعزنا بعبادة الرحمن
والله أهلكهم وفرق جمعهم	وأذلهم بعبادة الشيطان

قال ابن هشام : ويروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عم نبيكم ووليه	يدعون : يا لكتيبة الإيمان
أين الذين هم أجابوا ربهم	يوم العريض وبيعة الرضوان

(١) الجزع : ما انعطف من الوادى . جبا : اعترض : سوايح : أى خيل سوايح : وهى المصرة . يكتبون : يسقطون .

(٢) مقطر : ملقى على قطره ، أى جنبه . ولبان الفرس : صدره .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس في يوم حنين :

لاني والسوايح يوم جمع	وما يتلو الرسول من الكتاب
لقد أحبت ما لقيت ثقيف	يجذب الشعب أمس من العذاب
هم رأس العدو من اهل نجد	فقتلهم ألد من الشراب
هزمتنا أجمع جمع بني قسي	وحكت بركها بنى رثاب (١)
وصرما من هلال غادرتهم	بأوطاس تعفر بالتراب (٢)
ولو لأقين جمع بني كلاب	لقام نساؤهم والنقع كابي
ركضنا الخيل فيهم بين بس	إلى الأورال تنحط بالنهاب (٣)
بذي لجب رسول الله فيهم	كثيبته تعرض للضرب

قال ابن هشام : قوله « تعفر بالتراب » : عن غير ابن إسحاق .

فأجابه عطية بن عصفية النصرى ، فيما حدثنا ابن هشام ، فقال :

أفاخرة رفاعه في حنين	وعباس بن راضعة اللجاب (٤)
فإنك والفجار كذات مرط	لربتها وترفل في الإهاب

قال ابن إسحاق : قال عطية بن عفيف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن في يوم

حنين . ورفاعة من جهينة .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتم النبلاء إنك مرسل	بالحق كل هدى السبيل هداكا
إن الإله بنى عليك محبة	في خلقه ومحمداً سماكا
ثم الذين وفوا بما عاهدتهم	جند بعث عليهم الضحكا
رجلاً به ذرب السلاح كأنه	لما تكتفه العدو يراكا (٥)
يغشى ذوى النسب القريب وإنما	يغنى رضا الرحمن ثم رضاكا
أنيك أنى قد رأيت مكره	تحت العجاجة يدمغ الإشراكا
طورا يعانق باليدين وتارة	يفرى الجاحم صارما بتاكا (٦)

(١) البرك : الصدر ، ويريد بحكمة بركها : شدة وطأة الحرب .

(٢) الصرم : الجماعة من الناس أو البيوت المنقطعة عن الحى .

(٣) بس والأورال : مكانان تنحط . تخرج أنفاسها عالية . (٤) اللجاب : العنز .

(٥) الذرب : الحدة . (٦) بتاك : قاطع .

يفشى به هام السكاة ولو ترى
وبنو سليم معنقون أمامه
يمشون تحت لوائه وكأنهم
ماير تجون من القريب قرابة
هذى مشاهدنا التي كانت لنا

وقال عباس بن مرداس أيضا :

إما تَسْرَى يا أم فروة خيلنا
أوهى مقارعة الأعادى دمها
قارب قائلة كفا ما وقعنا
لاؤفد كالؤفد الأولى عقدوا لنا
وفد أبو قطن حراية منهم
والقائد المائة التي وفى بها
جمعت بنو عوف ورهط غناشن
فهنالك إذ نصر النبي بألفنا
فزنا برايته وأورث عقده
وغداة نحن مع النبي جناحه
كانت إجابتنا لداعى ربنا
في كل سابعة تخيير سردها
ولنا على برى حنين موكب
نصر النبي بنا وكنا معشراً

منها معطلة تقاد وظلع^(١)
فيها نرافد من جراح تنبع
أزم الحروب فسر بها لايفزع^(٢)
سبياً بجبل محمد لايقطع
وأبو الغيث وواسع والمقنع
تسع المثين فتم ألـب أقرع^(٣)
ستا وأحلب من خفاف أربع
عقد النبي لنا لواء يلعب
بجد الحياة وسودداً لاينزع
يطاح مكة والقنا يتهزع^(٤)
بالحق منا حاسر ومقنع
داود إذ نسج الحديد وثببع^(٥)
دمغ النفاق وهضبة ماقلع
في كل فائبة نصر وثفع

(١) معنقون : مسرعون . دراك : متابع .

(٢) المراك : اللداعة .

(٣) الظلع : العرج .

(٤) الأزم : الشدة .

(٥) ألف أقرع : أى ألف بالتمام .

(٦) يتهزع : يضطرب .

(٧) السابعة : الدروع الكاملة . السرد : النسج . تبع : لقب ملوك اليمن القدماء .

ذذنا غدا تئذ هوازن بالتنا
لذ غاف حدم النبي وأسدوا
تدعى بنو جشم وتدعى وسطه
حتى إذا قال الرسول محمد
رحنا ولولا نحن أجحف بأسهم

وقال عباس بن مرداس أيضا في يوم حنين :

عفا مجدل من أهله فتال
ديار كنا يا مجدل إذ جل غيشتنا
حبيبة ألوت بها غربة النوى
فإن تبتغي الكفار غير ملومة
دعاني إليهم خير وفد علمتهم
لجئنا بألف من سليم عليهم
نبايعه بالآخشبين وإنما
لجئنا مع المهدي مكة عنوة
عدنية والخييل يغشى متونها
ويوم حنين حين سارت هوازن
صبرنا مع الضحاك لا يستغزنا
أمام رسول الله يخفق فوقنا

فطلا أريك قد خلا فللمصانع (٢)
رخی وصرف الدار للحي جامع
لبين فهل ماض من العيش راجع
فإني وزير للنبي وتابع
خزيمة والمرار منهم وواسع
لبوس لهم من نسج داود رائع
يد الله بين الآخشبين نبايع (٤)
بأسيافتنا والنقع كاب وساطع (٥)
حيم وآن من دم الجوف ناقع (٦)
إلينا وضائق بالنفوس الأضالع
قراع الأعادى منهم والوقائع
لواء كحذروف السحابة لامع (٧)

- (١) الأبناء : الجماعة ليست من أصل واحد .
(٢) أبحف : نقص .
(٣) مجدل : مكان : متالع : جبل . المطلاء : الأرض السهلة . أريك : موضع . المصانع :
ما يجتمع فيها ماء المطر كالآحواض .
(٤) الآخشبان : جبلان بمكة .
(٥) جئنا : وطننا . المهدي : نبي المهدي محمد صلى الله عليه وسلم . كاب : مرتفع . ساطع : متفرق .
(٦) الحميم هنا : العرق . آن : حار . ناقع : كثير .
(٧) كحذروف السحابة : طرفها .

عشية ضحاك بن سفيان معتص
نذود أخانا عن أخينا ولو نرى
ولكن دين الله دين محمد
أقام به بعد الضلالة أمرنا
وقال عباس بن مرداس أيضا في يوم حنين :

تقطع باقي وصل أم مؤمل
وقد حلفت بالله لا تقطع القوى
خفافية بطن العقيق مصيفها
فإن تتبع الكفار أم مؤمل
وسوف ينبيها الخبير بأتنا
وأننا مع الهادي النبي محمد
بفتيان صدق من سليم أعزة
خفاف وذكوان وعوف تخالهم
كان النسيج الشهب والبيض ملبس
بماقبة واستبدلت نية مُخلفا^(٢)
فما صدقت فيه ولا برت الحلفا^(٤)
وتحتل في البادين وجرة فالعرفا^(٥)
فقد زودت قلبي على نأيها شغفا
أبيننا ولم نطلب سوى ربنا حلفا
وفينا ولم يستوفها معشر ألفا
أطاعوا فما يعصون من أمره حرفا
مصاعب زافت في طروقتها كُلفا^(٦)
أسوداً تلاقى في مراصدها غُصفا^(٧)

(١) معتص : ضارب . كانع : مقرب .

(٢) يريد أنه من بني سليم ، وسليم من قيس ، كما أن هوازن من قيس ، كلاهما ابن منصور
ابن عكرمة بن خصفة بن قيس ، فمعنى البيت : نقاتل لإخوتنا ونذودهم عن إخوتنا من سليم ، ولو
نرى في حكم الدين مصالا مفعلا من الصولة ، لكننا مع الأقربين هوازن .

ولكن دين الله دين محمد رضينا به فيه الهدى والشرائع
(٣) النية : من النوى وهو البعد . وخلفاً يجوز أن يكون مفعولا من أجله أى : فعلت ذلك
من أجل الخلف ، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً للاستبدال ، لأن استبدالها به خلف منها
لما وعدته به ، ويقوى هذا البيت البيت الذى بعده .

(٤) القرى : قوى الجبل هنا : وهو العهد ، وهذا هو الخلف المتقدم ذكره .

(٥) خفافية : نسبة إلى بني خفاف . العقيق : واد بالحجاز . وجرة والعرف : موضعان .

(٦) مصاعب : فحول . زافت : تحركت . الطروق : التى يطرقها الفحول . كلف : سود .

(٧) الشهب التى : يخالط بياضها حمرة . غصنف : مسترخية الآذان .

بنا عز دين الله غير تنحل
بمكة إذ جثنا كأن لواءنا
على شخص الأبهار تحسب بينها
غداة وطننا المشركين ولم نحمد
بمسترك لا يسمع القوم وسطه
بيض تطير الهام عن مستقرها
فكائن تركنا من قتيل ملحب
رضا الله تنوى لا رضا الناس نبتغى

وقال عباس بن مرداس أيضا :

ما بال عينك فيها عاثر سهر
عين تأوبها من شجوها أرق
كأنه ظلم در عند ناظمة
يا بعد منزل من ترجو مودته
دع ما تقدم من عهد الشباب فقد
واذكر بلاء سليم في مواطنها
قوم هم نصرُوا الرحمن واتبعوا

مثل الحماطة أغضى فوقها الشفعر^(١)
فالماء يغمرها طوراً وينحدر
تقطع السلك منه فهو مشتر^(٢)
ومن أتى دونه الصبان فالحفر^(٣)
ولى الشباب وزار الشيب والزعر^(٤)
وفى سليم لأهل الفخر مفتخر
دين الرسول وأمر الناس مشنجر

(١) المراد : جمع مرود وهو الودد . العرف : الصوت .

(٢) الزجة : الصوت . التذامر : الحضر . والنقف في الأصل : كسر الحنظلة واستخراج
حبوبها ، ويريد به هنا كسر رهوس الأعداء .

(٣) ملحب : مقطع اللحم .

(٤) الحماطة : تبين الذرة خامة . أغضى فوقها : أغضى عليها جفنيه . الشفر : منبت الشعر
في جفن العين .

(٥) مشتر : متفرق .

(٦) الصبان والحفر : موضعان .

(٧) الزعر : قلة الشعر أو تفرق الشعر فوق الرأس .

لا يغرسون فسيل النخل وسطهم
إلا سوايح كالعقبان مقربة
تدعى خُمام وعوف في جوانبها
الضاربون جنود الشرك صاحبة
حتى دفننا وقتلام كأنهم
ونحن يوم حنين كان مشهدنا
إذ ركب الموت مخضراً بطاته
تحت اللواء مع الضحاك يقدمنا
في مأزق من بحر الحرب كلكتها
وقد صبرنا بأوطاس أسنتنا
حتى تأوب أقوام منازلهم
فما ترى معشراً قلوباً ولا كثروا
وقال عباس بن مرداس أيضاً :

يا أيها الرجل الذي تهوى به
إما أتيت على النبي فقل له
ياخير من ركب المطى ومن مشى
وجناءً بمجرّة المناسم هرمس^(١)
حقاً عليك إذا أطمأن المجلس
فوق التراب إذا تعدد الأنفوس

(١) الفسيل : صغار النخل . أى هم ليسوا أهل زرع ولا رعاة بقر وإنما جل عملهم الحرب .
(٢) السوايح : الحيل السريعة . والعقبان : جمع عقاب . طائر من الجوارح قوى المخالب
أعقف المنقار حاد البصر . يطلق على المذكر والمؤنث . مقربة : قرية من الدور محافظة عليها
لكرمها . الدارة : ما أحاط بالىء . الأخطار : جماعات الإبل . العكر : الإبل الكثيرة .

(٣) الذيل : الذير لاسلاح معهم .

(٤) ساطع : أى غبار ساطع وهو المتفرق .

(٥) الخادر : الداخل في خدره وهو أكمة الأسد .

(٦) الكلكل : الصدر .

(٧) الوجناء : الضخمة . المجرمة : مجتمعة الجسم . المناسم : مقام خف البعير . الهرمس : الشديدة .

إنّا وفينا بالذى عاهدتنا والحيل تقدع بالحكمة وتضرس^(١)
 إذا سال من أفناء بهتة كلها جمع تظل به المخارم ترجس^(٢)
 حتى صبحنا أهل مكة فيلقا شباء يقدمها الهمام الأشوس^(٣)
 من كل أغلب من سليم فوقه يضاء محكمة الدخال وقونس^(٤)
 يروى القناة إذا تجاسر في الوغى وتخاله أسداً إذا ما يعبس^(٥)
 يغشى الكنية معلما وبكفه غضب يقدر به ولدن مدعس^(٦)
 وعلى حنين قد وفى من جمعنا ألف أمد به الرسول عرندس^(٦)
 كانوا أمام المؤمنين دريئة والشمس يومئذ عليهم أشمس
 نمضى ويحرسنا الإله بحفظه والله ليس بضائع من يحرس
 ولقد حبسنا بالمناقب محبسا رضى الإله به فنعم المحبس
 وغداة أو طاس شددنا شدة كفت العدو وقيل منها : يا احبسوا
 تدعو موازن بالإخاوة بيتنا ثدى تمد به موازن أيبس
 حتى تركنا جمعهم وكأنه غير تعاقبه السباع مفرس

قال ابن هشام : أنشدني خلف الأحمر قوله : « وقيل منها يا احبسوا » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

نصرنا رسول الله من غضب له بألف كفى لاتعد حواسره^(٧)
 حملنا له في عامل الرمح راية يذود بها في حومة الموت فاصره

(١) تقدع : تكف . تضرس : تخرج .

(٢) بهتة : حى من سليم . المخارم : الطرق الجبلية . ترجس : تتحرك .

(٣) الأشوس : الذى ينظر فطر المتكبر .

(٤) القونس : أجل بيضة الحديد .

(٥) الغضب : السيف القاطع . لدن : لين . مدعس : طعان .

(٦) عرندس : شديدة .

(٧) الحواسر : الذين لادروع عليهم .

ونحن خضبتا ما دما فهو لوننا
 وكنا على الإسلام ميمنة له
 وكان لنا عقد اللواء وشاهره
 يشاورنا في أمره ونشاوره
 دعانا فسيمانا الشعار مقدما
 وكنا له عوننا على من يناكره^(١)
 جزى الله خيرا من نبي محمداً
 وأيده بالنصر والله ناصره

قال ابن هشام : أنشدني من قوله : « وكنا على الإسلام ، إلى آخرها ، بعض أهل العلم بالشعر ، ولم يعرف البيت الذي أوله : « حملنا له في عامل الزبح راية » . وأنشدني بعد قوله : « وكان لنا عقد اللواء وشاهره » ، « ونحن خضبتاه دما فهو لونه » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

من مبلغ الأرقام أن محمداً
 دعا ربه واستنصر الله وحده
 رسول الإله راشد حيث يما
 فأصبح قد وفى إليه وأنعما
 سرينا وواعدنا قديداً محمداً
 تماروا بنا في الفجر حتى تبينوا
 على الخيل مشدودا علينا دروعنا
 فإن سراة الحى إن كنت سائلا
 وجند من الأنصار لا يخذلونه
 فإن تك قد أثمرت في القوم خالداً
 بمجد هده الله أنت أميره
 مع الفجر فتيانا وغاباً مقوما^(٢)
 ورجلا كده^(٣) الخ الآتى^(٤) عرمرما^(٥)
 سليم وفيهم منهم من تسلبا^(٥)
 أطلعوا فما يصونه ما تكلموا
 وقدمته فإنه قد تقدما
 تعصيب به في الحق من كان أظلمنا

(١) شاجره : خالطه بالرح .

(٢) أصل الشعار : الثياب التي تلى الجسد . كناية عن القرب .

(٣) تماروا : شكروا . الغاب : الرماح .

(٤) الآتى : السيل . العرمرم : الكثير .

(٥) يريد بن تسلبا : أن في سليم من اعتزى إليهم من حلفائهم ، فتسلم بذلك ، كما تقول تقيس الرجل ، إذا اعتزى إلى قيس . أنشد سيويوه :

وقيس عيلان ومن تقيسا

حلفتُ يميناً برة لمحمد	فأثلتها ألفاً من الخيل ملجماً
وقال نبي المؤمنين تقدموا	وُحِب إلينا أن نكون المقدما
وبتنا بنهى المستدير ولم يكن	بنا الخوف إلا رغبة وتحزماً
أطعناك حتى أسلم الناس كلمهم	وحق صبحنا الجمع أهل يلبنا ^(١)
يضل الحصان الأبلق الورد وسطه	ولا يطمئن الشيخ حتى يسوما ^(٢)
سمونا لهم ورد القطا زفته ضحى	وكل تراه عن أخيه قد احجما ^(٣)
لذن غدوة حتى تركنا عشية	حنينا وقد سالت دوانعه دما ^(٤)
إذا شئت من كل رأيت طمرة	وفارسها يهوى ورعها عظما ^(٥)
وقد أحرزت مناها وزن سربها	وحب إليها أن نخيب ونحرما ^(٦)

قال ابن إسحاق : وقال ضمضم بن الحارث بن جشم بن عبد بن حبيب بن مالك بن هوف
ابن يقظة بن عسمية السلمي في يوم حنين : وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكم بن خالد بن الشريد،
فقتل به محجنا وابن عم له ، وهما من ثقيف :

نحن جالبنا الخيل من غير مجلب	إلى جرش من أهل زيان والقم
نقتل أشبال الأسود ونبتغى	طواغى كانت قبلنا لم تهدم
فإن تفخروا بابن الشريد فأتنى	تركت بوج مأتما بعد مأتيم
أبأتهما بابن الشريد وغسره	جواركم وكان غير مذمم
تصيب رجالاً من ثقيف رماحنا	وأسيافنا يكلمهم كل مكلم

وقال ضمضم بن الحارث أيضاً :

أبلغ لديك ذوى الحلائل آية	لأن آمنن الدهر ذات خمار
بعد التي قالت لجارة بيتها	قد كنت لو لبث الغزى بدار

-
- (١) يللم : ميقات حجاج اليمن ومن أتوا عن طريقها .
(٢) الأبلق : الذى يختلط لونه بالسواد والياض . الورد : المشرب بالحمرة . يسوم : يعلم .
(٣) القطا : طائر . زفه : أسرع به .
(٤) دوافع : مجارى السيل .
(٥) الطمرة : الفرس السريعة .
(٦) السرب : المال الراعى .

لما رأت رجلا تسفع لونه وغثر المصيفة والعظام هواري (١)
 مشط العظام تراه آخر ليله متسرבלا في درعه لغوار (٢)
 إذ لا أزال على رحالة نهدة جرداء تلحق بالنجاد إزاري (٣)
 يوما على أثر الهاب وتارة كسبت مجاهدة مع الانصار
 وزهاء كل خيلة أزمتها مهلا تمهله وكل خبار (٤)
 كئيبا أغير ماها من حاجة وتود أنى لا أووب لجار (٥)

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة ، قال : أسر زمير بن العجوة الهذلي يوم حنين ، فكشف
 فرآه جبل بن معمر الجمحي ، فقال له أنت الماشي لنا بالمقايظ ؟ فضرب عنقه ؛ فقال أبو خراش (٦)
 الهذلي يرثيه ، وكان ابن عمه :

عجف أضيافى جميل بن معمر بذى لجر تأوى إليه الأرامل
 طويل نجما السيف ليس بمجيد إذا اهتز واسترخت عليه الحائل (٧)
 تكاد يدها تسلبان إزاره من الجود لما أذلته الشمال (٨)
 إلى بيته يأوى الضريك إذا شتا ومستنجح بالي الدريسين عائل (٩)

(١) تسفع : تغير إلى السفعة . وهى سواد مشبع بحمرة . الوغر : شدة الحر . المصيفة :
 الأرض شديدة الحرارة .

(٢) مشط العظام : قليل اللحم الذى على عظمه . لغوار : للإغارة .

(٣) الرحالة : السرج . نهدة : غليظة . النجاد : حائل السيف .

(٤) الخميعة : الموضع الكثير الشجر . الحبار : مالان واسترخى من الأرض .

(٥) لجار : تستعمل في النداء عادة فيقال يا لجار المرأة الفاجرة .

(٦) واسمه خويلد بن مرة . شاعر إسلامى مات في خلافة عمر .

(٧) الجيدر : القصير .

(٨) يريد أنه من كثرة سخائه يوشك أن يتجرد من إزاره يعطيه ساءله والشمال : الرياح
 الباردة التى تأتى من ناحية الشمال . أذلته : أجهده .

(٩) الضريك : الفقير . المستنجح : من يطرق ديار القوم ليلا فينبح ، فتجاوبه كلاب الحى
 ليعرف مكان العمران . الدريسان : الثوريان الخلقان . عائل : فقير .

تروح مقرورا وهبت عشية	لما حذب تحتشه فيوائل (١)
فأبال أهل الدار لم يتصدعوا	وقد بان منها اللوذعي الحلاحل (٢)
فأقسم لو لاقيته غير موثق	لآبك بالنعف الضباع الجيائل (٣)
وإنك لو واجهته إذ لقيته	فنازله أو كشت بمن ينازل
لظل جميل أنخس القوم صرعة	ولكن قرن الظهر للره شائل
فليس كعهد الدار يأم ثابت	ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالشبيخ ليس بفاعل	سوى الحق شيئا واستراح العواذل
وأصبح لإخوان الصفاء كأنما	أهال عليهم جانب الزراب هائل
فلا تحسبي أتى نسيت لياليا	بمكة إذ لم نعد عما نحاول
إذ الناس فاس والبلاد بغرة	وإذ نحن لاثني علينا المداخل (٤)

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره :

منع الرقاد فما أغض ساعة	نعم بأبزاع الطريق مخضرم (٥)
سائل هوزان هل أضر عدوما	وأعين غارها إذا ما يغرم
وكتيبة لبستها بكتيبة	فتين منها حاسر وملام
ومقدم تميأ النفوس لضيقه	قدمته وشهود قوى أعلم (٦)
فوردته وتركه إخوانا له	يردون غمرته وغمرته الدم
فإذا انجلت غمراته أورتني	بجد الحياة وبجد غم يقسم
كفتموني ذنب آل محمد	والله أظلم من أعق وأعلم
وخذلتوني إذ أقاتل واحدا	وخذلتوني إذ تقايل خنعم

(١) المقرور : الذي أصابه القرو وهو البرد . والحذب في الأصل : انحدار الماء بشدة شبه به الريح المضطربة تحتشه : تسوقه سوقا سريعا . يوائل : يلب موثلا ، أى يطالب ملجئا .

(٢) لم يتصدعوا : لم يتفرقوا . اللوذعي . الفصيح . الحلاحل : السيد

(٣) آبك : رجع إليك . النعف : أسفل الجبل الجيائل : جمع جيئل : الضبع أيضا .

(٤) بغرة : بغلة .

(٥) النعم : الإبل : المخضرم : مقطوعة أطراف الأذان .

(٦) المقدم : الموضع الذي لا يتقدم فيه إلا الأبطال .

ولذا بنيت المجد يهدم بعضكم لا يستوى بأن وآخر يهدم
وأقرب غمخاص الشتاء مسارع في المجد ينمى للعلی متكرم (١)
أكرهت فيه آلة يزنية سحماء يقدمها سنان سلجم (٢)
وتركت سخته ترد وليه وتقول ليس على فلانة مقدم (٣)
ونصبت نفسى للرماح مدججا مثل الدرية تستحل وتشرم (٤)

قال ابن إسحاق : وقال قائل في هوزان أيضا ، يذكر مسيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أذكر مسيرهم للناس إذ جمعا ومالك فوفه الرايات تخفق
ومالك مالك مافوقه أحد يوم حنين عليه التاج بألق
حق لقوا الناس حين الباس يقدمهم عليهم البيض والابدان والدرق
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحدا حول النبي وحق جنة الغسق
ثم نزل جبريل بنصرهم من السماء فهزوم ومعتق (٥)
منا ولوغير جبريل يقاتلنا لمنعتنا إذن أسيافا العلق
وفاتنا عمر للفاروق إذ هزموا بطعنة بل منها سرجه العلق (٦)

وقالت امرأة من بني جشم ترى أخوين لها أصيبا يوم حنين :

أعني جودا على مالك معا والملاء ولا تجمدا
هما القاتلان أبا عامر وقد كان ذا هبة أربدا
هما تركاه لدى مجسد ينوء نزيفا وما وسدا (٧)

(١) الأقب : ضامر الحضر . والمخماس : كذلك .

(٢) آلة : حربة . يزنية : منسوبة إلى ذى يزن الخيرى وهو أحد ملوك حمير . سحماء :

سوداء . سلجم : طويل . (٣) حته : زوجته .

(٤) الدرية : هى الدريئة : حلقة تنصب فيتعلم عليها العامن .

(٥) المعتق : الأخير . (٦) العلق : الدم .

(٧) المجسد : المصبوغ بالجساد وهو الزعفران . والمراد أن ثوبه قد صبغ بالدم .

وقال أبو ثواب زيد بن صحرار، أحد بني سعد بن بكر :

ألا هل أذاك أن غلبت قريش	هوازن والخطوب لما شروط
وكنا يا قريش إذا غضبنا	يحيى من الغضاب دم عيط ^(١)
وكنا يا قريش إذا غضبنا	كان أنوفنا فيها سعوط
فأصبحتنا تسوقنا قريش	سياق العير يحدها النديط ^(٢)
فلا أنا إن سئلت الحشف آب	ولا أنا أن ألين لهم نشيط
سيتقل لحها في كل فج	وتكتب في مسامعها القطوط ^(٣)

ويروى الخطوط ، ، وهذا البيت في رواية أبي سعد .

قال ابن هشام : ويقال : أبو ثواب زياد بن ثواب . وأنشدني خلف الأحمر قوله :
« يحيى من الغضاب دم عيط » ، وآخرها بيتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بني تميم ، ثم من بني أسيد ، فقال :

بشرط الله نضرب من لقينا	كأفضل ما رأيت من الشروط
وكنا ياهوازن حين تلقى	فيل الهام من علق عيط
بجمعهم وجمع بني قسي	نحك البرك كالورق الخيط ^(٤)
أصبنا من سرائكم وملنا	بقتل في اللبائن والخليط
به الملائك مفترش يديه	يمج الموت كالبيكر النحيط ^(٥)
فإن تك قيس عيلان غضابا	فلا ينفك يؤغهم سعوطى

(١) العيط : الطرى .

(٢) النديط : في الأصل قوم كانوا يكونون بين العراق والأردن أقاموا دولة عاصمتها البتراء ثم أطلقت هذه الكلمة على أخلاط الناس وعوامهم .

(٣) القطوط : الكتب التي تجمع فيها الأعمال .

(٤) الكلكل : صدر البعير . الورق الخيط : الذي ضرب بالمصالي يسقط . شبه شدة الحرب بما سبق

(٥) الملائك : اسم رجل . البكر : الفقى من الإبل . والنحيط : من يردد النفس في صدره

فلمسمع له صوتا .

وقال خديج بن العوجاء النهمري :

لما دنونا من حنين ومائه رأينا سواداً منكر اللون أخصفاً^(١)
بلمومة شهباء لو قذفوا بها شماريخ من عزوى إذنءاد صففاً^(٢)
ولو أن قوى طاوعت سراتهم إذن ما لقينا العارض المتكشفاً^(٣)
إذن ما لقينا جند آل محمد ثمانين ألفاً واستمدوا بخندفاً^(٤)

ذكر غزوة الطائف^(٥) بعد حنين في سنة ثمان

ولما قدم فكل^(٦) ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال : ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ، ولا غيد بن سلمة ، كانا بهجرش : يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور .^(٧)

(١) سواداً : أشخاصاً . الأخصف : الملون .
(٢) اللبومة : الكتبية المجتمعة . شهباء : كثيرة السلاح . الشماريخ : أعالي الجبال . صففاً : مستويا بالأرض .

(٣) العارض : السحاب . المتكشف : الواضح . يشبه به جنود المسلمين .
(٤) خندف : اسم قبيلة .

(٥) وأصل تسميتها كما ذكر بعض أهل النسب أن الدمون بن الصدف ، واسم الصدف . ملك بن مالك بن مرتع بن كندة من حضرموت أصاب دماً من قومه ، فلحق بثقيف ، فأقام فيهم ، وقال لهم : ألا أبني لكم حائطاً لطيف ببلدكم ، فبناه . فسمى به الطائف ، وذكره البكري هكذا قال : وإنما هو الدمون بن عبد بن مالك بن دهل ، وهو من الصدف ، وله ابنان أدركا النبي — صلى الله عليه وسلم — وبأبياءه ، اسم أحدهما : الحميل ، والآخر : قبيصة ، ولم يذكرهما أبو عمر في الصحابة ، وذكرهما غيره .

(٦) الفل : بقية الجيش المنهزم .

(٧) الدبابة : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيذبون بها إلى الأسوار لينقبوها ، والمنجنيق : آلة حربية من آلات الحصار ترمى الحجارة وغيرها من القذائف وجمعها مجانيق ومجانيق ومنجنيقات . والضنور : مثل رموس الأسفاط يتق بها في الحرب عند الانصراف ، وفي اليمن : الخيزر جلود يلقى بها خشب يتق بها في الحرب .

ما قبل من الشعر في غزوة الطائف : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ؛ فقال كعب بن مالك ، حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى الطائف :

قضينا من تهامة كل ريب	وخيبر ثم أجمعنا السيوف ^(١)
نخبرها ولو نطقت لقال	قواظم : دوسا أو مقيفا
فلست لحاضن إن لم تروها	بساحة داركم منا ألوف
وتتزع العروش يطن وج	وتصبح دوركم منكم خلوف
ويأتكم لئاسرعان خيل	يفادر خلقه جمعا كيفا
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم	لها ما أناخ بها رجيفا
بأيديهم قواضب مرمفات	يزرن المصطلين بها الحثوفا
كأمثال العقائق أخلصتها	قيون الفتد لم تضرب كيفا ^(٢)
تخال جدية الأبطال فيهم	غداة الزحف جاديا مدوفا ^(٣)
أجدم أليس لهم نصيح	من الأقوام كان بنا عريفا ^(٤)
يخبرهم بأنا قد جمعنا	عتاق الخيل والتجب الطروفا ^(٥)
وأنا قد أتيناهم بزحف	يحيط بسور حصنهم صفوفا
رئيسهم النبي وكان صلبا	نقى القلب مصطبرا عزوفا
رشيد الأمر ذو حكم وعلم	وحلم لم يكن نزقا خفيفا
نطيع نيتا ونطيع ربا	هو الرحمن كان بنا رموفا
فإن تلقوا إلينا السلم تقبل	وتجملكم لنا عضدا وريفا ^(٦)

-
- (١) أجمعنا : أرحنا . (٢) الكنيف : الصفائح الحديد .
 (٣) الجدبة : الدماء السائلة . الجادى : الوغران . مدوف : مخلوط .
 (٤) أجدم : أجد منهم : عريفا : عارفا .
 (٥) الطروف : نجية الأصل .
 (٦) الريف فى الأصل : الأرض المخصصة للزراعة خارج المدن . والمراد أن يجعلهم مساعدين لهم مستمدين عنهم من ريشهم .

وإن تأبوا نجاهدكم ونصبر
نجاهد ما بقينا أو تتيبوا
نجاهد لا نبالي من لقينا
وكم من معشر ألبوا علينا
أتونا لا يرون لهم كفاء
بكل مهند لين حقيـل
لأمر الله والإسلام حتى
وثبـسـى اللات والعزى وود
فأمسوا قد أقروا وأطمأنوا
ولا يك أمرنا رعشا ضعيفا^(١)
إلى الإسلام إذعانا مضيفا^(٢)
أأهلكنا التلاد أم الطريفا^(٣)
صميم الجندم منهم والحافـسا
فجدعنا المسامع والأنـوفا
يسوقهم بها سوقا خـنـيفا
يقوم الدين معتدلا خـنـيفا
ونسلبها القلاند والشنـوفا^(٤)
ومن لا يمتنع يقبل خسوفا

فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمرو ، فقال :

من كان يبغيـنا يريد قتالنا
وجدنا بها الآباء من قبل ماترى
وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر
فإننا بدار معلم لانريمها
وكانت لنا أطواؤها وكرومها^(٥)
فأخبرها ذو رأيها وحليمها^(٦)

(١) الرعش : المتقلب . (٢) مضيف : ملجئ .

(٣) التلاد : المال الموروث . الطريف : المال المستحدث .

(٤) الشنوف والإشناف جمع شنف : حلية تعلق في أعلى الأذن .

(٥) الأطواء : جمع طوى وهى البئر ، جمعت على غير قياس توهموا سقوط ياء فـعـلـ منها إذ كانت زائدة .

(٦) إنما قال هذا جوابا للأنصار ، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وعمرو هو مزريقاه ، وعامر هو ماء السماء ، ولم يرد أن الأنصار جربتهم قبل ذلك ، وإنما أراد إخوتهم ، وهم خزاعة لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر فى أحد القولين ، وقد كانوا حاربهم عند نزولهم مكة ، وقال البكرى فى معنى هذا البيت : إنما أراد بنى عمرو بن عامر بن صمصمة ، وكانوا مجاورين لثقيف وأمهـم عمرة بنت عامر بن الظرب العدوانى ، وأختها زينب كانت تحت ثقيف ، وأكثر قبائل ثقيف منها ، وكانت ثقيف قد أرسلت بنى عمرو بن عامر فى أرضهم ليعملوا فيها ، ويكون لهم النصف فى الزرع والنمر ، ثم إن ثقيفا منعهم ذلك ، وتمنعوا منهم بالحائط الذى بنوه حول حاضرم ، فخاربتهم بنو عمرو بن عامر ، فلم يظفروا منهم بشئ ، وجلوا عن تلك البلاد .

وقد علت إن قالت الحق أتأ إذا ما أبت مصر الحدود نقيماً^(١)
 نقومها حق يلين شريسها ويعرف الحق المين ظلومها
 علينا دلاص من تراث محرق كلون السماء زيتتها فهوها^(٢)
 نرفها عنا ببيض صوارم إذا جرت في غمرة لانثيها^(٣)
 قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إلى الطائف :

لاتصروا اللات إن الله مهلكها وكيف ينصر من هو ليس ينتصر
 إن التي مخرقت بالشد فاشتعلت ولم يقاتل لدى أحجارها هدر
 إن الرسول متى ينزل بلادكم يظعن وليس بها من أهلها بشر
 الطريق إلى الطائف : قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخلة
 السبائية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرغاء من لية^(٤) ، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه .
 قال ابن إسحاق : لحدثني عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ ببحرة الرغاء ، حين نزلها ، بدم
 وهو أول دم دم أقيده في الإسلام ، رجل ، من بني ليث قتل رجلاً من هذيل ، فقتله به :
 وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بلية ، بمحضر مالك بن عوف فهدم ، ثم سلك في طريق
 يقال لها الضيقة ، فلما توجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها ، فقال : ما اسم
 هذه الطريق ؟ فقيل له الضيقة ، فقال : بل هي اليسرى ، ثم خرج منها على نخب ، حتى نزل
 تحت سدرة يقال لها الصادرة ، قريبا من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : إما أن تخرج ، وإما أن نخرب عليك حائطك ؛ فأبى أن يخرج ، فأمر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بإخراجه .

القتل : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من الطائف ، فضرب به
 عسكره ، فقتل به ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ،

(١) صر خده : أماله إلى جهة تكبرا .

(٢) دلاص : الدروع اللينة . محرق : عمرو بن عامر ، لأنه أول من حرق العرب بالنار .

(٣) لانثيها : لانثيها .

(٤) أسماء أماكن بالطائف .

فكانت النبل تلاحم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ؛ فلما أصيب أولئك نفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم ، فحاصروهم بضعا وعشرين ليلة .

قال ابن هشام : ويقال سبع عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : ومعه امرأتان من نسائه ، إحداهما أم سلة بذت أبي أمية ، فضرب لها قبتين ، ثم صلى بين القبتين . ثم أقام ، فلما أسلحت ثقيف بنى على مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجدا ، وكانت في ذلك المسجد سارية ، فيها يزعمون ، لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا لاسمع لها نقيض (١) ، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالا شديدا ، وتراموا بالنبل .

قال ابن هشام : ورامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق . حدثني من أتق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابه ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد عمدة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعقاب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

أبو سفيان بن حرب والمغيرة يشاوضان مع ثقيف : وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة إلى الطائف ، فناديا ثقيفا : أن أمنونا حتى نكلمكم فأمنوهما ، فدعوا نساء من نساء من قریش وبني كنانة ليخرجن إليهما ، وهما يمانان عليهن السباء ، فأبين ، منهن آمنة بنت أبي سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود ، له منها داود بن عروة .

قال ابن هشام : ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبي سفيان ، وكانت عند أبي مرة بن عروة ابن مسعود ، فولدت له داود بن مرة .

قال ابن إسحاق ، والفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن بن قارب ، والفقيمية أميمة بنت الناسي أمية بن قلع ؛ فلما أبين عليهما ، قال لها ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان ويا مغيرة : ألا أدلكما على خير مما جثتا له ، إن مال بني الأسود بن مسعود حيث قد عليهما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف ، نازلا بواد يقال له العقيق ، ليس بالطائف مال أبعد رشاء ، ولا أشد مؤنة ، ولا أبعد عمارة من مال بني الأسود ، وإن محمدا إن

قطعه لم يعمر أبداً ، فكلناه فليأخذ نفسه ، أوليدعه لله والرحم ، فإن يبتنا وبينه من القرابة مالا يجمل ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

أبو بكر يفسر رؤيا للرمول (صر) : وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر ، إني رأيت أني أهديت لي قبة مملوءة زبداء ، فنقرها ديك ، ففراق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ارتحال المسلمين عن الطائف : ثم إن خويلدة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية ، وهي امرأة عثمان ، قالت : يا رسول الله ، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حتى بادية بنت غيلان بن مظعون بن سلمة ، أو حتى الفارعة بنت عتيل ، وكاتنا من أحلى نساء ثقيف .

فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلدة ؟ فخرجت خويلدة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : ما حديث حديثي خويلدة ، زعمت أنك قلت ؟ قال : قد قلته : قال أو ما أذن لك بهم يا رسول الله ؟ قال : لا ، قال : أملا أوذن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال فأذن عمر بالرحيل . فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج : ألا إن الحى مقبم . قال : يقول عبيدة بن حصن : أجل ، والله مجدة كراما ؛ فقال له رجل من المسلمين : فأنلك الله يا عبيدة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفا معكم ، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أتطعمها ، لعلها تلد لي رجلا ، فإن ثقيفا قوم مناكير (١) .

عبيد الطائف ينزلون إلى المسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مكدم ، عن رجال من ثقيف : قالوا : لما أسلم أهل الطائف تسلم نفر منهم في أولئك العبيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عتقاء الله ؛ وكان من تسلم فيهم الحارث بن كلدة .

قال ابن هشام : وقد سمي ابن إسحاق من نزل من أولئك العبيد .
شعر المضحاك بن سفيان وسببه : قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلا

(١) المناكير : جمع منكر : داه فطن ذكي .

لمروان بن قيس الدوسي ، وكان قد أسلم ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فرغمت ثقيف ، وهو الذي تزعم به ثقيف أنها من قيس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمروان بن قيس : خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه ، فلقى أبي بن مالك القشيري فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله ، فقام في ذلك الضحاك بن سفيان الكلبي ، فكلّم ثقيفا حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أبي بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان في شيء كان بينه وبين أبي بن مالك :

أتنى بلائى يا أميى بن مالك غداة الرسول معرض عنك أشوس (١)
يقودك مروان بن قيس بحبله ذليلا كما قيد الذلول الخيس (٢)
فعدت عليك من ثقيف عصاة مقى يأتهم مستقبس الشر يقبسوا
فكانوا هم المولى فعدت حلومهم عليك وقد كادت بك النفس تياس
قال ابن هشام : « يقبسوا » عن غير ابن إسحاق .

الشهداء يوم الطائف : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف .

من قريش ، ثم من بنى أمية بن عبد شمس : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية . وعرفطة ابن جناب ، حليف لهم ، من الأسد بن القوث .

قال ابن هشام : ويقال : ابن حجاب .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تيم بن مرة : عبد الله بن أبي بكر الصديق ، رمى بسهم ، فأت منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى مخزوم : عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، من رمية رمى بها يومئذ .

ومن بنى عدى بن كعب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى ستم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله ابن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جليحة بن عبد الله .

واستشهد من الأنصار : من بنى سلة : ثابت بن الجذع .

(١) الأشوس : من يعرض بنظره إلى جهة أخرى . (٢) الخيس : المذلل .

ومن بنى مازن بن النجار : الخارث بن سهل بن أبي صخرة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوزان بن معاوية .

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلاً ، سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بني ليث .

قصيدة بجير بن زهير في حنين والطائف : فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد القتال والحصار ، قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف :

كانت علالة يوم بطن حنين	وغداة أوطاس ويوم الأبرق (١)
جمعت باغواء هوازن جمعها	فتبدوا كالطائر المتزق
لم يجمعوا منا مقاماً واحداً	إلا جدارهم وبطن الخندق
ولقد تعرضنا لكيباً يخرجوا	فتحصنوا منا يباب مغلق
ترتد حسراناً إلى الرجراجة	شبهاء تلمع بالملأيا فيلق (٢)
ملومة خضراء لو قذفوا بها	حسناً لظل كأنه لم يخلق (٣)
مشى الضراء على المراس كأننا	قد نر تفرق في النياق وتلق (٤)

(١) العلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال ، يريد : أن هوازن جمعت جمعها علالة في ذلك اليوم ، وحذف التثنية من علالة ضرورة ، وأضمر في كانت اسمها ، وهو القصة وإن كانت الرواية بخفض يوم ، فهو أول من التزام الضرورة القبيحة بالنصب ، ولكن ألفيته في النسخة المقيدة ، وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جاز في علالة أن يكون منصوباً على خبر كان ، فيكون اسمها عائداً على شيء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع في علالة مع إضافتها إلى يوم ، على أن تكون كان تامة مكنتية باسم واحد ، ويجوز أن تجعلها اسماً علماً للمصدر مثل برة ولجار ، وينصب يوم على الظرف كما تفيد في النسخة . انظر الروض الآف ج ٤ ص ١٦٥ .

(٢) حسراناً ، جمع : حسير وهو الكليل . والرجراجة : الكتبية الضخمة من الرجرجة ، وهي شدة الحركة والاضطراب . وفيلق : من الفلق ، وهي الداهية .

(٣) ملومة : مجتمعة . خضراء : تظهر كذلك لكثرة ما عليها من الحديد . حسن : اسم جميل .

(٤) الضراء : الكلاب . والمراس : نوع من الشوك ، والكلاب إذا مشت في المراس

ابتغت لأيديها موضعاً ثم تضع أرجلها موضع أيديها . شبه الخيل بها . والقدر : الوعول المسنة .

في كل سابعة إذا ما استحسنت كالنهي هبت ريحه المترقق (١)
مجدل تمس فضولن نعالنا من نسج داود وآل محرق (٢)

أمر أموال هوازن وسباياها، وعطايا أولفة قلوبهم منها

وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل
الجمرة فبين معه من الناس، ومعه من هوازن سبي كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم
ظعن عن ثقيف : يا رسول الله، ادع عليهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اهد
ثقيفا وأت بهم .

ثم أتاه وفد هوازن بالجمرة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبي هوازن
سنة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الإبل والشاة ما لا يدري ما عدته .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو : أن وفد
هوازن أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل
وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامن علينا ، من الله عليك . قال : وقام
رجل من هوازن ، ثم أحد بني سعد بن بكر ، يقال له زهير ، يكنى أبا صرد ، فقال :
يا رسول الله ، إنا في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضك (٣) اللاتي كن يسكننك ، ولو أنا
ملحنا (٤) للحارث بن أبي شمر ، أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منا بئال الذي نزلت به ، رجونا
حلفه وعائده علينا ، وأنت خير المكفولين .

قال ابن هشام : ويروى ولو أنا ملحنا الحارث بن أبي شمر ، أو النعمان بن المنذر .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، قال :
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيتاكم وتساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا :
يا رسول الله ، خيرتنا بين أموالنا وأحبابنا . بل ترد إلينا نساءنا وأبنائنا ، فهو أحب إلينا ؛
فقال لهم : أما ما كالتى واني عبد المقلب فهو لكم ، ولماذا ما أنا حليت الظهر بالناس ، فقوموا

(١) الهى : الغدير سمي بذلك لأنه ماء نهاء ما ارتفع من الأرض من السيلان فوقف .

(٢) الجدل : المنسوجة نسجا محكما . آل محرق : آل عمر بن هند ملك الحيرة .

(٣) يقصد : حليمة السعدية فهي من بني سعد بن بكر . (٤) ملحنا : أرضعنا .

فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فأسأطعكم عند ذلك ، وأسأل لكم ؛ فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : يقول عباس بن مرداس لبني سليم : وهتتموني .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله لكل إنسان بست فرائض ، من أول سبي أصليه . فردوا إلى الناس أبناءهم ونسائهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى علي بن أبي طالب رضي الله عنه جارية ، يقال لها ربيعة بنت هلال بن حيان بن عميرة ابن هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفان جارية ، يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله ابن عمر ابنه .

قال ابن إسحاق : فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، قال : بعثت بها إلى أخوالي من بني جمح ، ليصالحوا لي منها ، ويهيئوها ، حتى أطوف بالبيت ، ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال : فخرجت من المسجد حين فرغت ، فإذا الناس يشتدون ؛ فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : رد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نسائنا وأبنائنا ؛ فقلت : تلکم صاحبکم فی بنی جمح ، فاذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها ، فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عيينة بن حصن ، فأخذ عجوزا من عجائر هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزا إني لأحسب لها في الحى نسبا ، وعسى أن يعظم فداؤها فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض ، أبى أن يردّها ، فقال له زهير أبو صرد : خذها عنك ، فوالله ما فوها يبارد ، ولا ثديها يباهد ، ولا بطنها يوالد ، ولا زوجها يواجد (١) ، ولا درها بماكد (٢) . فردّها بست فرائض حين قال له زهير ما قال ؛ فزعموا أن عيينة لقي

(٢) الماكه : الغزير .

(١) الزايد : الحزين .

الاقرع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة ، ولا نصفاً
وئيرة^(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ، وسأله عن مالك بن عوف ما فعل ؟
فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبروا مالكا أنه إن
أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ؛ فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من
الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلبوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
له ما قال ، فيحبسوه ، فأمر براحلته فبيئت له ، وأمر بفرس له ، فأتى به إلى الطائف ، فخرج
ليلاً ، فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس ، فركبها ، فخرج
برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجرانة أو بمكة ، فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه
مائة من الإبل ، وأسلم لحسن إسلامه ؛ فقل مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجريل إذا اجتدى ومضى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عردت أنيابها بالسهمى وضرب كل مهند
فكأنه لبث على أشباله وسط الهبابة خادر في مرصد

فاستعده رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ؛ وتلك القبائل : ثمالة ،
وسلمة^(٢) ، وفهم فكان يقاتل بهم ثقيفاً ، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه ، حتى ضيق عليهم
فقال أبو محجن^(٣) بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي .

هابت الأعداء جانبنا ثم تغزونا بنو سلمه
وأنا مالك بهم ناقصاً للعهد والحرمة
وأتونا في منازلنا ولقد كنا أولى نقيمه

(١) الغريرة متوسطة السن ، وكذلك النصف أيضاً . والوئيرة : السمينة .

(٢) قال السهيلي : هكذا تقييد في النسخة - بكسر اللام - ؛ والمعروف في قبائل قيس
سليمة - بالفتح -

(٣) اسمه : مالك بن حبيب ، وقيل عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن
غيرة بن عوف بن قيس الثقفي .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبائا حنين إلى أهلها ، ركب ، واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، أقسم علينا فيأنا من الإبل والغنم ، حتى ألجئوه إلى شجرة ، فاخطففت عنه رداءه ؛ فقال : أدوا على رداي أيها الناس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفتتموني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وبرة من سنامه ، فجعلها بين أصبعيه ، ثم رفعها ، ثم قال : أيها الناس ، والله مالي من فيشكم ولا هذه البرة إلا الخنس ، والخنس مردود عليكم ، فأدوا الخياط والنخيط (١) ، فإن الغلول (٢) يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً (٣) يوم القيامة . قال : فجاء رجل من الأنصار بكلمة من خيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لي دبر : فقال أما نصيب منها فلك قال : أما إذ بلغت هذا فلا حاجة لي بها ، ثم طرحها من يده .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن عقيل بن أبي طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبه بن ربيعة ، وسيفه متلطح دما . فقالت : إني قد عرفت أنك قد قاتلت ، فإذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : درتك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك ، فدفعها إليها ، فسمع منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئاً فليرده ، حتى الخياط والنخيط . فرجع عقيل ، فقال : ما أرى لبرتك إلا قد ذهبت ، فأخذها ، فألقاها في الغنائم .

قال ابن إسحاق : وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفه قلوبهم ، وكانوا أشرفاً من أشرف الناس ، يتألفهم ويتأنف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة ، أبا بني عبد الدار مائة بعير .

قال ابن هشام : نصير بن الحارث بن كلدة ، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضاً .

قال ابن إسحاق : وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي ، حليف بني زهرة مائة بعير ، وأعطى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مائة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير . وأعطى مالك بن عوف النعمرى مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

(١) الخياط . الخيط : والنخيط آلة الخياطة (الإبرة) .

(٢) الغلول : الحيانة . (٣) الشنار : الأمر القبيح الشنيع .

وأعطى دون المائة رجلاً من قريش ، منهم مخزومة بن نوفل الزهري ، وعمير بن وهب الجعفي ، وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي ، لا أحفظ ما أعطاهم ، وقد عرفت أنها دون المائة ، وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكشة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السهمي خمسين من الإبل .

قال ابن هشام : واسمه عدى بن قيس .

قال ابن إسحاق : وأعطى عباس بن مرداس أبا عر فسخطها ، فعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كانت	نهباً	تلافيتهما	بكرتني على المهر في الأجرع
وإيقاعني	القوم	أن يرقدوا	إذا هجع الناس لم أجمع
فأصبح	نهي ونهب	المبيد	د بين عينة والأقرع ^(١)
وقد كنت	في الحرب	ذا تدرا	فلم أعط شيئاً ولم أمنع
إلا	أفائل	أعطيتها	عديد قوائها الأربع ^(٢)
وما كان	حسن ولا حابس		يفوقان شيخي في الجمع ^(٣)
وما كنت	دون أمرى	منهما	ومن تضرع اليوم لا يرفع

قال ابن هشام : أنشدني يونس النحوي :

فما كان حسن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به ، فاقطعوا عنى لسانه ، فأعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أن عباس بن مرداس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت القاتل :

« فأصبح نهي ونهب المبيد بين الأقرع وعينة^(٤) » ؟

فقال أبو بكر الصديق : بين عينة والأقرع : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما

(١) المبيد : فرس عباس بن مرداس .

(٢) الأفائل : أصاغر الإبل .

(٣) شيخي : أبى .

(٤) لم ينطق عليه الصلاة والسلام البيت موزوناً لأنه لا يقول الشعر وإن كان يستتمه

وبستهجده . يقول سبحانه وتعالى : « وما علينا الشعر وما ينبغي له » .

واحد؛ فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: «وما علناه الضمير وما ينبغي له» .

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم في إسناده ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال: بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم ، فأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين .

من بني أمية بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وطلحة بن سفيان بن أمية ، وخالد بن أسيد بن أبي الميص بن أمية .

ومن بني عبد الدار بن قصي : شيبه بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد المزي بن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عُمَيْلَة بن السباق بن عبد الدار ، وعكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

ومن بني مخزوم بن يقظة: زهير بن أبي أمية بن المغيرة ، والحارث بن هشام بن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله ابن همر بن مخزوم ، والسائب بن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بني عدى بن كعب: مطيع بن الأسود بن حارثة بن فضلة ، وأبو جهم بن حذيفة ابن غانم .

ومن بني جمح بن عمرو: صفوان بن أمية بن خلف ، وأحيجة بن أمية بن خلف ، وعدير بن وهب بن خلف .

ومن بني سهم: عدى بن قيس بن حذافة .

ومن بني عامر بن لؤي: حويطب بن عبد المزي بن أبي قيس بن عبد ود وهشام بن عمرو بن ربيعة ابن الحارث بن حبيب .

ومن أنفاء القبائل: من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة: نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر ابن رزن بن يعمر بن نفثة بن عدى بن الدليل .

ومن بني قيس، ثم من بني عامر بن صعصعة ، ثم من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وليد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب .

ومن بنى عامر بن ربيعة : خالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر
ابن صمصمة ، وحرملة بن هوذة بن ربيعة بن عمرو .

ومن بنى نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع .

ومن بنى سليم بن منصور : عباس بن مرداس بن أبي عامر : أخو بني الحارث بن بهثة
ابن سليم .

ومن بنى غطفان ، ثم من بنى فزارة : عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر .

ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة : الأقرع بن حابس بن عقال ، من بنى بجاشع بن دارم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي : أن قاتلاً قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة ،
وتركت جعيل بن سراقه الضمري ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذي نفس محمد
بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع الأرض ، كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ،
ولكني تألفتهم ، وولكت جعيل بن سراقه إلى إسلامه .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مقسم أبي القاسم ،
مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي ، حتى أتينا عبد الله
ابن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلقا نعله بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين كله التيمي يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بني تميم ، يقال له
ذو الحويصرة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يا محمد ، قد رأيت ما صنعت في هذا
اليوم : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت :
قال بغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى ، فعند من يكون ؟
فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ألا أقتله ؟ فقال لا ، دعه فإنه سيكون له شيعة يتبعون
في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية يُنظر في النصل (١) ، فلا يوجد شيء ،
ثم في القدح (٢) ، فلا يوجد شيء ، ثم في الفوق (٣) ، فلا يوجد شيء ، سبق الفرت ، والدم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر يمثل حديث أبي عبيدة ،
وسماه ذا الحويصرة .

(١) النصل : حديد السهم (٢) القدح : السهم (٣) الفوق : طرف السهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن أبيه بمثل ذلك .
قال ابن هشام : ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى في قریش وقبائل العرب
ولم يعط الأنصار شيئاً ، قال حسان بن ثابت يعاتبه في ذلك :

زادت هموم فناء العين منحدرة	سحاً إذا حفلته عابرة كدر ^(١)
وجداً بشيء إذ شماء بهكنة	هيفاء لادنس فيها ولا خور ^(٢)
دمع عنك شماء إذ كانت مودتها	نرراً وشروصال الراصل النزر ^(٣)
وأت الرسول فقل ياخير مؤتمن	للؤمنين إذا ما عدد البشر
علام تدعى لملم وهي نازحة	قدام قوم هم آووا وهم نصروا
سأهم الله أنصاراً بنصرهم	دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وسارعوا في سبيل الله واعترفوا	للتائبات وما خاموا وما ضجروا ^(٤)
والناس ألب علينا فيك ليس لنا	إلا السيوف وأطراف القنا وزر ^(٥)
نجاهد الناس لانبقي على أحد	ولانضيع ما توحى به السور
ولا نهر جناة الحرب نادينا	ونحن حين تظلى نارها سمر ^(٦)
كما رددنا بيد دون ما طلبوا	أهل الفاق وقينا ينزل الظفر
ونحن جندك يوم النعف من أحد	إذ حزبت بطراً أحزابها مضر
فأونينا وما نخنا وما خبروا	منا عثارا وكل الناس قد عثروا ^(٧)

قال ابن هشام : حدثني زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحاق : قال : وحدثني عاصم
ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : لما أعطى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا ، في قریش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار

-
- (١) حفلته : جمعت . درر : سائلة . (٢) بهكنة كثيرة اللحم . هيفاء : ضامرة الخصر .
(٣) النزر : القليل . (٤) اعترفوا : صبروا . ما خاموا : ما جبنوا .
(٥) ألب : مجتمعون . الوزر : الملجأ .
(٦) لانهر : لانتكره . جناة الحرب : الحائضون غمارها . سمر : الذين يوقدون نارها .
(٧) نخنا : جينا .

منها شيء ، وجد هذا الحى من الانصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم التالة حتى قال قائلهم : لقد لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، فدخل عليه سعد بن عباد ، فقال : يا رسول الله : إن هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك في أنفسهم . لما صنعت في هذا الف . الذى أصبت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب . ولم يك في هذا الحى من الانصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي . قال : فاجمع لى قومك في هذه الحظيرة . قال : فخرج سعد ، لجمع الانصار في تلك الحظيرة . فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الانصار ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يا معشر الانصار : ما قاله بلغتني عنكم ، وجدة (١) وجدتموها على في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل ، ثم قال : ألا تحببوننى يا معشر الانصار ؟ قالوا : بماذا نحببك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل . قال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شئتم لقاتم ، فلصددتم ولصدقتم : أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فأسيناك . أوجدتم يا معشر الانصار في أنفسكم ، في لعاعة (٢) من الدنيا تألفت بها قوما ليسلوا ، وولكنكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الانصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الانصار شعبا ، لسلكت شعب الانصار . اللهم ارحم الانصار ، وأبناء الانصار ، وأبناء أبناء الانصار .

قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحامهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وظلا . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا .

(١) الجدة : مصدر وجد ، أى وجدتم في أنفسكم شيئا .

(٢) اللعاعة : الخصب ، أو شجرة خضراء ، شبه بها نعيم الدنيا .

عمرة الرسول من الجعرانة

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمانى

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمرا ، وأمر ببقايا النبي ﷺ لمحبس بهجة ، بناحية مر الظهران ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل ، يفتق الناس في الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا النبي ﷺ .

قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبي صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام يخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجاج الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فليست بي حاجة إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في بقية ذى القعدة أو ذى الحجة .

قال ابن هشام : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لست ليال بقين من ذى القعدة فيما زعم أبو عمرو المدني .

قال ابن إسحاق : وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد ، وهي سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتاعهم في طائفهم ما بين ذى القعدة إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه عن الطائف كتب بحير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلا بمكة ، ممن كان يهجو ويؤذيه ، وأن من بقى من شعراء قريش ، ابن الزبيري وهيرة بن أبي وهب ، قد هربوا في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة ، فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبا ، وإن أنت لم تفعل فانح إلى نجاتك من الأرض ؛ وكان كعب ابن زهير قد قال :

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة . . . فهل لك فيما قلت وبحك هل لك ؟
 فين لنا إن كنت لست بفاعل على أى شيء غير ذلك ذلك
 على خلق لم ألف يوما أبا له عليه وماتلنى عليه أبا لك
 فإن أنت لم تفعل فليست بأسف ولا قاتل إما عثرت : لما لك (١)
 سقاك بها للمأمون كأسا روية فأهلك المأمون منها وعلك (٢)
 قال ابن هشام : ويروى « المأمور » . وقوله « فين لنا » : عن غير ابن إسحاق .
 وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر وحديثه :

من مبلغ عنى بجيرا رسالة . . . فهل لك فيما قلت بالحيف هل لك (٣)
 شربت مع المأمون كأسا روية . . . فهلك المأمون منها وعلك
 وخالفت أسباب الهدى واتبعته على أى شيء وبب غيرك ذلك (٤)
 على خاق لم تلف أما ولا أبا . . . عليه ولم تدرك عليه أخا لك
 فإن أنت لم تفعل فليست بأسف ولا قاتل إما عثرت : لما لك

قال : وبعث بها إلى بجير ، فلما أنت بجيرا كره أن يكتنمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع « سقاك بها المأمون » صدق وإنه
 لكذوب ، أنا المأمون . ولما سمع : « على خاق لم تلف أما ولا أبا عليه » قال : أجل ، لم يلف عليه
 أباه ولا أمه .

ثم قال بجير لكعب :

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى . . . تلوم عليها باطلا وهى أحزم
 إلى الله - لا العزى ولا اللات - وحده فتجو إذا كان النجاء وتسلم
 لى يوم لا ينجو وليس بمفات من الناس إلا طاهر القلب مسلم

(١) لما لك كلمة تقال للعائر دعاه له بالإقالة . أنشد أبو عبيد : فلا لما لبنى فلان إذا عثروا
 (٢) ويروى : المحمود فى غير رواية ابن إسحاق ، أراد بالمحمود : محمداً - صلى الله عليه
 وسلم - وكذلك المأمون والأمين كانت قريش تسمى بهما النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة . النهل :
 الشرب الأول - والعل الشرب الثانى .

(٣) الحيف : خيف منى (٤) وبب : هلاك . أى هلكت هلاك غيرك .

فدين زهير وهو لاشيء دينه . ودين أبي سُلَيْمَى هَلَى محرم
قال ابن إسحاق : وإنما يقول كعب : « المأمون » ، ويقال : « المأمور » ، في قول ابن هشام
لقول قريش الذي كانت تقول له لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

كعب بن زهير وأصيده : قال ابن إسحاق : فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض ،
وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم
يجد من شيء بدا ، قال قصيدته التي يرح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفه
وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بنته وبنته
معرفة ، من جهينة ، كما ذكر لي ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ،
فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال : هذا رسول الله فقم إليه فأستأمنه فذكر لي أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
حتى جلس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ،
فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تأبنا مسلماً ، فهل أنت قابل منه
إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال : أنا يا رسول الله كعب
ابن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال
يا رسول الله ، دعني وعدو الله أضرب عنقه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعني لأجرك »
فإنه قد جاء تأبنا ، نازعا عما كان عليه . قال فغضب كعب على هذا الخي من الأنصار ، لما
صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال في قصيدته التي
قال حين قسم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم لئرها لم يفد مكبول (١)
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول (٢)
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكي قصر منها ولا طول (٣)

(١) بانت : فارقت فراقا بعيدا . متيم : ذليل مستعبد : متبول : أسقمه الحب وأحشاء .
لم يفد : لم يخلص من الأسر : مكبول : لا يجد فكاً كما من القيد .

(٢) غداة البين : صيحة الفراق . أغن : أي غلب أغن في صوته حسن . غضيض الطرف :
مغابرة . مكحول : أسود الجفون .

(٣) هيفاء : ضامرة البطن والخصر . العجزاء : ضخمة العجز . لا يشتكي : لا يعاب :

تجلى عوارض ذى ظلماتم إذا ابتسمت كأنه مُنْهَل بالراح معلول^(١)
 شجت بذى شيم من ماء مخنية صاف بأبطح أضحى وهو مشمول^(٢)
 تنقى . الرياح القذى عنه وأفرطه من صوب غادية بيض يعاليل^(٣)
 فيالها خبيثة لو أنها صدقت بوعدها أو لو أن النصع مقبول^(٤)
 لكنها خلة قد سيط من دمها فجع وولع وإخلاف وتبديل^(٥)
 فما تدوم على حال تكون بها كما تلوثن في أثوابها الغول^(٦)
 وما تمسك بالعهد الذى زعمت إلا كما يمسك الماء الغرايل^(٧)
 فلا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأمانى والأحلام تضليل^(٨)
 كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل^(٩)

- (١) تجلى : تصقل وتظهر وتكشف : العوارض : الأسنان التى تظهر عند الضحك : الظلم ماء الأسنان وبريقها ورقتها وهو أيضا الثلج شبهت به الأسنان . الهل : المسقى وهو الشرب الأول . الراح : الحر . معلول : اسم مفعول من عل ، والعلل الشرب الثانى .
- (٢) شجت : مزجت حتى انكسرت سورتها . ذى شيم : ماء شديد البرد . مخنية : منعطف الوادى . ماؤه أصنى وأبرد وألذ . أبطح : مسيل واسع فيه حصى دقيق . أضحى : أخذ فى وقت الضحى قبل أن يشتد الحر . مشمول : ضربته ريح الشمال حتى برد .
- (٣) تنقى : تبعث . القذى : كل غريب يقع فى الماء من تبن ونحوه . أفرطه : سبق إليه وملاه . صوب : مطر سحابة . غادية : مبكرة . بيض يعاليل : حباب يعلو وجه الماء أو الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر .
- (٤) الخلة : الصديقة والخليفة .
- (٥) سيط : خاط . لجع : إصابة . ولع : كذب فى إخفاء الحجة . إخلاف : خلف الوعد . أى أن هذه الصفات قد خلطت بدمها .
- (٦) الغول : ساحرة الجن تظهر فى القلاة بألوان شتى ، تضال من يتبعها .
- (٧) ما تمسك : أى لا تمسك . (٨) فلا يغرنك : فلا يخدعنك . ما منت : أى ما منتك به من الوصل . الأمانى : ما يرجوه الإنسان من الآمال . الأحلام : ما يتخيله النائم . تضليل : سبب فى ضلال الإنسان عن وجه الصواب .
- (٩) عرقوب : رجل اشتهر بخلف الوعد فضرب به المثل ، قال علقمة : وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه يثرب والأباطيل : جمع باطل ، جمعه على غير القياس .

أرجو وآملُ أن تدنو مودتها وما إخال لدينا منك تويل^(١)
 أمست سعاد بأرض لا يُبلَغها إلا الساق النجيات المراسيل^(٢)
 ولن يُبَلِّغها إلا عذافرة لما على الآين إرقال وتبغيل^(٣)
 من كل نضاجة الذفرى إذا عرقت عُرِضَتْها طامس الأعلام مجهول^(٤)
 ترى الغيوب بعينى مفرد لطق إذا توقدت الحزان والميل^(٥)
 ضخم مُقلدا فعم مقبدها فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل^(٦)
 غلباء وجناء علكوم مذكرة فى دفها سعة قدامها ميل^(٧)
 وجبالدا من أطوم ما يؤسه طائح بضاحية المتين مهزول^(٨)

(١) تدنو : تظهر ، إخال : بكسر الهمزة لغة تميم بمعنى أفان . تويل : الوصل والطاء .
 (٢) الساق : جمع عتيق : الكريم . النجيات : جمع نجية : الخفيفة السريعة . المراسيل
 جمع مرسال ، السريعة أيضاً .

(٣) العذافرة : الناقة القوية العظيمة . الآين : الثعب . إرقال وتبغيل : ضربان من
 العدو السريع .

(٤) نضاجة : كثيرة رشح العرق . الذفرى : نقرة توجد خلف أذن الناقة . عرضتها :
 همتها . طامس : دارس . الأعلام : العلامات التى تكون فى الطريق ليهتدى بها .
 يصف ناقته بالسرعة والنشاط حتى تعرق وهو متعودة على الأسفار تعرف الطرق بلا علامات .
 (٥) الغيوب : آثار الطريق التى غابت معالمها عن العيون . مفرد : ثور وحشى تفرد فى
 الصحراء . لطق : أبيض . الحزان : الأمكنة الغليظة الصلبة فيها حصباء كثيرة . الميل : الكتبان
 الضخمة من الرمال .

(٦) مقلد : موضع التلادة من العنق . فعم : ممتلئ . مقيد : موضع القيد ، أى قوائمه .
 وبنات الفحل : الإناث من الإبل المنسوبة إلى أبيها .

(٧) غلباء : غليظة العنق . وجناء : عظيمة الوجنتين : علكوم : شديدة . مذكرة : تشبه
 الذكر فى نظم الحلقة : الدف : الجنب . قدامها ميل : كناية إما عن سعة الخطو
 أو طول العنق .

(٨) الأطوم : السلحفاة البحرية أو الزرافة غليظة الجلد . يؤسه : يؤثر فيه . طلع :
 حشرة صغيرة تلزق بالجلد وهى ما يعرف بالقراد . الضاحية الناحية الظاهرة للشمس . المتين :
 ما اكتنف صلها عن يمين وشمال . ومهزول : صفة لطلح . أى قراد مهزول .
 والمعنى أن جلد هذه الناقة غاية فى الملاسة فلا يؤثر فيه القراد ولذلك هو مهزول .

حرف، أخوها أبوها من مهجة وعما خالها قوداء شليل (١)
 يمشى القراد عليها ثم يزلقه منها لبان وأقرب زهايل (٢)
 عيرانة قذفت بالنحض عن معرض مرفقها عن بنات الزور مفتول (٣)
 كأنما فات عينها ومذبحها من خطمها ومن اللحين برطيل (٤)
 تمير مأل عيب النخل ذا خصل في غارز لم تنقو منه الأحاليل (٥)
 قوناء في حررتيها للبصير بها عتق مبين وفي الحدين تسيل (٦)
 تخدى على يسرات وهي لاحقة ذوابل مسهمن الأرض تحليل (٧)

(١) حرف : أى هى حرف أو كأنها حرف فعلى الأول يكون الحرف : الضامرة وعلى الثانى يكون شبهها بحرف الجبل وهى القطعة الخارجة منه . أبوها أخوها ، وعما خالها : أى مداخلة النسب كريمة لم يدخل فى نسبها غريب . المهجة : كريمة الأبوين . قوداء : طويلة الظهر والعنق . شليل : سريعة فى خفة .

(٢) يزلقه : يسقطه . لبان : صدر . أقرب : خواصر . زهايل : جمع زهلول : أملس . والمعنى : أن هذه الناقة لعومتها لا يثبت القراد على جسدها .

(٣) عيرانة : أى هى ناقة تشبه عير الوحش فى قوته وسرعته ونشاطه . النحض : اللحم عرض : جانب . المرفق : موصل الذراع فى العضد . بنات الزور : ما يتصل به مما حول مرفقها من الأضلاع .

والمعنى : أن مرفق تلك الناقة بعيد عما حوالى الصدر من الأضلاع فتكون محفوظة عن الضغط لأن مرفقها بعيد عن أضلاعها .

(٤) فات : تقدم : مذبحها : مكان الذبح من الرقبة . الخطم : الأنف وما حوله . اللحيان : العظمان اللذان تلت عليهما الأسنان السفلى . برطيل : حجر مستعيل . أو معول من حديد .

(٥) عيب النخل : جريده الذى لم ينبت عليه الخوص . ذا خصل : أى ذيل له لفائف من الشعر . النارز : الضرع . تنقوه : الأحاليل : مخارج اللبن مفردة : لإحليل .

(٦) القوناء : محدوبة الأنف . الحرتان : الأذنان . عتق : كرم . مبين : واضح . تسيل : سهولة ، أى لا خشونة فيها .

(٧) تخدى : تسرع ، يسرات : أى قوائم يسرات واليسرات : الخفاف . لاحقة : سابقة . الزوابل : الرماح العلية . تحليل : قليل .

والمعنى ، أن هذه الناقة سريعة لا تمس الأرض إلا مساً سريعاً لشدة عدوها .

لم يقينهم رهوس الأكم تجميل ^(١)	سمر العجايات يتركن الحصى زينا
وقد تلفع بالقور العساقل ^(٢)	كان أوب ذراعها وقد عرقت
كان ضاحيه بالشمس بملول ^(٣)	يوما يظل به الحرياء مصطخدا
ورق الجنادب يركضن الحساقلوا ^(٤)	وقال للقوم حاديهـ وقد جعلت
قامت لجاوبها نكد مثاكيل ^(٥)	شد النهار ذراعاً عيطل نصف
لما نعى بكرها التاعون معقول ^(٦)	نواحة رخوة الضبعين ليس لها
مشقق عن تراقيها رعايل ^(٧)	تفرى اللبان بكفيها ومدرعها

- (١) العجايات: الأعصاب المتصلة بالحافر . زينا : متفرقة الأكم الأرض المرتفعة . التجميل : هو شد النعل على ظفر الدابة ليعميها الحجارة .
- (٢) الأوب سرعة قلب ورجوع ذراعها . تلفع : التحف . القور : جمع قارة : الجبل الصغير . العساقل . المرباب .
- (٣) الحرياء : نوع من الدواب الصغيرة . مصطخدا : محترقا بحرارة الشمس . ضاحيه : ما برز للشمس منه ، بملول : محروق .
- (٤) الحادى : سائق الإبل . ورق : جمع أوراق أو ورقاء . وهو الأخضر الذى يضرب إلى السواد . الجنادب جمع جندب : نوع من الجراد . يركضن : يدفنن . قيلوا : خذوا راحتكم وقت القبولة .
- (٥) شد النهار : وسطه . عيطل : طويلة . نصف : متوسطة السن وهو غاية قوتها . نكد : من لا يعيش لمن ولد . مثاكيل : جمع مثكال . كثيرة فقد الأولاد . والمعنى : يشبه سرعة حركة يدي هذه الناقة يدي امرأة قوية تلطم خديها فيجاوبها نسوة مثكال فيشتد لطمها .
- (٦) نواحة : كثيرة النوح . صيغة مبالغة من نأحة . رخوة : مسترخية . الضبعين : الضعدين . بكر : الولد الأول . التاعون : المخبرون بالموت . معقول : عقل . والمعنى : شبه هذه الناقة بتلك المرأة في تلك الأحوال فالناقة في هذه الحالة ليس لها عقل تدرك به الثقب والإعياء .

(٧) تفرى : تقطع . اللبان : الصدر . المدرع : القميص . التراق : جمع ترقوة . عظام الصدر . رعايل : قطع أى : أن هذه المرأة لنهاب عقلها تقطع قميصها بأناملها . فقميصها = (أ) — الحيرة النبوية ، ج ٤ .

تسمى الفؤاة جنايبها وقولهم
وقال كل صديق كنت آمله
فقلت خلوا سبيل لا أبا لكم
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
نبت أن رسول الله أوعدني
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ١١
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
لظل يرعد إلا أن يكون له
إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول (١)
لا ألهيك إنك إنك مشغول (٢)
فكل ما وعدك الرحمن مفعول (٣)
يوماً على آلة حديد محمول (٤)
والعفو عند رسول الله مأمول (٥)
قرآن فيها موايعظ وتفصيل (٦)
أذن لو كثرت في الأفاويل (٧)
أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل (٨)
من الرسول بإذن الله تنويل (٩)

= مشقوق يظهر عظام الصدر يشبه بها الناقة في ذهاب عقلها فلا تحس بمشقة السير .
وهكذا استقصى كعب أوصاف الناقة في الآيات السابقة وانتقل بعد ذلك إلى قول
المرجفين به .

- (١) الفؤاة : المفسدون . جنايبها : حواشيها . مقتول : متوعد بالقتل .
- (٢) آمله : أترجاه وأتحنن لعائته . لا ألهيك : أى لا أشغلك عما أنت فيه من الخوف فأعمل
لنفسك واتكل عليها .
- (٣) خلوا سبيلى : أتركوكى لألقف بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فإنى أعلم أنه يقيل
البائب ولن يطالبني بما كان قبل إسلامي .
- (٤) آلة حديد : نعل .
- (٥) نبت : أخبرت . أوعدني : تهددني بالقتل . مأمول : مرجو .
- (٦) هداك : هداك ربك للصفح عني والعفو ، أو زادك هدى . فإنه لا يدعو له بالهدى لأنه
هو الهادى للهدى . نافلة : زيادة لأن القرآن عتيق ترائدة عن النبوة ومنحة الرسالة .
- (٧) لم أذن : لم أخطئ . في حقك .
- (٨) مقام : مجلس النبي صلى الله عليه وسلم : يقوم : يحضر .
والمعنى : أن الشاعر حضر مجلسه صلى الله عليه وسلم فشرع بالهيبه ولو حضر هذا المجلس
الفيل لا اضطرب من شدة الأمر .
- (٩) يرعد : تأخذه الرعدة بسبب الخوف . تنويل : عطاء

حتى وضعت يميني ما أنازعه
فلهو أخوف عندي إذ أكلمه
من ضيغم بضراء الأرض مخدرة
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما
إذا يساور قرنا لا يحل له
منة تظل سباع الجو نافرة
ولا يزال بواديه أخو ثقة
إن الرسول لنور يستضاء به
في عصبة من قريش قال قائلهم

في كف ذي نقمات قبيله القيل^(١)
وقيل إنك منسوب ومستول^(٢)
في بطن عثر غيل دونه غيل^(٣)
لحم من الناس معفور خراذيل^(٤)
أن يترك القرن إلا وهو مفلول^(٥)
ولا تمشي بواديه الأراجيل^(٦)
مضرج البر والدرسان مأكول^(٧)
مهند من سيف الله مسلول^(٨)
بطن مكة لما أسلوا زولوا^(٩)

- (١) لا أنازعه : أى أطيعه . نقمات : جمع نقمة : السطوة . قيله القيل : قوله النافذ .
(٢) أخوف : أى هو صلى الله عليه وسلم أشد إخافة وإرهاباً . منسوب ومستول : أى منسوب إلى أشياء قتلها ومستول عنها .
(٣) الضيغم : الأسد . بضراء الأرض : الأرض التى بها شجر . مخدر : غابة الأسد . عثر : مكان تكثر فيه السباع . والغيل : الأجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف .
(٤) يغدو : يخرج أول النهار للصيد . يلحم : يطعم لحماً : ضرغامين : مثنى ضرغام : شبل الأسد . معفور : ملقى فى التراب . خراذيل : مقطع قطعاً صغيرة .
(٥) يساور : يوائب ويصارع . القرن : المائل فى الشجاعة . مفلول : المكسور المهزوم .
(٦) الجو : ما بين السماء والأرض : نافرة : بعيدة . الأراجيل : جماعات من الرجال . جمع أرجال . التى هى جماعة الرجال .
(٧) أخو ثقة : الواثق بنفسه . مضرج : مخضب بالدماء . البر : السلاح . الدرسان : مفردة دريس : الخلق من الثياب .
(٨) يستضاء به : يهتدى به إلى نور الحق . مهند : سيف طبع فى المهند . مسلول : مخرج من غمده .
(٩) العصبة : الجماعة ما بين العشرة إلى الأربعين . زولوا : فعل أمر من زال التامة أى التى لها فاعل . أى تحولوا وانتقلوا .

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف
شم العرائن أبطال لبوسهم
بيض سوايغ قد شكت لها خلق
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم
يمشون مشى الجبال الزهر يعصمهم
لا يقع الطعن إلا في نحورهم
عند اللقاء ولا ميل مغازيل^(١)
من نسج داود في الهيجا سرايل^(٢)
كأنها خلق التفعاء مجدول^(٣)
قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا^(٤)
ضرب إذا عرد السود التنايل^(٥)
وما لهم عن حياض الموت تهليل^(٦)

قال ابن هشام : قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وبنيته : « حرف أخوها أبوها » وبنيته : « يمشى القراد » ، وبنيته : « عيرانة قذفت » ، وبنيته : « تمر مثل جسيب النخل » ، وبنيته : « تفرى اللبان » ، وبنيته : « إذا يساور قرنا » ، وبنيته : « ولا يزال بواديه » ، عن غير ابن إسحاق .

كعب يسترضى الأنصار بمدحهم : قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب : « إذا عرد السود التنايل » ، وإنما يريدنا معشر الأنصار ، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع ، وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدحته ، غضبت عليه الأنصار ؛ فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ، ويذكر بلادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعهم من اليمن :

(١) الأنكاس : المهاتون . ولا كشف : أى لا يتكشفون في الحرب بمعنى لا يهزمون .
الميل : الذين لا يحسنون الركوب . مغازيل : لاسلاح معهم .
(٢) شم : جمع أشم ، وهو من في قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه ، علامة العزة والسيادة .
اللبوس : ما يلبس من السلاح . من نسج داود : أى منسوجه وهى الدروع . الهيجا : الحرب .
سرايل : دروع .

(٣) بيض : مجلوة . سوايغ : طويلة ضافية . شكت : أدخل بعضها في بعض . التفعاء : نبات يشبه الحسك يتفرع على سطح الأرض له شوك تشبه به خلق الدرع ، مجدول : محكم صنعه .
(٤) مفاريح : كثيرو الفرح . والمفرد مفراح . نالت : أصابت . مجازيع : كثيرو الجزع . والمفرد مجزاع . نيلوا : أصيبوا .

(٥) الزهر : البيض . يعصمهم : ينعمهم . عرد : أعرض عن خصمه . التنايل : القصار .
(٦) حياض الموت : مرارء الهلاك ، ويقصد به ساحات القتال . تهليل : تأخر .

من سره كرم الحياة فلا يزل
ورثوا المكارم كبراً عن كابر
المكرمين السهرى بأذرع
والناظرين بأعين بحمرة
والبائعين نفوسهم لنبيهم
والذائدين الناس عن أديانهم
يتعلمون يروونه نسكا لهم
دربوا كما دربت بطن خفية
ولإذا حلت ليمتدوك إليهم
ضربوا عليا يوم بدر ضربة
لو يعلم الأقوام على كله
قوم إذا سوت النجوم فإنهم
في الغر من غسان من جرثومة

في مقنب من صالحى الأنصار^(١)
إن الخيار هم بنو الأخيار
كسوالف الهندى شهر نصار^(٢)
كالجر غير كليلة الأبصار^(٣)
للوت يوم تعاق وكرار^(٤)
بالمشرفى وبالقنا الخطار^(٥)
بدماء من علقوا من الكفار^(٦)
مُغلب الرقاب من الأسود ضواري^(٧)
أصبحت عند معاقل الأعفار^(٨)
دانت لوقعها جميع نزار^(٩)
فيهم لصدقى الذين أمارى^(١٠)
للطارقين النازلين مقارى^(١١)
أعيت محافرها على المنقار^(١٢)

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده : « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » : لولا ذكرت الأنصار بخير ، فإنهم لذلك أفل ، فقال كعب هذه الآيات . وهى فى قصيدة له .

-
- (١) المقنب : جماعة الخيل . والمراد به هنا الأنصار على ظهور خيلهم .
(٢) السهرى : الرمح . سوالف : حوائى . الهندى : السيف المنسوب إلى الهند .
(٣) بأعين بحمرة : يريد أن الشجاع إذا غضب احمرت عيناه .
(٤) تعاق : يريد به التحام الشجعان فى ميدان القتال .
(٥) المشرفى : السيف . القنا : الرماح . الخطار : المهتر .
(٦) يروونه : يعتقدونه . نسكا : عبادة .
(٧) دربوا : تعودوا . خفية : مكان تكثر فيه الأسود . غلب : غلاظ .
(٨) الأعفار : الوعول الصغيرة يضرب بها المثل لامتناعها فى قمم الجبال .
(٩) ضربوا عليا : يريد به عليا بن مسعود بن مازن الغسانى .
(١٠) أمارى : أجادل .
(١١) خوت : سقطت ولم تحار . مقارى : المقارى : الجفان التى يصنع فيها الطعام .
(١٢) وتروى : التقار .

قال ابن هشام : وذكر لي عن علي بن زيد بن جدعان أنه قال : أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد :

« بانت سعاد قلبي اليوم متبول »

غزوة تبوك

في رجب سنة تسع

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق الملقب ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم . وقد ذكر لنا الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كل حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان من عسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجذب من البلاد . وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لما يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له ^(١) ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها لناس ، أبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبة ، وأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

أذن لي ولا تفتني : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بني سلبة : يا جد ، هل لك العام في جلاذ بني الأصفر ^(٢) ؟ فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتني ؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجباً بالنساء مني ، وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنت لك . ففي الجد بن قيس نزلت هذه الآية : « ومنهم من يقول أذن لي ولا تفتني ، ألا في الفتنة سقطوا ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » . أي إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر ، وليس ذلك به ، فاسقط فيه من الفتنة أكبر ، بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول تعالى : « وإن جهنم لمن ورائه » .

(١) يصمد له : يقصده .

(٢) بني الأصفر : يريد بهم الروم .

شأن المنافقين : وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر ، زهادة في الجهاد وشكا في الحق ، وإرجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : « وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ، جزاء بما كانوا يكسبون » .

قال ابن هشام : وحدثني الثقة عن حدثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق ابن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ، وكان بيته عند جاسوم ، يبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة . فاقحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانسكرت رجله ، واقتحم أصحابه ، فأفلتوا . فقال الضحاك في ذلك :

كادت وبيت الله نار محمد تشيط بها الضحاك وابن أبيرق
وظلت وقد طبقت كبس سويلم أنوء على رجلي كسيرا ومرفقي^(١)
سلام عليكم لا أعود لثلبا أخاف ومن أشمل به النار يحرق

حضر الأغصاء على النفقة : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جد في سفره ، وأمر الناس بالجهاز والانتكاش ، وحضر أهل الغنى على النفقة والحلان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا^(٢) ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحد مثلبا .

ما أنفق عثمان : قال ابن هشام : حدثني من أثق به : أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارض عن عثمان فأني عنه راض .

البكاؤون والاعذرون : قال ابن إسحاق : ثم إن رجلا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم البكاؤون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، ومُعلبة بن زيد ، أخو بني حارثة ، وأبوليلي عبد الرحمن ابن كعب ، أخو بني مازن بن النجار ، وعمرو بن حمام بن الجموح ، أخو بني سلة ، وعبد الله

(١) طبقت : علوت . كبس : بيت صغير . (٢) احتسبوا الآخر عند الله .

ابن المغفل المزني — وبهض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزني — وهو رمي بن عبد الله ، أخو بني وائف ، وعرباض بن سارية الخزاري . فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : لا أجد ما أحاكم عليه ، فقولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون .

قال ابن إسحاق : فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضري لقي أبا ليلى عبد الرحمن ابن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يبيكان ، فقال : ما يبيكما ؟ قالوا : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه ؛ فأعطاهما ناضحاً^(١) له ، فارتحلاه ؛ وزودهما شبتاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وجاءه المذنبون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى . وقد ذكر لي أنهم نفر من بني غفار .

ثم استتب^(٢) برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمع السير ، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم البنية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تخلفوا عنه ، عن ذير شك ولا ارتياب ؛ منهم : كعب بن مالك بن أبي كعب ، أخو بني سلبة ومرارة بن الربيع ، أخو بني عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية ، أخو بني واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بني سالم بن عوف وكانوا نفر صدق ، لا يهتمون في إسلامهم .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة ، مخرجه إلى تبوك ، سباع بن مرفطة .

قال ابن إسحاق : وضرب عبد الله بن أبي معه على حدة عسكره أسفل منه ، نحو ذباب^(٣) ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين . فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي ، فبدن تخلف من المنافقين وأهل الريب .

(١) الناضح : الجمل الذي يسقى عليه الماء . (٢) استتب : انتظم وتتابع .

(٣) ذباب : جبل بالمدينة .

المنافقون يرجفون بهل : وخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ، رضوان الله عليه ، إلى أمه له ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استقلالا له ، وتخففا منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ على بن أبي طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف^(١) ، فقال : يا نبي الله ، زعم المنافقون أنك إنما خافتنا أنك استقلتنا وتخففت مني ؛ فقال : كذبوا ، ولكني خلفتك لما تركت ورائي ، فأرجع فأخلفني في أدلى وأدلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي ، فرجع على إلى المدينة ؛ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعل هذه المقالة .

قال ابن إسحاق : ثم رجع على إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره . أبو خيثمة وعمر بن وهب يلحزان بالرسول : ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له في عريشين^(٢) ، لهما في حائطه^(٣) قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء ، وهيات له فيه طعاما . فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأته وما صنعتا له ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح^(٤) والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام ميبأ ، وامرأة حسناء ، في ماله مقيم ، ما هذا بالنصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيتا لي زادا ، ففعلتا . ثم قدم ناضحه فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل بتبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق ، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دنوا من تبوك . قال أبو خيثمة لعمر بن وهب : إن لي ذنبا ، فلا عليك أن تخاف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل حتى إذا دنوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ؛ فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة . فلما أتاه أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الجرف : مكان بينه وبين المدينة ثلاثة أميال .

(٢) العريش : ما يستظل به . (٣) الحائط : البستان .

(٤) الضح : الشمس .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولى لك^(١) يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ودعا له بخير .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة في ذلك شعرا ، واسمه مالك بن قيس :

لما رأيت الناس في الدين نافقوا أتيت التي كانت أدف وأكرما
وبابعت باليمنى يدى لمحمد فلم أكتسب لئما ولم أغش محرما
تركت خضيبا في العريش وصرمة صفايا كراما بسرهما قد نحمما^(٢)
وكنيت إذا شك المنافق أسمعحت إلى الدين نفسى شطره حيث يما

ما حدث بالحجر : قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر نزما ، واستقى الناس من بئرهما . فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تشربوا من ماءنا شيئا ، ولا تتوضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يخرج منكم الليلة إلا ومعه صاحب له . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلا من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعير له . فاما الذى ذهب لحاجته فإنه خفق على مذهبه ، وأما الذى ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبل طيء . فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنهيكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ! ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذى أصيب على مذهبه فشق ؛ وأما الآخر الذى وقع بجبل طيء ، فإن طيئا أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة .

والحديث عن الرجاءين عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي ، وقد حدثني عبد الله بن أبي بكر أن قد سمي له العباس الرجاءين ، ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى .

قال ابن هشام : بلغني عن الزهري أنه قال : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجد ثوبه على وجهه ، واستباحت راحلته ، ثم قال : لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم .

(١) أولى لك : كلمة تهديد مضادا الويل لك .

(٢) الصرمة : جماعة النخل . البسر : التمر : قبل نضجه . ونحمما : قارب أن يطيب .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بني عبد الأشمل ، قال : قالت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إن كان الرجل يعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، قالوا : أقبأنا عليه نقول : ويحك ، هل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارة .

تقول ابن اللصيت : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضالت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، يقال له عمارة بن حزم ، وكان عقيبا بدريا ، وهو عم بني عمرو بن حزم ، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي ، وكان منافقا .

قال ابن هشام : ويقال : ابن لصيب (بالباء) .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بني عبد الأشمل ، قالوا : فقال زيد بن اللصيت ، وهو في رحل عمارة وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته ، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلى الله عليهما ، وهما في هذا الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتوني بها ، فذهبوا ، فجاءوا بها . فرجع عمارة بن حزم إلى رحله ، فقال : والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا ، عن مقالة قال أخبره الله عنه بكذا وكذا ، للذي قال زيد بن اللصيت : فقال رجل من كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي . فأقبل عمارة على زيد يجا^(١) في عنقه ويقول إلى عباد الله ، إن في رحلي لذهبية وما أشعر ! أخرج أي عدو الله من رحلي ، فلا تصحبني .

ذو أبي ذر . قال ابن إسحاق : فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك ؛ وقال بعض الناس لم يزل متمما بشتر حتى هلك .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرا ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ؛ فيقول دعوه ، فإن يك فيه خير فسيأخذه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلف أبو ذر ^(١) ، وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه فإن يك فيه خير فسيأخذه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ وتلوم ^(٢) أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه ، أخذ مناعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا ، ونزل رسول الله في بعض منازلهم ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يئس على الطريق وحده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أباذر ^(٣) ، فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله هو والله أبو ذر ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله أبا ذر ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده .

وقال ابن إسحاق : لحدثني بريدة بن سفيان الأسدي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفي عثمان أباذر إلى الربرة ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وولده ، فأوصاهما أن اغسلاني وكفنتاني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به . ثم وضعناه على قارعة الطريق ؛ وأقبل عبد الله بن مسعود في رده من أهل العراق عمار ، فلم يرهم إلا بالجنائز على ظهر الطريق ، قد كادت الإبل تعاقوها ، وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستمل عبد الله بن مسعود يكي ويقول : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فآعينونا على دفنه . قال : وتموت وحدك ، وتبعث وحدك . ثم نزل هو أصحابه فواروه ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى تبوك .

تخويف المنافقين للمسلمين : قال ابن إسحاق : وقد كان رده من المنافقين ، منهم وديعة ابن ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبني سلمة ، يقال له :

(١) أبو ذر : اسمه جندب بن جنادة ، وقيل برير بن عسرة . وقيل جندب بن عبد الله . وقيل جندب بن السكن .

(٢) تلوم : تمهل .

(٣) كن أباذر : لفظه الكبير ، ومعناه الدعاء ؛ كما تقول : أسلم سلمك الله .

عُثْمَانُ بْنُ حَيْرٍ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ عُثْيٌ - يَشِيرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى تَبُوكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَتَحْسِبُونَ جِلْدَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ١٩ وَاللَّهُ لَكَأَنَّا بِكُمْ غَدًا مُقَرَّبِينَ فِي الْحَبَالِ ، إِرْجَاؤًا وَتَرْهِيًا لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حَيْرٍ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَقَاضِي عَلَى أَنْ يَضْرِبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا مِائَةَ جِلْدَةٍ ، وَإِنَّا نَتَغَلَّتْ أَنْ يَنْزَلَ فِينَا قُرْآنٌ لِمُقَاتِلِكُمْ هَذِهِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا بَلَغَنِي - لِعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ أَدْرَكَ الْقَوْمَ ، فَأَمَنَهُمْ قَدْ اجْتَرَقُوا ، فَسَلِّمُوا عَمَّا قَالُوا ، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ : بَلَى ، قُلْتُمْ كَذًّا وَكَذَا . فَاُنْطَلِقْ إِلَيْهِمْ عِمَارُ ، فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ : فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْتَدُّونَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفٌ عَلَى نَاقَتِهِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بِحَقْبِهَا (١) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا كُنَّا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ » . وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حَيْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي ؛ وَكَأَنَّ الَّذِي عَنِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عُثْمَانُ بْنُ حَيْرٍ ، فَتَسْمَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقْتُلَهُ شَهِيدًا لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِهِ ، فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَوْمَةِ ، فَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ أَثَرٌ .

الصلح مع صاحب أيلة : وَلَمَّا أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ ، أَتَاهُ يَحْنَةُ ابْنُ رَوْثَةَ ، صَاحِبُ أَيْلَةٍ ، فَصَالَحَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعْطَاهُ الْجَزِيَّةَ ، وَأَتَاهُ أَهْلُ جَرِيَاءٍ وَأَذْرَحَ ، فَأَعْطَوْهُ الْجَزِيَّةَ ، فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ كِتَابًا ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ . فَكَتَبَ لِيَحْنَةَ بْنِ رَوْثَةَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : هَذِهِ أَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيَحْنَةَ بْنِ رَوْثَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةٍ ، سَفَنَهُمْ وَسِيَارَتَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ : لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ ، وَذِمَّةُ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَهْلِ الْبَلَدِ ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا ، فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يَمْنَعُوا مَاءَ يَرُدُّونَهُ ، وَلَا طَرِيقًا يَرِيدُونَهُ ، مَنْ بَرَّ أَوْ بَحَرَ .

خَالِدٌ وَأَكِيدِرُ دَوْمَةُ : ثُمَّ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، فَبِعْثَهُ إِلَى أَكِيدِرِ دَوْمَةَ ، وَهُوَ أَكِيدِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ كَانَ مُلِكًا عَلَيْهَا ، وَكَانَ تَصْرَافِيًا ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخَالِدٍ : إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ . فَخَرَجَ خَالِدٌ ، حَتَّى إِذَا كَانَ

من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ يقال له حسان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقاهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ؛ وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : لخدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يلبسونه بأيديهم ، ويتمجبون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لما دبل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالداً قدم باكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ؛ فقال رجل من طيء : يقال له بجير بن بجرة ، يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد البقر ، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تبارك سائق البقرات إني رأيت الله يهدي كل هاد

فمن يك حائداً عن ذي تبوك فإننا قد أمرنا بالجهاد

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضعة عشرة ليلة ، لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة .

وادي المشقق ومأوه : وكان في الطريق ماء يخرج من وشل^(١) ، ما يروى الراكب والراكب والثلثة ، بواد يقال له وادي المشقق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه ، فلم يرفه شيئاً . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقليل له : يا رسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : أو لم أنهم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتاه ؟ ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل

(١) الوشل : الماء القليل يسيل من صخر أو جبل .

يصب في يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضح به ، ومسحه بده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء — كما يقول من سمعه — ما إن له حسنا كحسن السواقي ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

ذو البجادين ودفنه وتسميته : قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قتت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، قال : فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر ، قال : فاتبعها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة ، وأبو بكر وعمر يدنيانه إليه وهو يقول : أدنيا إلى أخاك ، فدلياه إليه ، فلهاهياه لشقه قال : اللهم إني أمسيت راضيا عنه ، فارض عنه . قال : يقول عبد الله بن مسعود : ياليتني كنت صاحب الحفرة .

قال ابن هشام : وإنما سمي ذا البجادين ، لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فيمعه قومه من ذلك ، ويضيقون عليه ، حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره ، والبجاد : الكساء الغليظ الجافي ، فيضرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريبا منه ، شق بجاده باثنين ، فآثر بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل له : ذو البجادين لذلك ، والبجاد أيضا : المسح ، قال ابن هشام : قال امرؤ القيس :

كأن أبانا في عرائين ودقه كبير أناس في بجاد مزمل

حديث أبي رهم في تبوك : قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري ، عن ابن أكيمة المليثي ، عن ابن أخي أبي رهم الغفاري ، أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأنضر قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقي الله علينا العاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحتي من راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيفرع دنها منه ، مخافة أن أصيب رجله في الفرز ، فطفقت أحوز^(١) راحتي عنه ، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق ، ونحن في بعض الليل ، فزاحمت راحتي راحلة رسول

الله صلى الله عليه وسلم ورجله في الفريز ، فاستيقظت إلا بقوله : حين^(١) ، فقلت : يا رسول الله ، استغفر لي . فقال : سر ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألني عن تغلب من بني غفار ، فأخبره به ؛ فقال وهو يسألني : ما فعل النفر الجمر الطوال الطاط^(٢) لخدمته بتغلبهم . قال : فما فعل النفر السود الجماد القصار ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا . قال : بلى ، الذين لهم نعم يشبكه شдох^(٣) ؛ فتذكرتهم في بني غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أم لهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهط من أسلم ، حلفاء فينا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منع أحد أولئك حين تغلب أن يحمل على بعير من إبله امرأة نسيطاني سليل الله ؟ إن أعز أهل علي أن يتغلب على المهاجرين من قريش والأنصار وشغار وأسلم .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا ، فتصلي لنا فيه ؛ فقال : إني على جناح سفر ، وحال شغل ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لآتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

فلما نزل بذي أوان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ، أخا بني سالم بن عوف ، ومعن بن عدي ، وأخاه عاصم بن عدي ، أخا بني العجلان

(١) حين : كلمة تقال عند وجود الألم ، فهي كلمة تخرج من الصوت كالآتين ليست اسماً أو اسم فعل مثل : صه ومه .

(٢) الطاط ، مفردة طط : صغير نبات شعر اللحية . قال الشاعر :

كهامة الشيخ اليماني الطط

(٣) شبكة شдох : موضع من بلاد غفار .

فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرقاه . فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم ابن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمن : أنظرنى حتى أخرج إليك نار من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سعفا من النخل ، فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : « والذين اتخذوا مسجدا ضرابا وكفرا وتفرقا بين المؤمنين » . . إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا : مخدام بن خالد ، من بني عبيد بن زيد ، أحد بني عمرو ابن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد ، ومعتب ابن قشير ، من بني ضبيعة بن زيد ، وأبو حيلة بن الأزعر ، من بني ضبيعة بن زيد ، وعباد بن محنيفة ، أخو سهل بن حنيف ، من بني عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه يجمع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحارث ، من بني ضبيعة ، ومحزج ، من بني ضبيعة ، ومجاد بن عثمان ، من بني ضبيعة ، ووديعه بن ثابت ، وهو من بني أمية بن زيد رهط أبي ليابة بن عبد المنذر .

مساجد الرسول : وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة : مسجد بتوك ، ومسجد بثنية مدران ، ومسجد بذات الزراب ، ومسجد بالأنضر ، ومسجد بذات الخطمي ، ومسجد بالآء ، ومسجد بطرف البراء . من ذنب كواكب ، ومسجد بالشَّق ، شق تارا ، ومسجد بذى الجيفة ، ومسجد بهندر حوضي ومسجد بالحجر ، ومسجد بالصعيد ، ومسجد بالوادی ، اليوم ، وادى القرى ، ومسجد بالرَّقعة من الشَّقة ، شقة بني عذرة ، ومسجد بذى المروة ، ومسجد بالقيفاء ، ومسجد بذى خُشْب .

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين في غزوة تبوك

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومرار بن الربيع وهلال بن أمية ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا تكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويمتدرون ، فصاح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعذرهم الله ولا رسوله . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

(٩ - السيرة النبوية ، ج ٤)

قال ابن إسحاق : فذكر الزهري محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره ، قال : سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ماتخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط ، غير أني كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحدا تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد غير قریش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، وحين تواقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها شهيد بدر ، وإن كانت غزوة بدر هي أذكر في الناس منها . قال : كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، وواقه ما اجتمعت لي راحلتان قط حتى اجتمعنا في تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبا يريد غزوة يغزوها إلا وري يغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرش شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ، واستقبل غزو عدو كثير ، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبة وأخبرهم خبره بوجه الذي يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لا يجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول : لا يجمعهم ديوان مكتوب .

قال كعب : قال رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفي له ذلك ، ما لم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأمجت الظلال ، فالناس إليها مصرا^(١) ؛ فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجهز المسلمون معه ، وجعلت أعدو لا تجهز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول في نفسي ، أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم ينزل ذلك يتبادى بي حتى شرب الناس بالجد ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا ، والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهز بعده يوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فعدوت بعد أن فصلوا لا تجهز ، فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم عدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم ينزل ذلك يتبادى بي حتى أسرعوا ، وتفرط^(٢) الغزو ، فهممت أن أرتحل ، فأدركهم وليتي فعات ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطفت فيهم ، يحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا^(٣) عليه في النفاق ، أو رجلا ممن

(١) صعر : مفردة . أصعر وهو المائل . (٢) تفرط : فات . (٣) مغموصا : مطعون .

عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم يتبوك : ما فعل كعب بن مالك . فقال رجل من بني سلبة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، والنظر في عطفه ؛ فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيراً ؛ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك ، حضرنى بئى ^(١) ، فجعلت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا وأستمين على ذلك كل ذى رأى من أهلى ؛ فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم ^(٢) ، قادمًا زاح ^(٣) عنى الباطل ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقه ، وصباح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جالس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتدرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ولايمانهم ، ويستغفر لهم ، ويكل سرأثرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلمت عليه ، فتبسم تبسم المغضب ، ثم قال لى : تعاله لجئت أمشى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إني يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، لكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثاً كذباً لترضين عنى ، وليوشكن الله أن يستخطك على ، ولئن حدثتك حديثاً صدقاً تجد على فيه ، لئن لآرجو عقابى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضى الله فيك . فقممت ، وثار معى رجال من بني سلبة ، فاتبعونى فقالوا لى : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله ما زالوا لى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا أحد ثيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقاتلك ، وقيل لهما مثل ما قبل لك ، قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمري ، من بني عمرو بن عوف ، ودلال ابن أبى أمية الواقفى ؛ فذكروا لى رجلين صالحين ، فيهما أسوة ، فصمت حين ذكروهما لى ،

(٢) أظلم : أشرف .

(١) بئى : حزنى .

(٣) يقال زاح وانزاح : إذا ذهب ، والمصدر زيوحا وزيحانا .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ، من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لى نفسى والأرض ، فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبى فاستكانا ، وقعدا فى بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى ، هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه ، فأساوقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى نظر لى ، وإذا التفت نحوه أعرض عنى حتى إذ طال ذلك على من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة . وهو ابن عمى ، وأحب الناس لى ، فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عينائى ، ووثبت فتسورت الحائط . ثم غدوت لى السوق ، فبينما أنا أمشى بالسوق ، إذا نبطى^(١) يسأل عنى من نبط الشام ، بمن قدم بالطعام يديه بالمدينة ، يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يشيرون له لى ، حتى جاءنى ، فدفع لى كتابا من ملك غسان ، وكتب كتابا فى سرقة^(٢) من حرير ، فإذا فيه : « أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفأك ، ولم يجعلك الله بذار هوان ولا مضية . فالحق بنا نواسك^(٣) » . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضا ، قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك . قال : فعمدت بها لى تنور ، فسجرت^(٤) بها . فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الحسنيين إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : قلت : أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل لى صاحبى بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحق بأهلك ، فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض . قال : وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لآخادم له ، أفسكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربك ؛ قالت : والله يا رسول الله ما به من حركة لى ، والله

(١) النبطى واحد النبط ، قوم كانوا يسكنون بين العراق والأردن عاصمتهم (البصرة) .

(٢) السرقة : الشقة .

(٣) نواسك : أى يكون فينا المواساة لك .

(٤) سجرته : أحرقتة بلهب النار .

ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره . قال : فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله لا مرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تقدمه ؛ قال : فقلت : والله لا استأذنه فيها ما أدري ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لي في ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب . قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح ، صبح خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التي ذكر الله منا ، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت عليّ نفسي ، وقد كنت ابتليت خيمة في ظهر سلع ، فمكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء الفرج .

قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرسا ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ؛ فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني ، نزع ثوبي ، فكسوتهما إياه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة ، يقولو : ليهنك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله ، فحاني وهناني ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب بن مالك لا ينسأها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ، ووجهه يبرق من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قر . قال : وكنا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالي ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال : قلت : إني سمعت سمي الذي بخير ؛ وقلت : يا رسول الله ، إن الله قد نجاني بالصدق ، وإن من توبتي إلى الله أن لا أحدث إلا صدقا ما حييت ، والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاء الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضل مما أبلاني الله ، والله ما تعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : «لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِيفُوا ... إِلَى قَوْلِهِ : «وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هداني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أن لا أكون كذوبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، قال : «سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم ، إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لتعرضوا عنهم . فإن تعرضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين» .

قال : وكنا خُلِفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له ليعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ، حتى قضى الله فيه ما قضى ، فبذلك قال الله تعالى : «وعلى الثلاثة الذين خلفوا» .

وليس الذي ذكر الله من تخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا . وإرجائه أمرنا عن حلف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه (١) .

(١) وإنما اشتد غضبه على من تخلف عنه ونزل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاثة منهم ، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية ، لكنه في حق الأنصار خاصة كان فرض عين ، وعليه بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ألا تراهم يقولون يوم الحندق ، وهم يرتجزون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

ومن تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف ، لأنهم خرجوا لأخذ عير ، ولم يظنوا أن سيكون قتال ، فلذلك كان التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة كبيرة لأنها كالتكث لبيعتهم .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة ابن مسعود الثقفي ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما يتحدث قومه - إنهم قاتلوك ، وعرفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم .

قال ابن هشام : ويقال : من أبصارهم .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محبياً مطاعاً : فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ، لمزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على غليظة له . وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . فتزعم بنو مالك أنه قتل رجل منهم ، يقال له أوس بن عوف ، أخو بني سالم بن مالك . وتزعم الأحلاف أنه قتل رجل منهم ، من بني عتاب بن مالك . يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعروة : ما ترى في دمك ؟ قال : كراماً أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلى ، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرحل عنكم ، فادفنوني معهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثله في قومه لكمثل صاحب ياسين في قومه (١) .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشعرا ، ثم إنهم اتبعوا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

(١) يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور في سورة ياسين ، الذي قال لقومه « اتبعوا المرسلين ، فقتله قومه ، واسمه حبيب بن مري ، ويحتمل أن يريد صاحب الياس ، وهو اليسع ، فإن الياس يقال في اسمه : ياسين أيضاً ، وقال الطبري : وهو الياس بن ياسين ، وفيه قال تبارك وتعالى « سلام على آل ياسين » .

حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن عمرو بن أمية ، أخا بني علاج ، كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو ، الذي بينهما شيء ، وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب ، فشبى إلى عبد ياليل بن عمرو ، حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك : أخرج إلى قال : فقال عبد ياليل للرسول : ويلك ! أعمرو أرسلك إلى ؟ قال نعم ، وهاهو ذا واقفاً في دارك ، فقال : إن هذا الشيء ما كنت أظنه ، لعمرو كان أمتنع في نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحب به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة لأنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، قد أسلت العرب كلها ، وليست لكم بحرمهم طاقة ، فانظروا في أمركم . فعند ذلك اتصرت ثقيف بيننا ، وقال بعضهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب (١) ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع ، فأتروا بينهم ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ، كما أرسلوا عروة ، فكلّموا عبد ياليل بن عمرو بن عيمر ، وكان سن عروة ابن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به إذا رجع كما صنع بعروة . فقال : لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجلاً ، فأجمعوا أن يعيشوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بني مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل : الحكم بن عمرو بن وهب ابن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلة بن معتب ، وهن بن مالك عثمان بن أبي العاص ابن بشر بن عبد دهمان ، أخا بني يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بني سالم بن عوف ونمير بن خرشة بن ربيعة ، أخا بني الحارث . فخرج بهم عبد ياليل ، وهو ناب القوم (٢) وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صنع بعروة بن مسعود ، لكي يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه .

فلما دنوا من المدينة ، ونزلوا قناة ، ألقوا بها المغيرة بن شعبة ، يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رعيتهما تُؤوَّباً على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم ترك الركاب عند التقفيين ، وضرب (٣) يشد ، ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام ، بأن يشرط لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شروطاً ، ويكتبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً في قومهم وبلادهم وأنموالهم ، فقال أبو بكر الصديق : أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) السرب . القطيع من الحيوان أو الفريق من النساء أو جماعة النخل وهو أيضاً الطريق والقلب والصدر .

(٢) ناب القوم : سيدهم .

(٣) ضرب : وثب .

وسلم ، حتى أكون أنا أحده ؛ ففعل المغيرة . فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبره بقدمهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه ، فروح الظهر معهم ، وعلمهم كيف يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية . ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد ابن العاص ، هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلوا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية ، وهى اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم حتى سألو شهرا واحدا بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلوا بتركها من سفاهتهم ونسأهم وذراريهم ويكرهون أن يروا قومهم يهدمها حتى يدخلهم الإسلام ؛ فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبحث أبا سفيان بن حرب والمغيرة عن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنغنيكم منه ، وأما الصلاة ، فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد ، فسئلتكها ، وإن كانت دناءة . فلما أسلوا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ، أمر عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سنا ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إنى قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام ، وتعلم القرآن .

قال ابن إسحاق : وحدثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى ، عن بعض وفدهم . قال : كان بلال يأتينا - حين أسلنا وصمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقى من رمضان - بفطرننا وسحورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأتينا بالسحور ، وإنما لنقول : إنما لئرى الفجر قد طلع ، فيقول : قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر ، لتأخير السحور ، ويأتينا بفطرننا ، وإنما لنقول : ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد . فيقول : ما جئتكم حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يضع يده فى الجفنة ، فيأتم منها . قال ابن هشام : بفطورنا وسحورنا .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبى هند ، عن مطرف بن عبد الله بن الشيبان ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كان من آخر ما عهد لى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثى

على ثقيف أن قال : يا عثمان ، تجاوز في الصلاة ، واقدّر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير ، والصغير ، والضعيف ، وذا الحاجة .

هدم الثلاث : قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاً أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، في هدم الطاغية . فخرجوا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : أدخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الحدم فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه دونه ، بنو معتب ، خشية أن يرى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف محسراً يبكين عليها ويقلن :

لتبكين مذبذبات أسلمها الرضاع^(١)

لم يحسنوا المصاع^(٢)

قال ابن هشام : « لتبكين » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : يقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهالك ! آهالك ! فلما هدمها المغيرة ، وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان وحليها بمجموع ، وما لها من الذهب والجزع .

وكان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف ، حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف ، وأن لا يجامعاهم على شيء أبداً ، فأسلما ؛ فقتل لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وخالكا أبا سفيان بن حرب ، فقالا : وخالنا أبا سفيان بن حرب .

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو مليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال له قارب بن الأسود ، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الأسود مات مشركاً . فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ، لكن تصل مسلماً ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدين على ، وإنما أنا الذى أطلب

(١) الرضاع : اللثام . (٢) المصاع : القتال بالسيوف .

به ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية ؛ فلما جمع المغيرة ما لها قال لأبي سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما ، فقضى عنهما .

كتابه عليه السلام لتتقرب : وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لهم :
بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إن عضاه ^(١) وج
وصيده لا يعصد ^(٢) ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك ، فإنه يجلد وتزرع ثيابه ، فإن تعدى ذلك
فإنه يؤخذ فيبلغ به إلى النبي محمد ، وإن هذا أمر النبي محمد رسول الله .
وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعده أحد ، فيظلم نفسه فيما أمر به
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حج أبي بكر بالناس سنة تسع

واختصاص النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضوان الله عليه
بتأدية أول براءة عنه

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة
ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ، ليقم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك
على منازلهم من حجهم . فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين .

ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد ،
الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يصعد عن البيت أحدٌ جاءه ، ولا يخاف أحدٌ في الشهر
الحرام . وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهد بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب خصائص ، إلى آجال مسماة ، فنزلت فيه وفيمن

(١) العضاه : شجر له شوك .

(٢) لا يعصد : لا يقطع أى أنه حرام على غير أهله كتحریم مكة والمدينة ، وقيل وج : هي
الطائف وقيل لأنها واد بها .

تخطف من المنافقين عنه في تبوك ، وفي قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سراير أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ، منهم من سمى لنا ومنهم من لم يسم لنا ، فقال عز وجل : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » : أي لأهل العهد العام من أهل الشرك « فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، واعلموا أنكم غير معجزي الله ، وأن الله مخزي الكافرين . وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله » : أي بعد هذه الحجة « فإن تبتم فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم . إلا الذين عاهدتم من المشركين » : أي العهد الخاص إلى الأجل المسمى « ثم لم ينقصوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحدا » فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين . فإذا انسלخ الأشهر الحرم » : يعني الأربعة التي ضرب لهم أجلا « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، غفلوا سيئاتهم إن الله غفور رحيم . وإن أحد من المشركين » : أي من هؤلاء الذين أمرتكم بقتلهم « استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلفه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » .

ثم قال : « كيف يكون للمشركين ، الذين كانوا هم وأتباعهم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا يخيفوهم في الحرمه ، ولا في الشهر الحرام » عهد عند الله وعند رسوله ، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ، وهي قبائل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش ، وهي الدليل من بني بكر بن وائل ، الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم ، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر إلى مدته « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين » .

ثم قال تعالى : « كيف وإن يظهروا عليكم » : أي المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام ولا يرقبوا فيكم إلا « ولا ذمة » .

قال ابن هشام : الإل : الخلف . قال أوس بن حجر ، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم :

لئلا نو مالك والإل مرقبة ومالك فيهم الآلاء والشرف

وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : آلال ، قال الشاعر :

فلا إل من الآلال يبنى وبينكم فلا تألن جهداً
والذمة : العهد . قال الأجدع بن مالك الهمداني ، وهو أبو مسروق الأجدع الفقيه :
وكان علينا ذمة أن تجاوزوا من الأرض معروفاً إلنا ومنكراً .
وهذا البيت في ثلاثة أبيات له ، وجمعها : ذمم .

« يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون . اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ،
فصدوا عن سبيله ، إنهم ساء ما كانوا يعملون . لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، وأولئك هم
المعتدون ، أى قد اعتدوا عليكم « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ،
ونفصل الآيات لقوم يعقلون » .

اختصاص على بتأدية براءة : قال ابن إسحاق : وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن مخنف ،
عن أبي جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقم للناس الحج ، قيل له : يا رسول الله لو بعثت
بها إلى أبي بكر ، فقال : لا يؤدى عني إلا رجل من أهل بيتي ، ثم دعا علي بن أبي طالب
رضوان الله عليه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا
اجتمعوا ببنى ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يخرج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ،
ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، فخرج علي بن أبي طالب
رضوان الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضاء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق
فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا . فأقام أبو بكر
للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج ، التي كانوا عليها في الجاهلية ،
حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأذن في الناس بالذي أمره به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يخرج بعد العام
مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو
له إلى مدته : وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليرجع كل قوم إلى ما منهم أو
بلادهم ، ثم لاعد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى
مدة ، فهو له إلى مدته . فلم يخرج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطاف بالبيت عريان .

ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال ابن إسحاق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام ،
وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

الأمر بجهد المشركين : قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك ، من نقض من أهل العهد الخاص ، ومن كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلا إلا أن يعدوا فيها عاد منهم ، فيقتل بعدائه ، فقال : « ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدوكم أول مرة ، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله » : أي من بعد ذلك « على من يشاء » ، والله عالم حكيم . أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ، والله خير بما تعملون .

قال ابن هشام : وليجة : دخيل ، وجمعها : ولائج ؛ وهو من ولج يلبج : أي دخل يدخل ، وفي كتاب الله عز وجل : « حتى يلبج الجبل في سم الحياط » : أي يدخل ، يقول : لم يتخذوا دخيلا من دونه يسرون إليه غير ما يظهرون ، نجوا ما يصنع المنافقون ، يظهرون الإيمان للذين آمنوا « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » قال الشاعر :

واعلم بأنك قد جعلت وليجة ساقوا إليك الحنف غير مشوب

القرآن يرد على قريش ادعاءهم عمارة البيت : قال ابن إسحاق : ثم ذكر قول قريش : إنا أهل الحرم ، وسقاة الحج ، وعمار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا ؛ فقال : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » : أي أن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يعمر مساجد الله أي من يعمرها بحقها « من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » : أي فأولئك عمارها « فغشى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ، وعسى من الله : حق .

قال تعالى : « أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله » .

ثم القصة عن عدوهم ، وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وإن خفتم عيلة ، وذلك أن الناس قالوا : لتقطع عنا الأسواق ، فتهلكن التجارة ، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عز وجل : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » : أي من وجه غير ذلك « إن شاء » ، إن الله عالم حكيم ، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم

صاغرون ، : أى فى هذا عرض بما تخوفتم من قطع الاسواق ، فعوضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك ، ما أعطاهم من أعتاق أهل الكتاب ، من الجزية .

ما نزل فى أهل الكتابين : ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى : « إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

ما نزل فى النسيء : ثم ذكر النسيء ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسيء ما كان يحل مما حرم الله تعالى من الشهور ، ويحرم مما أحل الله منها : فقال : « إن عدة الفهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض . منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » : أى لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما : أى كما فعل أهل الشرك « إنما النسيء » الذى كانوا يصنعون « زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين » .

ما نزل فى تبوك : ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تناقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزو الروم ، حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونفاق من نفاق من المنافقين ، حين دُعوا إلى مادعوا إليه من الجهاد ، ثم مانعوا عنهم من إحداثهم فى الإسلام ، فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض » ، ثم القصية إلى قوله تعالى : « يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم » إلى قوله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثنائى اثنتين إذ هما فى الفار » .

ما نزل فى أهل النفاق : ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل النفاق : « لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ، ولكن بعدت عليهم الشقة ، وسيخلفون بالله لو استطاعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم ، والله يعلم أنهم لساذبون » : أى لأنهم يستطيعون عفا الله عنك ، لم أذن لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، « . . . إلى قوله : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ، ولأوضعوا خلالكم ، يغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم » .

قال ابن هشام : أوضعوا خلالكم : ساروا بين أضعافكم ، فالإيضاع : ضرب من السير أسرع من المشى : قال الأجدع بن مالك الهمداني :

بسطادك الواحد المدل بشأوه بشریح بین الشد والإيضاع^(١)

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم : عبد الله بن أبي بن سلول ، والجد بن قيس ؛ وكانوا أشرفا في قومهم ، فبغضهم الله لعلهم أن يخرجوا معه ، فيفسدوا عليه جنده ، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم ، وطاعة فيما يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم . فقال تعالى : « وفيكم سمعون لهم ، والله عليم بالظالمين ، لقد ابتغوا الفتنة من قبل ، : أى من قبل أن يستأذنوك ، « وقلبوا لك الأمور » : أى ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك » حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا ، « وكان الذى قال ذلك ، فيما سمى لنا ، الجد بن قيس ، أخو بنى سلة ، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم . ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو ممدخلوا لولوا إليه وهم يجمعون . ومنهم من يلزمك فى الصدقات ، فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ، : أى لأنما نيتهم ورضاهم ويسخطهم لدنياهم .

ما زل فى أصحاب الصدقات : ثم بين الصدقات لمن هى ، وسمى أهلها ، فقال : « لأنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

« أنزله فيمن آذوا الرسول : ثم ذكر غشهم وأذاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم ، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » . وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، نبتل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : لأنما محمد أذن ، من حذمه شيئا صدقه . يقول الله تعالى : « قل أذن خير لكم ، : أى يسمع الخير ويصدق به .

ثم قال تعالى : « يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين » .

(١) يريد بالوحد : الفرس الواحد . شأوه : سبقه . الشريح : النوع . الشد والإيضاع نوعان من الجرى .

ثم قال : « ولئن مدّلتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنسبتنم تستهزمون » . . . إلى قوله تعالى : « إن نعت عن طائفة منكم نعتب طائفة » ، وكان الذى قال هذه المقالة ودبعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بن زيد ، من بنى عمرو بن عوف ، وكان الذى عفى عنه ، فيما بلغنى : عشن بن حمير الأشجعى ، حليف بنى سلة . وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : « يأياها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلق عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » ، يحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ، وما تقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله . . . إلى قوله : « من ولى ولا نصير » . وكان الذى قال تلك المقالة الجللاس بن سويد بن صامت ، فرفعها عليه رجل كان فى حجره ، يقال له عمير بن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته ، فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين » ، وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بنى عمر بن عوف . ثم قال : « الذين يلززون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ، والذين لا يجحدون إلا جهمهم ، فيسخرن منهم ، سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » ، وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب فى الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى ، فتصدق بمائة وسق من تمر ، فلبزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء ، وكان الذى تصدق بمجده أبو عقيل أخو بنى أنيف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتصاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأمر بالسير إلى تبوك ، على شدة الحر وجذب البلاد ، فقال تعالى : « وقالوا لا تنفروا فى الحر : قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليسكوا كثيرا » . إلى قوله : ولا تعجبك أموالهم وأولادهم .

ما نزل بسبب الصلاة على ابن أبى : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفى عبد الله بن أبى ، دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد (١٠ - السيرة النبوية ج ٤)

الصلاة ، تحولت حتى قمت في صدره ، فقال : يا رسول الله ، أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي ابن سلول ؟ القائل كذا يوم كذا ، والقائل كذا يوم كذا ؟ أعدد أيامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت قال : يا عمر ، أخبر عني ، إني قد خيرت فاخترت ، قد قيل لي : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فإن يغفر الله لهم ، « فلو أعلم أني إن زدت على السبعين شفر له ، لزدت . قال : ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فرغ منه . قال : فعجبت لى ولجراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » ، لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ، فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

ما نزل في المستأذنين والعذريين والبكائين ومنافقي الأعراب : قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم » . وكار ابن أبي من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : « لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم » ، وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون . أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . ذلك الفوز العظيم . وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم ، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله . . . إلى آخر القصة . وكان المعذرون ، فيما بلغني نفراً من بنى غفار ، منهم خفاف بن أبيات بن رَحْصَة ، ثم كانت القصة لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزننا ألا يهتدون ما ينفقون ، وهم البكادون .

ثم قال تعالى : « إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء » ، رضوا بأن يكونوا مع الخوائف ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ، الخوائف : النساء . ثم ذكر حافهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال : « نأعرضوا عنهم » ، إلى قوله تعالى : « فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » .

ثم ذكر الأعراب ومن ناذق منهم وترى بهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فقال : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق » : أى من صدقة أو نفقة فيسبيل الله ومغرم ما يترهبون بسكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء ، والله سميع عليم .

ما نزل في المخلصين من الأعراب : ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ،

فَقَالَ : وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّبِعُ
مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ، أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ، .

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار : ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين
والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان
فقال : « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ » ، ثم قال تعالى : « وَبِمَن حَتَّوْا لَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ
مُخَافَةٌ وَبِمَن أَهْلُ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ » ، أي لجوا فيه ، وأبوا غيره
« سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مَّرْجَتَيْنِ » ، والعذاب الذي أوعده الله تعالى مرتين ، فيما بلغني عنهم
بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم في القبور
إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه ، عذاب النار والخلد فيه . ثم قال تعالى :
وَأَخْرُوجْهُمْ عَنْهُ بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرًا سَيِّئًا ،
هَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، لَئِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، .

ثم قال تعالى : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا » ،
إلى آخر القصة . ثم قال تعالى : « وَأَخْرُوجْهُمْ مُرْجَوْنَ لِلْإِمْرِ اللَّهِ » ، إِمَّا يَعْتَدِبُهُمْ
وإِمَّا يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، ، وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم . ثم قال تعالى : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا
ضُرَارًا ، . . . إلى آخر القصة ثم قال تعالى « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآنَ لَهُمُ الْجَنَّةُ » ، ثم كن قصة الخبر عن تبوك ، وما كان
فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءة تسمى في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعده المبعثرة ، لما كشفت من سراير
الناس . وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حسان يعدد مغازيه صلى الله عليه وسلم شعرا

وقال حسان بن ثابت يعدد أيام الانصار مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ويذكر مواطنه معه في أيام غزوه :

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

ألست خير معد كلها نفراً	ومعشر أن هم عُمِدُوا وإن حُصِّلُوا (١)
قوم هم شهدوا بدرأ بأجمعهم	مع الرسول فآلوا وما خذلوا (٢)
وبأيعوه فلم ينكث به أحد	منهم ولم يك في إيمانهم دخل (٣)
ويوم صبحهم في الشعب من أحد	ضرب رصين كحر النار مشتعل (٤)
ويوم ذى قرد يوم استثار بهم	على الجياد فآخاموا وما فكلوا (٥)
وذا العشرة جاسوها بخيلهم	مع الرسول عليها البيض والأسل (٦)
ويوم وُدَّان أجلوا أهله رقصا	بالخيل حتى نهانا الحزن والجبل (٧)
وليلة طلبوا فيها عدوهم	فله والله يهزمهم بما علوا
وغزوة يوم نجد ثم كان لهم	مع الرسول بها الأسلاب والنفل
وليلة بختين جاهدوا معه	فيها يعلمهم بالحرب إذ نهلوا (٨)
وغزوة القعاع فزقنا العدو به	كما تفرق دون المشرب الرسل (٩)
ويوم بوبع كانوا أهل بيعته	على الجلال فآسوه وما عدلوا
وغزوة الفتح كانوا في سريته	مراجلين فآشوا وما سجلوا
ويوم خير كانوا في كتيبته	يمشون كلهم مستقبل بطل

(١) حصَّلوا : أصلها بتشديد الصاد وخففها لضرورة الشعر . ومعنى حصَّلوا : جمعوا .

(٢) آلوا : قصرُوا . (٣) دخل : فساد

(٤) رصين : ثابت . (٥) خام : جبن وتراجع

(٦) جاسوها : وطئوها . البيض : السيوف . الأسل : الرماح .

(٧) الرقص : نوع من المشو . الحزن : الأرض الغليظة المرتفعة .

(٨) يعلمهم : يكرر عليهم ، من المال وهو الثوب الثاني . نهلوا : شربوا الثوب الأول .

(٩) الرسل : الإبل .

بالبض ترعش في الإيمان عارية تخرج في الضرب أحيانا وتعادل
ويوم سار رسول الله محتسبا إلى تبرك وهم راياته الأول
وساسة الحرب إن حرب بدت لهم حتى بدا لهم الإقبال والقفل^(١)
أولئك القوم أنصار النبي وهم قومي أصير إليهم حين أتصل
ماتوا كراما ولم تمسك عهودهم وقتلهم في سبيل الله إذ قتلوا
قال ابن هشام : عجز آخرها بيتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : قال حسان بن ثابت أيضا :

كنا ملوك الناس قبل محمد	فلما أتى الإسلام كان لنا الفضل
وأكرمنا الله الذي ليس غيره	إله بأيام مضت ما لها شكل
بنصر الإله والرسول ودينه	وألبنائه أسما مضى ماله مثل
أولئك قومي خير قوم بأسرهم	فما عد من خير ققوي له أهل
يربون بالمعروف معروف من مضى	وليس عليهم دون معروفهم قفل ^(٢)
إذا اختبطوا لم يفحشوا في نديمهم	وليس على سؤا لهم عندهم بخل ^(٣)
وإن حاربوا أو سالموا لم يشبهوا	فخرهم حنف وسلمهم سـ
وجارهم موف بعلياء بيته	له - ماثوى فينا - الكرامة والبذل
وخاملهم موف بكل حماه	تحمل لا غرم عليها ولا خذل
وقاتلهم بالحق إن قال قائل	وحلهم عود وحكمهم عدل ^(٤)
ومنا أمير المسلمين حياته	ومن غسلته من جنابته الرسل ^(٥)

قال ابن هشام : وقوله : « وألبنائه أسما » عن غير ابن إسحاق :

-
- (١) القفل : الرجوع . (٢) يربون : يصلحون .
(٣) اختبطوا : قصدوا . (٤) عود : متكرر .
(٥) أمير المسلمين : هو سعد بن معاذ فإن الأنصار تزعم أن الرسول قال للمسلمين جميعا
مهاجرين وأنصار قوموا إلى سيدكم . أما من غسلته الملائكة . هو خنظلة المدعو غسيل الملائكة
وهو أنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

قوى أوائك إن تسأل	كرام إذا الضيف يوما ألم
عظام القدور لا يسارهم	يكبرون فيها المسن السقيم ^(١)
يؤاسون جوارهم في الغنى	ويحمون مولاهم إن ظلم
فكانوا ملوكا بأرضهم	ينادون عضبا بأمر غشم
ملوكا على الناس ، لم يملكوا	من الدهر يوما كحل القسم ^(٢)
فأنجبوا بعاد وأشياهم	ثمود وبعض بقايا لرم ^(٣)
بيثرب قد شيدوا في النخيل	حصونا ودجن فيها النعم ^(٤)
نواضح قد علتها اليهو	د : عل - إليك وقولا هلم ^(٥)
وقا اشتها من عصير القضا	ف والعيش رخوا على غيرهم
فسرنا إليهم بأنقالنا	على كل فحل هجان قطم ^(٦)
جنبنا بين جياذ الحيو	ل قد جالوها جلال الآدم ^(٧)
فلما أناخوا بجنبي صرار	وشدوا السروج بلي الخزم
فما راعهم غير معج الحيو	ل والزحف من خلفهم قد دهم ^(٨)
فطاروا سراعا وقد أفرعوا	وجئنا إليهم كأسد الأجم
على كل سلمية في الصبا	ن لايشكين نحول السأم ^(٩)
وكل كيت مطار الفؤاد	أمين الفصوص كئل الزلم ^(١٠)
عابها فوارس قد عودوا	قراع الحكاة وضرب الهم ^(١١)
ملوك إذا غشموا في البلاد	لاينكلون ولكن فؤدم ^(١٢)

(١) الأيسار : من يدخلون في الميسر . السمن : عظيم السنام .

(٢) حل القسم : يراد بها المدة القصيرة .

(٣) أنبوا : أنبتوا . (٤) دجن : اتخذت في البيوت .

(٥) النواضح : الإبل التي يسقى عليها الماء . عل : كلمة تزجر بها الإبل .

(٦) الهجان : الأبيض . قطم : المشتى الضراب .

(٧) جنبنا : قدنا إلى جنبنا . جالوها : غطوها . الآدم : الجلد .

(٨) معج : سرعة . (٩) السلمية : الفرس السريعة .

(١٠) مطار : ذكي . أمين الفصوص : ماقوى من العظام . الزلم : القدح .

(١١) الهم : الأبطال الشجعان . (١٢) غشموا : اشتد ظلمهم .

فأبنا بساداتهم والنساء
ورثنا مساكنهم بعمد
فلما أتانا الرسول الرشيد
قلنا صدقت رسول الملك
فنشهد أنك عبد إلا
فأنا وأولادنا مُجَنَّة
فنحن أولئك إن كذبوك
وناد بما كنت أخفيته
فصار الفؤاد بأسياهم
فقننا إليهم بأسيافنا
بكل صقيل له ميمة
إذا ما يصادف صم العظا
فذلك ما ورثتنا القرو
إذا مر نل كفى نسله
فما إن من الناس إلا لنا

وأولادهم فيهم تقتم
وكنّا ملوكا بها لم نرم
د بالحق والتور بعد الظلم
هلم إلينا وفينا أقم
ه أرسلت نورا بدين قيم
تقيقك وفي مالنا فاحكم
فناد نداء ولا تحشم
نداء جهاراً ولا تكتم
إليه يظنون أن يخترم (١)
نجدد عنه بغاة الأمم
رقيق الذباب عضوض خدم (٢)
م لم ينب عنها ولم يتلم
م مجدداً تليداً وعزاً أثم (٣)
وغادر نسلا إذا ما انفصم (٤)
عليه وإن خاس فضل النعم (٥)

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد الأنصاري بيته :

فكانوا ملوكا بأرضهم يسادون غضبا بأمر غم
وأنشدني :

يشرب قد شيدوا في النخيل حصونا ودجن فيها التعم
وبيته . . . وكل كيت مطار الفؤاد . عنه .

(١) يخترم : يهلك .

(٢) له ميمة أى مصقول يشبه المائعات في بريقه وصفاته . الذباب حصد السيف .

خدم : قاطع .

(٣) القروم : السادة . التليد : القديم . الأثم : العالى .

(٤) انفصم : انقضى . (٥) خاس : خسر .

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت نقيف وبأيمت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن ذلك في سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب تترقب بالاسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهادهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا يتكرون ذلك ، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ، ودوخها الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، كما قال عز وجل : أفواجا ، يضربون إليه من كل وجه ، يقول الله تعالى لئنبيه صلى الله عليه وسلم : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » : أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان توابا .

قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات

رجال الوفد : تقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرد العرب ، فقدم عليه عطادر ابن حاجب بن زرارة بن عدس التميمي ، في أشراف بني تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمي والوبرقان بن بدر التميمي ، أجد بن سعد ، وعمر بن الأهتم ، والحجاب بن يزيد .

الحفلات : قال ابن هشام : الحفلات وهو الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين ، بين أبي بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وبين أبي ذر الغفاري والمقداد بن عمرو الجرائي ، وبين معاوية بن أبي سفيان والحفلات بن يزيد الجاشعي فأت الحفلات عند معاوية في خلافته ، فاخذ معاوية ما ترك وراثته بهذه الأخوة ، فقال الفرزدق لمعاوية .

أبوك وعمي يا معاوية - أوراها
تواثا فيحتاز التراث أقاربها

فأبال ميراث الحثات أكلته وميراث حرب جامد لك ذائبه

قال ابن إسحاق : وفي وفد بني تميم نعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم ، أخو بني سعد ، في وفد عظيم من بني تميم .

قال ابن هشام : وعطار بن حاجب ، أحد بني دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ، والأقرع بن حابس ، أحد بني دارم بن مالك ، والحثات بن يزيد ، أحد بني دارم بن مالك ، والبرقان بن بدر ، أحد بني بهلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن الأهم ، أحد بني منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقيس بن عاصم ، أحد بني منقر بن عبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق : ومعهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وقد كان الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنينا والطائف .

أصحاب الحجار : فلما قدم وفد بني تميم كانوا معهم ، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجارته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فأذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئتاك تفاخر ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ؛ قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل .

كلامه عطارد : فقام عطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذي له علينا الفضل والمز ، وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عدة ، فن مثلنا في الناس وأولى فضلهم ؟ فن فاخر فليعدد مثل ما عددنا ، ولو نشاء لا أكثرنا الكلام ، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، ولنا نعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس .

ثابت بن قيس يرد على عطارد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس ، أخى بني الحارث بن الخزرج : قم ، فأجب الرجل في خطبته . فقام ثابت ، فقال :

الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه عليه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، وأعطاني من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسباً ، وأصدق جدينا ، وأفضله حسبا ، فأنزل عليه كتابه وآتته على خلقه ، فكان خيرة

الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس حسبا ، وأحسن الناس وجوها ، وخير الناس فعالا . ثم كان أول الخلق لإجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، فقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبدا ، وكان قتله علينا يسيرا . أقول قولى هذا واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

الزبرقان يفتخرون بقومه ؛ فقام الزبرقان بن بدر ، فقال :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا	منا الملوك وفينا تنصب البيع ^(١)
وكم قسرنا من الأحياء كلهم	عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا	من الشواء إذا لم يؤنس القزع ^(٢)
بما ترى الناس تأتينا سراهم	من كل أرض هؤليا ثم تصطنع ^(٣)
فتنحر الكوم عبطا فى أرومتنا	للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا ^(٤)
فلا ترانا إلى حى نفاخرهم	إلا استفادوا فكانوا الرأس يقطع
فن يفاخرنا فى ذاك نعرفه	فيرجع القوم والأخبار تُسمع
إنا أيننا ولا يأتى لنا أحد	إنا كذلك عند الفخر ترتفع

قال ابن هشام : ويروى :

منا الملوك وفينا تقسم الربع^(٥)

من كل أرض هوانا ثم تتبع

رواه لى بعض بنى تميم ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينسكروا للزبرقان .

حسان يرد على الزبرقان : قال ابن إسحاق : وكان حسان غائبا ، فبعث إليه رسول الله

(١) البيع : أماكن العبادة . (٢) القزع : السحاب ليس فيه مدبر

(٣) هويا : سراعا .

(٤) الكوم : التوق عظام الأسنة . عبطا : بلا سبب . الأرومة : الكرم .

(٥) الربع والمرباع : ربع الغنمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية .

صلى الله عليه وسلم قال حسان : جاءني رسوله ، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم ،
فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا على أنف راض من معد وراغم
منعناه لما حل بين ييوتنا بأسياننا من كل باغ وظالم
بيت حريد عزه وثرأوه بحماية الجولان وسط الأعاجم (١)
هل المجد إلا السودد العود والندی وجاء الملوك واحتمال العظام (٢)

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ،
عرضت في قوله ، وقلت على نحو ما قال . قال : فلما فرغ الزرقان ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال . فقام حسان ، فقال :

إن الذوائب من فيهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس متببع (٣)
يرضى بهم كل من كانت سريرته تقوى الإله وكل الخير يصطنع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حارلوا النفع في أشياهم نفعا
سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع (٤)
إن كان في الناس سابقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبتهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون مارقوا (٥)
إن سابقوا الناس يوما فاز سبتهم أو وازنوا أهل مجد بالندی متعوا (٦)
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم لا يطبعون ولا يردبهم طمع (٧)
لا يخلون على جار بفضلهم ولا يمسهم من مطمع طبع (٨)

(١) الحريد : الفريد في العز . الجولان : بلد بسوريا والمراد أن عزم قديم متصل
بحضارة الفساسة في الشام .

- (٢) السودد : المجد . والعود : المتكرر . (٣) الذوائب : السادة الأشراف .
(٤) السجية : الطيبة . (٥) أوهت : هدمت .
(٦) متعوا : زادوا وارتفعوا . (٧) لا يطبعون : لا يتدنسون .
(٨) طبع : دنس .

إذا نصبنا لحى لم ندب لهم كما يدب إلى الوحشية الذرعم^(١)
 نسمو إذا الحرب نالتنا مخالها إذا الزعانف من أظفارها خشعوا^(٢)
 لا يفخرون إذا نالوا عدوهم وإن أصيدوا فلا يخشون ولا هلع^(٣)
 كأنهم في الوغى والموت مكتنع أسد بحلية في أرساغها فدع^(٤)
 خذ منهم ما أتى عفواً إذا غضبوا ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
 فإن في حربهم — فابرك عداوتهم — شرا يخاض عليه الستم والسلع^(٥)
 أكرمهم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفاوتت الأهواء والشيع
 أهدى لهم مدحى قابى يؤازره فيما أحب لسان حائك صنع
 فإنهم أفضل الأحياء كلمهم إن جد بالناس جبد القول أو شمعوا^(٦)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد :

يرضى بها كل من كانت سريره تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا
 شعر آخر للزبرقان بن بدر : وقال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم بالشعر من بنى تميم :
 أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم قام فقال :
 أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا إذا احتفلوا عند احتضار المواسم
 بأنا فروع الناس فى كل موطن وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم
 وأنا نذود الملعون إذا اتخروا ونضرب رأس الاصيد المتفاقم^(٧)

-
- (١) نصبنا : أظهرنا العداوة . الذرعم : ولد بقرة الوحش .
 (٢) نسمو : نهمض . الزعانف : يريد بها : أطراف الناس . خشعوا : تذللوا .
 (٣) الخشوع : الضعفاء .
 (٤) مكتنع : قريب . حلية مكان باليمن كانت تكثر فيه الأسود . الأرساغ جمع رسغ : مفصل ما بين الساق والقدم . فدع : اعوجاج .
 (٥) السلع : نبات سام . (٦) شمعوا : هزلوا .
 (٧) الملعون : الشجعان الذين يضعون عليهم علامة يعرفون بها . الاصيد : المتكبر .
 المتفاقم : المتعاضم .

وأن لنا المرباع في كل غارة نغير بنجد أو بأرض الاعاجم

شعر آخر لحسان في الرد على الربيعان : فقام حسان بن ثابت فأجابه ، فقال :

مل المجد إلا السودد العود والندى وجاء الملوك واحتمل العظام
نصرنا وآوينسا النبي محمداً على أنثف راض من معد وراغم
بحي حريد أصله وثرأوه بحماية الجولان وسط الاعاجم
نصرناه لما حل وسط ديارنا بأسياننا من كل باغ وظالم^(١)
جعلنا بنينا دونه وبناتنا وطبنا له نفسا بقاء المغانم
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا على دينه بالمرهقات الصوارم
ونحن ولدنا من قريش عظيمها ولدنا نبي الخير من آل هاشم^(٢)
بني دارم لاتفخروا إن فخركم يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأتم لنا خول ما بين ظئر وخادم^(٣)
فإن كنتم جئتم لحقن دماءكم وأموالكم أن تنقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلوا ولا تلبسوا زيا كزى الاعاجم

إسلام الوفه : قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبي ، إن هذا الرجل لمؤتى له^(٤) ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلبوا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم :

شعر ابن الأهتم في هجاء قيس : وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في ظهرهم^(٥) ، وكان أصغرهم سنا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهتم : يا رسول الله ، إنه قد

(١) انظر شرح الأبيات السابقة في هامش ص ١٥٥ .

(٢) ذلك أن أم عبد المطلب . من أهل يثرب .

(٣) هبلتم : نكلكم . الخول : البعيد والخدم . الظئر : المرضعة غير ولدها .

(٤) مؤتى له : أى موفق .

(٥) ظهرهم : لإبائهم .

كان رجل منا في رحالنا ، وهو غلام حدث ، وأزرى به ، عأفطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى النعم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيسا قال ذلك يهجو :
طسبكت مفترش الهلباء تشتمنى عند الرسول فلم تصدق ولم تصب^(١)
سدناكم مسوددا رهوا وسوددكم ياد نواجذه مقع على الذنب^(٢)

قال ابن هشام : بقي بيت واحد تركناه ، لأنه أقذع فيه .

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

في الوفادة عن بني عامر

رؤساء الوفود : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر ، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

عامر يدبر الغدر بالرسول : فقدم عامر بن الطفيل بدو الله ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلوا فأسلم قال : والله لقد كنت آليت أن لا أتبع حتى تتبع العرب عقي ، أفأنا أتبع عقب هذا الفئ من قريش : ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل ، فإني سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ؛ فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد ، خالي^(٣) ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يا محمد خالي . وجهل يكلمه ويتنظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يغير شيئا ؛ قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالي قال :

(١) الهلباء في الأصل : شعر الذنب ويريد به هنا مؤخرته .

(٢) رهوا : متسعا . النواجذ : الأسنان . مقع : جالس على الذنب : يريد به هنا مؤخرته .

(٣) خالي : أى اتخذني خليلا .

لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له . فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لا ملأنا عليك خيلاً ورجالاً : فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم اكفني عامر بن الطفيل . فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وإيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا أبالك : لا تعجل على ، والله ما هممت بالذى أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل ، حتى ما أرى غيرك ، أما ضربك بالسيف ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه : وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأة من بنى سلول ، فجعل يقول : يا بنى عامر ، أعد كغدة البكر^(١) في بيت امرأة من بنى سلول ؟

قال ابن هشام : ويقال أشدة كغدة الإبل ، وموتاً في بيت سلوية .

موت أربد بصاعقة : قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين واروه ، حين قدموا أرض بنى عامر شاتين ؛ فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شيء والله ، لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندى الآن ، فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة صاعقة ، فأحرقتهما . وكان أربد ابن قيس أخا ليث بن ربيعة لأمه .

ما نزل في عامر وأربد : قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس قال : وأنزل الله عز وجل في عامر وأربد : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد » . إلى قوله « وما لهم من دونه من وال » .

قال : المعقبات : هي من أمر الله يحفظون محمداً ، ثم ذكر أربد وما قتله الله به ، فقال : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » ، إلى قوله : « شديد المحال » .

شعر لبيد في بكاء أربد : قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكي أربد :

ما لمن تعدى الموتون من أحد لا والد مشفق ولا ولد
أخشى على أربد الختوف ولا أهرب نوء السهاك والأسد

(١) الغدة : مرض يصيب الإبل تموت منه . البكر : النقى من الإبل .

فمن هــلا بكيت أريد إذ
 إن يشغبوا لا يبال شغبهم
 حلو أريب وفي حلاوته
 وعين هـلا بكيت أريد إذ
 وأصبحت لأحسا مصرمة
 أشجع من ليث غابة لحم
 لا تبلغ العين كل نعمتها
 الباعث النوح في مآتمه
 فجعل البرق والصواعق بال
 والحارب الجابر الحريب إذا
 يعفو على الجهد والسؤال كما
 كل بني حرة مصيرهم
 إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا
 قمنا وقام النساء في كبد^(١)
 أو يقصدوا في الحكوم يقتصد
 مر لطيف الأحشاء والكبد
 ألوت رياح الشتاء بالمضد
 حتى تجلت غواير المـُسد^(٢)
 ذو نهمة في الملا ومنتقد^(٣)
 ليلة تسمى الجياد كالقـُدد^(٤)
 مثل الظباء الأبرار بالجرّد^(٥)
 غارس يوم الكربة النجد
 جاء نكيا وإن يـُعدّ يـُعد^(٦)
 ينبت غيث الربيع ذو الرصد^(٧)
 قل وإن أكرت من العد
 يوما فهم للهلاك والنقد

قال ابن هشام : بيته : « والحارب الجابر الحريب » عن أبي عبيدة ، وبيته : « يعفو على
 الجهد » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضا يكي أريد :

ألا ذهب المحافظ والمحامي
 وأيقنت التفرق يوم قالوا
 تطير عدائد الأشرار شفا
 ومانع ضيما يوم الخصام
 تقشّم مال أريد بالسام
 ووترا والزعام للـُلام^(٨)

(١) الكبد : المشقة .

(٢) مصرمة : لا لبن فيها . الغواير : البقايا .

(٣) لحم : كثير أكل اللحم . منتقد : بصير بالأمور .

(٤) القدد : السيور تصنع من الجلد .

(٥) النوح : جماعة النساء الناحية . الجرد : الأراضى القاحلة .

(٦) الحارب : السالب . والنكيب : المصاب .

(٧) يعفو : يعطى . الرصد : الكلأ القليل .

(٨) العدائد : الانصباء . الأشرار : الشركاء .

فودع بالسلام أبا حُريز
وكنّت إمامنا ولنا نظاما
وأريد فارس الهيجا إذا ما
إذا بكر النساء مردفات
غواءل يوم ذلك من أناه
ويحمد قدر أريد من عراها
وجارته إذا حلت لديه
فإن تقعد فكمرة حصان
وهل حدثت عن أخوين داما
وللا الفرقدين وآل نعش

وقل وداع أريد بالسلام
وكان الجزع يحفظ بالنظام^(١)
تقرت المشاجر بالفثام^(٢)
حواسر لا يُجتن على الخدام^(٣)
كما وآل المحل إلى الحرام^(٤)
إذا ما ذم أرباب اللحم
لها نفل وحظ من سنام
وإن تظعن فمحسنة الكلام
على الأيام إلا ابني شمام^(٥)
خوالد ما تحدث بانهدام^(٦)

قال ابن هشام : وهي في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضا يبيكي أريد :

انع الكريم للكريم أربدا
يحنى ويعطى . ماله ليحمدا
السابل الفضل إذا ما مُعددا
رفها إذا يأتي ضريك وردا
يزداد قربا منهم أن يوعدا

انع الرئيس واللطيف كبدا
أدما يشبهن مصورا أربدا^(٧)
ويلا الجفنة ملنا مددا^(٨)
مثل الذي في الغيل يقرؤ جمدا^(٩)
أورثنا تراث غير أنكدا

(١) الجزع : الحُرز الباني .

(٢) المشاجر : نوع من الهودج . الفثام : ما يفرش في الهودج .

(٣) يجتن : يعطين . الخدام مفردا خدمة ، الساق

(٤) وآل : ألقا . (٥) ابنا شمام : جبلان .

(٦) الفرقدان : نجمان نيران . وآل نعش يقصد بنات نعشى الكبرى والصغرى : مجموعات

من النجوم .

(٧) يحنى : يعطى . الأدم : الإبل البيض . الصور : القطيع من بقر الوحش . أربدا :

نافرة . (٨) الجفنة : وعاء يصنع من خشب الابنوس (٩) رفها : متكررا .

الضريك : الفقير . الغيل : أكمة الأسد . يقرؤ : يتبع . جمدا : اسم جبل .

(١١) — السيرة النبوية ، ج ٤)

غبا ومالا طارفا وولدا شرخا صقورا يافعا وأمردا^(١)
وقال ليبدأ أيضا :

لن متفنيا خيرات أر يد فابكيا حتى يعودا
قولا هو البطل المحامي حين يكسون الحديد
ويصد عنا الظالمين من إذا لقينا القوم صيدا^(٢)
فاعتاقه رب البرية إذ رأى أن لا خلودا^(٣)
فشوى ولم يوجع ولم يوصب وكان هو الفقيدا
وقال ليبدأ أيضا :

يذكرني بأربد كل خصم ألد تخال خطته ضرارا^(٤)
إذا اقتصدوا فقتصد كريم وإن جاروا سواء الحق جارا
ويهدى القوم مطلقا إذا ما دليل القوم بالمومة حارا^(٥)
قال ابن هشام : آخرها بيتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال ليبدأ أيضا :

أصبحت أمشي بعد سلمى بن مالك وبعد أبي قيس وعروة كالأنجب^(٦)
إذا ما رأى ظل الغراب أضجه حذارا على باقي السنانين والعصب^(٧)
قال ابن هشام : وهذان البيتان في أبيات له .

قدوم ضمام بن ثعلبة واقفا عن بني سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم
يقال له ضمام بن ثعلبة .

-
- (١) شرخا : شابا . اليافع : الغلام قارب البلوغ . والأمرد : الذي لما تنبت لحيته .
(٢) الصيد : المتكبرون (٣) اعتاقه : أعاقه عن أن يبلغ غايته .
(٤) ألد : قوى الخصومة . (٥) المومة : الصحراء . (٦) الأنجب : مقطوع السنام .
(٧) أضجه : صاح عليه . السنانين : فقار الظهر .

إسلامه : قال ابن إسحاق : لحدثني محمد بن الوليد بن نوفيع عن كريب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه ؛ وكان ضمام رجلا جلدأ أشعر ذا غديرتين ^(١) ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . قال : أحمد ؛ قال : نعم ؛ قال : يا ابن عبد المطلب ، إني سأتلك ومغلظ عليك في المسئلة ، فلا تجدن في نفسك ، قال : لأجد في نفسي ، فسل عما بدالك ، قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لأنشرك به شيئا ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن تعلى هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ، قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة . الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة منها ، كما ينشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ؛ وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيره راجعا . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق ذوالمقيصتين دخل الجنة .

دعوة قومه الاسلام : قال : فأتى بعيره بأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه . فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعزى ! قالوا : مه يا ضمام اتق البرص ، اتق الجنون ! قال : ويلكم ! لئنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، وما نهاكم عنه . قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما .

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قدم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

قدوم الجارود في وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حنش أخو عبد القيس.
قال ابن هشام: الجارود بن بشر بن المعل في وفد عبد القيس وكان نصرانيا .

إسلامه : قال ابن إسحاق : حدثني من لآتهم ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه : فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إني قد كنت على دين ، وإني تارك ديني لدينك ، أفتضمن لي ديني؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا ضامن أن قد هدّك الله إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجملان ، فقال : والله ما عندي ما أحلّكم عليه . قال : يا رسول الله ، فإن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس : أفتبليغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إياك ولأياها ، فإنما تلك حرق النار .

موقعة من ردة قومه : فخرج من عنده الجارود راجعا إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، صلبا على دينه ، حتى هلك وقد أدرك الردة ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر (١) ، قام الجارود فتكلم ، فتشهد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس ، إني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأكفّر من لم يشهد .

قال ابن هشام : ويروى : وأكفى من لم يشهد .

إسلام المنذر بن ساوى : قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدى ، فأسلم فحسن إسلامه ، ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البحرين ، والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين .

قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلة الكذاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة ، فيهم مسيلة بن حبيب الحنفي الكذاب

قال ابن هشام : مسيلة بن ثمامة ، ويكنى أبا ثمامة .

(١) اسمه المنذر : وسمى الغرور لأنه غر قومه يوم حرب الردة .

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بني النجار ، حدثني بعض علمائنا من المدينة : أن بني حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه . معه عسيب من سعف النخل ، في رأسه خوصات ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفوا مسيلة في رحالهم ، فلما أسلبوا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبنا لثاني رحالتنا وفي ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ؛ أي لحفظه ضيعة أصحابه ، وذلك الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تذييق مسيلة : قال ؛ ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني له : أما إنه ليس بشركم مكانا ، ماذا لا لما كان يعلم أني قد أشركت في الأمر معه ، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة (١) للقرآن : لقد أنعم الله على الحيلي ، أخرج منها نسمة تسمى ، من بين صفاق (٢) وحشى . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي ، فأصفت (٣) معه حنيفة على ذلك ، فأنه أعلم أي ذلك كان .

قدوم زيد الخيل في وفد طيء

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه ، وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلبوا ، لحسن إسلامهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني من لا أتهم من

(٢) الصفاق ما رقى من البطن .

(١) مضاهاة : مشابهة .

(٣) أصفت : اجتمعت .

رجال طيء ؛ ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ، ثم جاءني ، إلا رأيته دون ما يقال فيه ،
إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه ، ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ،
وقطع له فيدا وأرضين معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
راجعا إلى قومه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ينج زيد من حمى المدينة فإنه قال :
قد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى ، وغير أم ملدم^(١) فلم يثبت — فلما
اتتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فردة ، أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد
بالموت قال :

أمرتchl قومي المشارق غدوة وأترك في بيت بفردة منجد
ألا رب يوم لو مرضت لعادني عوائد من لم يبر منهن يجهد^(٢)

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه ، التي قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرقتها بالنار .

قدوم عدى بن حاتم

وأما عدى بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغني : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرأة شريفا وكنت نصرانيا ،
وكنت أسير في قومي بالمرباع^(٣) فكنت في نفسي على دين وكنت ملكا في قومي ، لما كان
يسمع بي . فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرمته ، فقلت لغلام كان لي عربي ، راعيا
لإبلي : لا أبالك ، أعدد لي من إبلي أجمالا ذللا^(٤) سمانا ، فاحتبسها قريبا مني ، فإذا سمعت بجيش

(١) والاسم الذي ذهب عن الراوى من أسماء الحمى ، هو أم كلبة ، قاله أبو عبيدة في مقاتل
الفرسان ، ولم أره ، ولكن رأيت البكري ذكره في باب أفرد من أسماء البلاد ، ولها أيضا
اسم سوى هذه الاسماء ذكره ابن دريد في الجهرة ، قال : سباط ، من أسماء الحمى على وزن
رقاش ، وأما أم ملدم ، فيقال بالذال ، وبالذال وبكسر الميم وفتحها ، وهو من اللدم وهو شدة
الضرب ، ويحتمل أن يكون أم كلبة هذا الاسم مغيرا من كلبة بضم الكاف ، والكلبة شدة
الرعدة ، وكلب البرد شدائده ، انظر الروض ج ٤ ص ٢٢٧ .

(٢) يبرى : يجهد . (٣) أى أخذ ربع الغنيمة وكذلك كان يفعل الرؤساء في الجاهلية .

(٤) الذلل : السهلة .

لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ، ففعل ، ثم إنه أتاني ذات غداة ، فقال : يا عدى . ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فإني قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : تقرب إلى أجمالي ، فقربها ، فاحتملت بأهلي وولدي ، ثم قلت : ألق بأهل ديني من النصارى بالشام ؛ فسلكت الجوشية ، ويقال : الحوشية فيما قال ابن هشام - وخلفت بنتا^(١) لحاتم في الحاضر ؛ فلما قدمت الشام أقمت بها .

أسر الرسول ابنة حاتم : وتحالفني خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبأيا من طيء وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي إلى الشام ، قال : لجعلت بنت حاتم في حظيرة بياب المسجد ، كانت السبأيا يحسن فيها ، فربها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك . قال : ومن وافيدي ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال : الفار من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد مر بي ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست منه ، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومي فكلميه ، قالت : فقممت إليه ، فقلت : يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علي من الله عليك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلت ، فلا تعجلي بمخرج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم أذني . فسألت عن الرجل الذي أشار إلى أن أكله ، فقيل : علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بلأ أو قضاة ، قالت : وإنما أريد أن آتي أخي بالشام . قالت : فحش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رهط من قومي ، لي فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحلني ، وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدى : فوافقه إني لقاعد في أهلي ، إذ نظرت إلى ظمينة^(٢) تصوب إلى تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هي هي ، فلما وقفت على انسحات^(٣) تقول : القاطع الظالم ، احتملت

(١) يقول السهيلي : اسمها سفانة ، لأنني وجدت في خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه من سخاها قالت : فأخذ حاتم عدياً يعلله من الجوع ، وأخذت أنا سفانة ، ولا يعرف لعدي ولد ، انقرض عقبه ، ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن حاتم ، ذكره القتيبي ، ولا يعرف له بنت إلا سفانة ، فهي إذا هذه المذكورة في السيرة . والله أعلم .

(١) الظمينة : المرأة في الهودج . (٢) انسحطت : أخذت تلوم .

بأهلك وولدك ، وتركت بقية والدك عورتك ، قال : قلت : أى أخية ، لا تقولى إلا خيرا ، فوالله مالى من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكا فلن تذلل فى عز اليمن ، وأنت أنت . قال : قالت : والله إن هذا رأى .

قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه ، إذ لقيته امرأة ضئيفة كبيرة ، فاستوقفت ، فوقف لها طويلا تكله فى حاجتها . قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بى بيته ، تناول وسادة من آدم محصورة ليها ، فحذفها إلى : فقال : اجلس على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم ! ألم تك ركوسيا ؟ قال : قلت : بلى ، قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالرباع ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك ؛ قال قلت : أجل والله ، وقال : وعرفت أنه نبى مرسل ، يعلم ما مجهول ؛ ثم قال : لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وإيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ؛ قال : فأسلمت .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتسكونن ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تصح هذا البيت ، وإيم الله لتسكون الثالثة ، ليفيض المال حتى لا يوجد من يؤخذه ،

قدوم فروة بن مسيك المرادى

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مسيك المرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا للوك كندة ، ومباعدة لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة ؛ أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا ؛ حتى أختنوم في يوم كان يقال له : يوم الردم ، فكان الذي قاد همدان إلى مراد : الأجدع ابن مالك في ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذي قاد همدان في ذلك اليوم مالك بن حريم الهمداني .

قال ابن إسحاق : وفي ذلك اليوم يقول فروة بن مسيك :

مررنا على لفاة وهنّ	خوص	ينازعن	الاعنة	ينتحنينا ^(١)
فإن تغلب فغلابون	قدما	وإن تغلب	فغير مغلبينا ^(٢)	
وما إن طبنا جبن	ولكن	منايانا	وطعمة	آخريتنا ^(٣)
كذاك الدهر دولته	سجال	تكر	صروفه	حيننا
فينا ما نسر به	ونرضى	ولو	للبست	غضارته
لقد انقلب به	كرات	دهر	فألفيت	الآلى
فمن يغبط بريب	الدهر	منهم	يجد	ريب
فلو خلد الملوك	إذن	خلدنا	ولو	بقي
فأنقى ذلكم	سروات	قوى	كما	أفقى
			القرون	الأولينا

قال ابن هشام : أول بيت منها ، وقوله : « فإن تغلب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كندة ، قال :

لما رأيت ملوك كندة	أعرضت	كالرجل	خافه	الرجل	عرق	نساءها ^(١)
قربت	راحتلى	أؤم	عمدا	أرجو	فواضلها	وحسن

(١) لفاة : موضع . خوص : غائرات العيون .

(٢) معنى البيت : أن تغلب الناس فهذا من طبيعتنا وما تعودنا عليه منذ القدم أما وقد انهزمنا مرة فإن تتكرر .

(٣) طبنا : شأنا وعاداتنا .

(٤) النساء : عرق يمتد من الورك إلى الكعب ، مده لضرورة الشعر والاصح أنه لا يقال عرق النساء لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه .

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة : « أرجو فواضله وحسن ثنائها » .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم ؟ قال : يا رسول الله ، من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم لا يسوءه ذلك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : أما إن ذلك لم يرد قومك في الإسلام إلا خيراً .

واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مراد وزيد ومذحج كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد ابن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد ، فأسلم ؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ياقيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبي ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم عليه ، فإن كان نبياً كما يقول ، فإنه لن يخفي عليك ، وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا عليه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفه رأيه ، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصدقه ، وآمن به فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعده عمراً ، وتحطم عليه^(١) ، وقال : خالفني وترك رأبي فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك :

أمرتك يوم ذي صنعا	أمرأ باديا رشده
أمرتك باتقاء الله	والمعروف تتعده
خرجت من المنى مثل الـ	حمير غره وتده
تماني على فرس	عليه جالسا أسده
على مفاضة كالمـ	ي أخلص ماءه جدده ^(٢)
ترد الريح مثني السـ	نن عواثراً قصده ^(٣)

(١) تحطم عليه : اشتد عليه .

(٢) مفاضة : أي درع مفاضة ، وهي الواسعة . النهى : غدير الماء . الجدد : الأرض الصلبة .

(٣) عواثر : متطيرة . القصد : القطع المتطيرة من الريح .

فلو لاقيتي للقي	ت لينا فوقه لبده (١)
تلاقي شنبثا شثن الب	برائن ناشرأ كتده (٢)
يسامى القرن إن قرن	تيممه فيعتضده (٣)
فيأخذه فيرفعه	فيخفضه فيقتصده (٤)
فيدمغه فيحطمه	فينخضه فيزدرده (٥)
ظلوم الشرك فيما أحد	رزت أنياه ویده

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة :

أمرتك يوم ذى صنعا	أمرأ يننا ر شده
أمرتك باتقاء الله	تأتيه وتتعده
فكنت كذى الحيرغر	ره مما به وتده

ارتداد عمرو بعده موت الرسول : قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زيد وعليهم فروة بن مسيك فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو بن معد يكرب وقال حين ارتد :

وجدنا ملك فروة شر ملك	حمارأ ساف منخره بثفر (٦)
و كنت إذا رأيت أبا عمير	تري الحولاء من خبت وغدر (٧)

قال ابن هشام : قوله بشفر ، عن أبي عبيدة .

- (١) اللبد : الشعر للذي على أكتاف ورموس الأسود المفرد لبدة .
- (٢) الشنبث : الذي لا يزال خصمه . الشثن : غليظ الأصابع : البرائن : مخالب الأسد . فاشز : مرتفع . الكند : ما بين الكتفين .
- (٣) يعتضده : يضعه تحت عنقه فيصرعه (٤) يقتصده : يصرعه
- (٥) يدمغه : يشج رأسه حتى يصل الجرح إلى أم دماغه . يحطمه : يكسره . ينخضه : يأكله . يزدرده : يبتله .
- (٦) ساف : شم . الثفر للبهائم كالرحم للنساء .
- (٧) الحولاء : ما يخرج من الأخلاط مع الولد ساعة الولادة ، يشبه من يهجو أنه في الحث والقذارة مثل الحولاء .

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس ، في وفد كندة فحدثني الزهري بن شهاب أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمانين راكبا من كندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده ، وقد رجلوا (١) جميعهم (٢) وتكحلوا ، وعليهم جيب الحبرة ، وقد كففوها (٣) بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألم تسلبوا ؟ قالوا . بلى ، قال : فما بال هذا الحرير في أعناقكم ، قال : فشقوه منها ، فألقوه . ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله : نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار ، قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعه بن الحارث ، وكان العباس وربيعه رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب ، فسئلا من هما ، قالا : نحن بنو آكل المرار ، يتعززان بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النضر بن كنانة ، لا تنفوا (٤) أمنا ، ولا ننتفي من أبنائنا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء ، وآكل المرار : الحارث بن عمرو بن حجر بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندى ، ويقال كندة ، وإنما سمي آكل المرار ، لأن عمرو بن الهبولة الغساني أغار عليهم ، وكان الحارث غائبا ، فغنم وسبي ، وكان فيمن سبي أم أناس بنت عوف بن علم الشيباني ، امرأة الحارث بن عمرو فقالت لعمرو في مسيره : لكأنني برجل أدلم (١) أسود ، كأن مشافره مشافر

(١) رجلوا : مشطوا . (٢) الجمم جمع : جمعة . مجتمع شعر مقدم الرأس .

(٣) كففوها : طرزوا حروفها .

(٤) لا تنفوا أمنا : لا تتبع نسب أمنا . وقد أصاب الأشعث في بعض قوله فتمدح كان من جدات الرسول صلى الله عليه وسلم من هي من ذلك القبيل ، منهن دعد بنت سريز بن ثعلبة ابن الحارث الكندي ، وهي أم كلاب بن مرة ، وقيل : بل هي جدة كلاب ، أم أمه هند .

(٥) الأدلم : مسترخى الشفتين .

بعير آكل مرار (١) قد أخذ برقبته ، تعنى الحارث ، فسمى آكل المرار ، والمرار : شجر .
ثم تبعه الحارث في بني بكر بن وائل ، فلحقه ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب . فقال
الحارث بن حلزة اليشكري لعمر بن المنذر ، وهو عمرو بن هند اللخمى :
وأقدناك رب غسان بالمة نذر كرها إذ لا تكال الدماء

لأن الحارث الأعرج الغساني قتل المنذر أباه ، وهذا البيت في قصيدة له . وهذا الحديث
أطول مما ذكرت ، وإنما معنى من استقصائه ما ذكرت من القطع (٢) : ويقال بل آكل المرار :
حجر بن عمرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ، وإنما سمي آكل المرار ، لأنه أكل
هو وأصحابه في تلك الغزوة شجرا يقال له المرار .

قدم صرد بن عبد الله الأزدي مسلما

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صرد بن عبد الله الأزدي ، فأسلم ، وحسن إسلامه
في وفد من الأزدي ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه . وأمره
أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبل اليمن .

قتاله أهل جرش : فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى
نزل بجرش ، وهي يومئذ مدينة معلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضوت (٣) إليهم
خشم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا
فيها منه ثم رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ، ظن أهل جرش أنه
إنما ولي عنهم منهزما ، فخرجوا في طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا .

إخبار الرسول بما حدث : وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية بعد
صلاة العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأى بلاد الله شكر ؟ فقام إليه الجرشيان
فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كشر ؛ وكذلك يسميه أهل جرش ، فقال : إنه
ليس بكشر ، ولكنه شكر ؛ قالوا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إن بدن الله لتحرقه عند الآن ،

(١) المرار : نبات شديد المرورة إذا أكله البعير تقبضت شفتاه من المارة .

(٢) أى قطع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) ضوت : لجأت .

قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر أولي عثمان ، فقال لهما : وبحسبك ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لينى لكما قومكما فقومما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما ؛ فقاما إليه فأسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبدالله ، في اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفي الساعة التى ذكر فيها ما ذكر .

إسلام أهل جرش : وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، وحملهم حتى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللشيرة ، وبقرة الحارث ، فن رعاها من الناس فإلهم سمحت : فقال في تلك الغزوة رجل من الأزد . وكانت خنغم تصيب من الأزد في الجاهلية ، وكانوا يعدون في الشهر الحرام :

يا غزوة ما غزونا غير خائبة	فيها البغال وفيها الخيل والجر
حتى أتينا حميراً في مصانمها	وجمع خنغم قد شاعت لها النذر ^(١)
إذا وضعت غليلاً كنت أحله	فا أبالي أدانوا بعد أم كفروا ^(٢)

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير ، مقدمه من تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال . والنعمان قيل^(٣) ذى رعين ومعاقر وممدان ؛ وبعث إليه زرعة ذورين مالك بن مرة الرهاوى بإسلامهم ، ومفارقتهم الشرك وأهله .

كتاب الرسول إليهم : فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبي ، إلى الحارث بن عبد كلال ، وإلى نعيم بن عبد كلال ، وإلى النعمان ، قيل ذى رعين ومعاقر وممدان . أما بعد ذلكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبتنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به ، وخبرنا ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه ، إن أصلحتهم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم

(٢) الغليل : حرارة الجوف .

(١) المصانع : القرى .

(٣) القيل : ملك لإقليم

خمس الله ، وسهم الرسول وصفيه^(١) ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار^(٢) ، عشر ماسقت العين وسقت السماء ، وعلى ماسق الغرب^(٣) نصف العشر ؛ وأن في الإبل الأربعين ابنة لبون ، وفي ثلاثين من الإبل شاتان ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ؛ وفي كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ؛ وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة. وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ؛ ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها ، وعليه الجزية ، على كل حال ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف ، من قيمة المعافر^(٤) أو عوضه ثياباً ، أدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله .

أما بعد ، فإن رسول الله محمداً النبي أرسل إلى زُرعة ذى يزن أن إذا إلتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيراً : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عبادة ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مرة وأصحابهم . وأن اجعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من غنائكم ، وأبلغوها رسلى ، وأن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا يتقلبن إلا لأرضياً .

أما بعد . فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مرة الرهاوى قد حدثني أنك أسلمت من أول حير ، وقتلت المشركين فأبشر بخير وأمرتك بحمير خيرا ، ولا تخفونوا ولا تحاذلوا ، فإن رسول الله هو ولى غنيكم وفقيركم ، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل . وأن مالكا قد بلغ الخير ، وحفظ الغيب ، وأمركم به خيراً ، وإنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى عليهم ، وأمركم بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصية الرسول معاذاً حين بعثه إلى اليمن : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبى بكر أنه حدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذاً ، أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : يسر ولا تمسر وبشر ولا تنفر ، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب ، يستولونك مامفتح الجنة ؛ فقل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ قال : فخرج معاذ ، حتى إذا قدم اليمن

(١) أصل الصنى : ما يصطفيه القائد من الغنيمة قبل القسمة .

(٢) العقار : الأرض . (٣) الغرب : الدلو .

(٤) المعافر : نوع من ثياب اليمن .

قام بما أمره به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : يا صاحب رسول الله ؛ ما حق زوج المرأة عليها؟ قال : ويحك ! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدي حق زوجها ، فأجهدى نفسك في أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لئنك لتعلم ما حق الزوج على المرأة . قال : ويحك؟ لو رجعت إليه فوجدته تنشب (١) منخراه قبحا ودما ، فقصصت ذلك حتى تذهيبه ما أدبت حقه .

إسلام فروة بن عمرو الجذامي

قال ابن إسحاق : وبعت فروة بن عمرو النافرة الجذامي ، ثم النفاثي ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله ممان وماحوها من أرض الشام .
حبس الروم له وشعره ومقتله : فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال في حبسه ذلك :

طرقت سليمى موهنا أصحابي	والروم بين الباب والقروان (٢)
صد الخيال وساء ما قد رأى	وهمت أن أغنى وقد أبكاني
لا تكحلن العين بعدى لئلا	سلى ولاتدين للإتيان
ولقد علمت أبا كيشة أنى	وسط الأعزة ولا يحصر لسانى (٣)
فإن هلك لتفقدن أخاكم	ولئن بقيت لتعرفن مكانى
ولقد جمعت أجل ما جمع الفقى	من جودة وشجاعة وبيان

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عفراء بفلسطين ، قال :

ألا هل أتى سلى بأن حليها	على ماء عفراء فوق إحدى الرواحل
على ناقة لم يضرب الفحل أمها	مشذبة أطرافها بالمناجل (٤)

(١) تنشب : تسيل .

(٢) المومن : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه . قروان : مثل صفوان : حويض من خشب تسقى فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب وفي المثل ما فيها لاعي قرو : أى لاعي قرو .

(٣) لا يحصر : لا يقطع .

(٤) المشذبة : التى أزيلت أغصانها .

فزعهم الزهري بن شهاب ، أنهم لما قدموه ليقتلوه . قال :
بلغ سراة المسلمين بأني سلم لربي أعظمى ومقامي
ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك الماء ، يرحمه الله تعالى .

إسلام بني الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، في شهر ربيع
الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى
الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج خالد
حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون في كل وجه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون :
أيها الناس ، أسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام
وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد : إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد ، السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم
ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقت فيهم ، وقبلت منهم ،
وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإني قدمت عليهم
فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم ركباناً
قالوا : يا بني الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم ، أمرهم
بما أمرهم الله به وأنهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم
حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .
فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي رسول الله ، إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإني
أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث
ابن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن
(١٢) — السيرة النبوية ، ج ٤)

لا إله إلا الله . وأن محمدا عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قدوم خالد مع وفدهم على الرسول : فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب ، منهم قيس بن الحصين ذى الغصة ^(١) ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد ابن المحجل وعبد الله بن قراد الزياى ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمر بن عبد الله الضبابي ^(٢) . فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأهم . قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قبل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب ؛ فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم الذين إذا زجروا استقدموا ، فسكتوا ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المدان : نعم ، يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا ، قالها أربع مرار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لو أن خالدا لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تقاؤوا ، لالتقيت رموسكم تحت أقدامكم ؛ فقال يزيد بن عبد المدان : أما والله ما حدثناك ولا حدثنا خالدا ، قال : فن حدثم ؟ قالوا : حدثنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله ؛ قال : صدقتم . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بهم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن تغلب أحدا ؛ قال : بلى ، قد كنتم تغلبون من قاتلكم ؛ قالوا : كنا تغلب من قاتلنا ؛ يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نفرق ، ولا نبدا أحدا بظلم ، قال : صدقتم . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحصين .

(١) ذو الغصة : سمي بذلك لغصة فى حلقه لا يكاد يبين منها ، واسمه الحصين بن يزيد بن شداد الحارثي . ذكره عمر بن الخطاب يوما فقال : لا تزد امرأة فى صداقها عن كذا وكذا ولو كانت بنت ذى الغصة .

(٢) الضبابي من ضباب بكسر الضاد فى بنى الحارث بن كعب بن مذحج ، وضباب أيضا فى قرش وهو ابن حجر بن عبد بن معيص بن عامر أخو حجر بن عبد . والضباب فى بنى عامر ابن صمصمة ، وهم ضباب ومضب وحسل وحسيل بنو معاوية بن كلاب ، وأما الضباب بالفتح فى نسب التابعة للذياني ضباب بن يربوع بن غيظ ؛ وأما الضباب بالضم فزيد ومنجا ابنا ضباب من بنى بكر ، ذكره الدارقطني .

فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقية من شوال ؛ أو في صدر ذي القعدة ، فلم يمشكوا .
بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورحم
وبارك ، ورضى وأنعم .

الرسول يبعث عمرو بن حزم بعهدهم إليهم : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث إليهم بعد أن ولي وفدهم عمرو بن حزم ، ليفقههم في الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ،
ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن
الرحيم هذا بيان من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبي رسول
الله لعمر بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم
به ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه وينهى الناس ، فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ،
ويحذر الناس بالذي لهم ، والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق ، ويشتد عليهم في الظلم ، فإن الله
كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : « ألا لعنة الله على الظالمين » ، ويبشر الناس بالجنة ويعملها ،
وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج
وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو
العمرة ؛ وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً يثنى طرفيه على عاتقيه
وينهى الناس أن يحتبى أحد في ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء ؛ وينهى أن يعقص أحد شعر
رأسه في قفاه ؛ وينهى إذا كان بين الناس هينج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم
إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ؛ فمن لم يدع إلى الله ؛ ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوا
بالسيف ؛ حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ؛ ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوهرهم
وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ومسحون برءوسهم كما أمرهم الله ؛ وأمرهم بالصلاة لوقتها ؛
ولتمام الركوع والسجود والخشوع ؛ ويغسل بالصبح ؛ ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة
العصر والشمس في الأرض مدبرة ؛ والمغرب حين يقبل الليل ؛ لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ؛
والعشاء أول الليل ؛ وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها ؛ والغسل عند الرواح إليها ؛ وأمره أن يأخذ
من المغنم خمس الله : وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العيز وسقت السماء ؛
وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ؛ وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل عشرين أربع شياه
وفي كل أربعين من البقر بقرة ؛ وفي كل ثلاثين من البقر تبيع ؛ جذع أو جذعة ، وفي كل
أربعين من الغنم شاة وحدها ، شاة . فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة . فمن زاد
خير فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان بدين الإسلام .
فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته
فإنه لا يرد عنها ، وعلى كل حالم : ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف أو عوضه ثياباً .

فمن أدى ذلك ، فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك ، فإنه عدو لله ولرسوله
والمؤمنين جميعا ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

قدوم رفاعه بن زيد الجذامي

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية ، قبل خيبر ، رفاعه بن زيد
الجذامي ثم الضبيسي ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما ، وأسلم ، لحسن إسلامه ،
وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى قومه . وفي كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم :
هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إني بعثته إلى قومه عامة ، ومن دخل فيهم ،
يدعوم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم فني حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدير فله
أمان شهرين .

فلما قدم رفاعه على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة : حرة الرجلاء ، ونزلوها .

قدوم وفد همدان

قال ابن هشام : وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثني من
أثق به ، عن عمرو بن عبد الله بن أذينة العبدى ، عن أبي إسحاق السبيعي ، قال : قدم وفد
همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم مالك بن نمط ، وأبو ثور ، وهو ذو المشعار ،
ومالك بن أيفع وضام بن مالك السلمي وعميرة بن مالك الحارفي ، فلقوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الجبرات ^(١) ، والعائم العدنية ، برحال الميئس ^(٢)
على المهرية ^(٣) والأرحية ^(٤) ومالك بن نمط ورجل آخر يرتجزان بالقوم ، يقول أحدهما :

همدان خير سوقة وأقيال ليس لها في العالمين أمثال ^(٥)
عنها المصعب ومنها الأبطال لها إطابات بها وآكال ^(٦)

(١) المقطعات : الخيطة . الجبرات : برودينية .

(٢) الميئس : خشب متين تصنع منه الرحال .

(٣) المهرية : إبل نجمية تنسب إلى مهرة قبيلة بالين .

(٤) الأرحية : تنسب إلى أرحب : مكان .

(٥) السوقة : الشعب . والأقيال : رؤساء الأقاليم .

(٦) الإطابات : ما طاب من الأموال . والآكال : ما يأخذه الملك من الشعب كالضرائب

ويقول الآخر :

إليك جاوزن سواد الريف في هبوات الصيف والحريف^(١)

مخططات بحبال الليف

فقام مالك بن نبط بين يديه ، فقال : يا رسول الله ، نصية^(٢) من همدان ، من كل حاضر وباد ، أتوك على قلص نواج^(٣) ، متصلة بجبال الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مخلاف خارف ويام وشاكر^(٤) أهل السود والقود ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا الإلهات الأنصاب ، وعهدم لا ينقض ما أقامت لعلع ، وما جرى اليعفور بصلع^(٥) .

فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من رسول الله محمد ، لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحفاف الرمل ، مع وأفدها ذى المشعار مالك بن نبط ، ومن أسلم من قومه ، على أن لهم فراعها وهاطها^(٦) ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علفها ويرعون عافيا^(٧) ، لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله ، وشاهدهم المهاجرون والأنصار . فقال في ذلك مالك بن نبط :

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى ونحن بأعلى رحرحان وصلدد^(٨)

وهن بنا خوص طلائح تغتلى بركبانها في لاجب متمد^(٩)

على كل فتلاء الذراعين جصرة تمر بنا مر الهجف الخفديد^(١٠)

(١) السواد : القرى . الهبوات : الغبار . (٢) النصية : خيار القوم .

(٣) القلص : الإبل الشابة . نواج : مسرعة .

(٤) المخلاف المدينة ، وما بعدها أسماء قبائل .

(٥) ملع : مجموعة من الجبال . اليعفور ولد الظية . صلح : مكان .

(٦) فراعها . أعاليها . وهاطها : أسافلها .

(٧) العلاف : ثمر الطلح . عافيا : ماكثر من نباتها .

(٨) رحرحان وصلدد : موضعان .

(٩) الخوص : غائرات العيون . طلائح متعبة . تغتلى : تتشط في سيرها . اللاجب :

الطريق الواضح .

(١٠) الجصرة : الثاقة القوية على السير . الهجف : ذكر النعام القوى وكذلك الخفديد .

حافت رب الراقصات إلى متى صوادر بالركبان من هضب قردد^(١)
 بأن رسول الله فينا مصدق رسول أتى من عند ذي العرش مهتدى
 فما حملت من ناقة فوق رحلها أشد على أعدائه من محمد
 وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه وأمضى محمد المشرقي المنهد

ذكر الكذابين: مسيلة الخنف والأُسود العنسي

قال ابن إسحاق: وقد كان تكلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابان مسيلة ابن جبيب باليمامة في بني خنيفة، والأسود بن كعب العنسي بصنعاء.

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على منبره، وهو يقول: أيها الناس، إني قد رأيت ليلة القدر، ثم أنسيتها، ورأيت في ذراعي سوارين من ذهب، فكرهتهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن، وصاحب اليمامة.

الرسول يتحدث عن الدجابين: قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا، كلهم يدعى النبوة.

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان؛ فبعث المهاجرين أن أمية بن المغيرة إلى صنعاء. فخرج عليه العنسي وهو بها، وبعث زياد بن لبيد، خا بنى بياضة الأنصارى، إلى حضرموت وعلى صدقاتها؛ وبعث عدى بن حاتم على طيء وصدقاتها، وعلى بنى أسد؛ وبعث مالك بن نويرة — قال ابن هشام: اليربوعي — على صدقات بني حنظلة، وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم، فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين، وبعث على بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران، ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بمن يهتم.

(١) الراقصات: الإبل الراقصات، والرقص: ضرب من السير. الصوادر: الرواجع. والقردد: الأرض المرتفعة.

كتاب مسيلة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مسيلة بن خبيب ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ؛ أما بعد ، فإني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قریشا قوم يعتدون .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : لحدثني شيخ من أشجع ، عن سلة بن نعيم بن مسعود الأشجعي ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه ؛ فما تقولان أتيا ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما .

ثم كتب إلى مسيلة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك في آخر سنة عشر .

حجة الوداع

تجهز الرسول : قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة .

استعماله على المدينة أبا دجاجة : قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجاجة الساعدي ويقال : سباع بن عرفطة الغفاري .

حكم الغنائم في الحج : قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج ، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدى ، وأشراف من أشراف الناس ، أمر الناس أن يحلوا بعمره ،

إلا من ساق الهدى ؛ قالت : وحضت ذلك اليوم ، فدخل على وأنا أبكي ؛ فقال : مالك يا عائشة ؟
لعلك نفسيت ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لوددت أني لم أخرج معكم عامي في هذا السفر ؛ فقال
لا تقولن ذلك ، فإنك تقضين كل ما يقضى الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فحل كل من كان لا هدى معه ، وحل نسائه بعمرة ، فلما
كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير ، فطرح في بيتي ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الحصبه ، بعث بي رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن أبي بكر فأهمرني من التتعيم ، مكان عرتي التي فانتني .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن حفصة
بنت عمر ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يحلن بعمرة ، قلن : فأي بمنك
يا رسول الله أن تحمل معنا ؟ فقال : إني أهديت ولبدت ^(١) ، فلا أحل حتى أنحر هديي .

موافاة على في قهوله من اليمن رسول الله في الحج : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد
الله بن أبي نجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث عليا رضي الله عنه إلى نجران
فلقيه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها ،
فوجدتها قد حلت وتبأأت ، فقال : مالك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن نحمل بعمرة فحللنا . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن
سفره ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انطلق فطف بالبيت ، وحل كما حل بأصحابك ؟
قال : يا رسول الله إني أهلت كما أهلت ؛ فقال : ارجع فاحلل كما حل أصحابك ؛ قال : يا رسول
الله ، إني قلت حين أحرمت : اللهم إني أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد صلى الله
عليه وسلم ؛ قال : فهل معك من هدى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في
هديه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغا من الحج ونحر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبد الله بن الرحمن بن أبي حمرة ، عن يزيد بن طلحة بن
يزيد بن ركانة ، قال : لما أقبل على رضي الله عنه من اليمن ليلتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة ، تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على جنده الذين معه رجل من
أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي رضي الله
عنه . فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحلل ؛ قال : ويلك ! ما هذا ؟ قال : كسوت

(١) جعل في رأسه صلى الله عليه وسلم صمغاً لثلاً يتشمع .

القوم ليتجمعوا به إذ قدموا في الناس ؛ قال : ويلك ! انزع قبل أن تقتل به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فانتزع الحلال من الناس ، فردما في البر ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم .

قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن حزم بن معمر بن حرم ، عن سليمان بن محمد ابن كعب بن صخرة عن عمته زينب بنت كعب ، وكانت هنداً ابنة سعيد المخدري ، عن أبي سعيد المخدري ، قال : اشتكى الناس علياً رضوان الله عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً ، فسمعت يقول : أيها الناس ، لا تشكروا علياً ، فوالله إنه لا خشن في ذات الله ، أو في سبيل الله ، من أن يشكى .

خطبة الوداع : قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التي يئس فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولي ، فإنني لا أدرك لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ، أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كرامة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رهوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دماءكم أضاع دم ابن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان مسترضعاً في بني لبيث ، فقتلته هذيل فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به عما تحمرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النسيء زيادة في الكفر ، يعضل به الذين كفروا ، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن هدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر ^(١) ، الذي بين جمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نساءكم حقاً ؛ ولهن عليكم حقاً ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين

(١) رجب مضر ، إنما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم شهر رمضان ، وتسميه : رجباً من رجب الرجل ورجبته إذا عظمت ، ورجبت النخلة إذا دعمتها ، فين عليه السلام أنه رجب مضر لأرجب ربيعة ، وأنه الذي بين جمادى وشعبان .

بفاحشة مبيتة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح (١) ، فإن اتهمن فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهم عندكم عوان (٢) لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإنني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه ، أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرء من أخيه إلا ما أخطأه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟

فذكر لي أن الناس قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ، ربيعة بن أمية بن خلف قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أي شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا ، ثم يقول : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أي بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ، قال : فيقولون البلد الحرام ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا ، قال : ثم يقول : قل : يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أي يوم هذا ؟ قال : فيقول لهم . فيقولون : يوم الحج الأكبر ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا .

قال ابن إسحاق : حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري ، عن عمرو ابن خارجة قال : بعث عثمان بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لغاماً (٣) يقع على رأسه ، فسمعه وهو يقول : أيها الناس ، إن الله أدى إلى كل ذي حق حقه ، وإنه لا يجوز وصية لو ارث ، والولد للفرأش ، وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه

(١) غير مبرح : غير شديد .

(٢) عوان : أسيرات ، مفرداً : عانية .

(٣) اللغام : الرغوة التي تخرج من فم الناقة .

أوتولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .
تعاليم الرسول عليه السلام للحجاج : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبل الذي هو عليه
وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قزح (١) صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة
موقف . ثم لما نحر بالمنحر بنى قال هذا المنحر ، وكل منى منحر . فقضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم : من الموقف ،
وروى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجهم ، وما حرم عليهم ، فكانت حجة
البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بعدها .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة
والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثا إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه
وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب (٢)
مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

قال ابن هشام : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه ،
وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثني من أئق به عن أبي بكر الهذلي قال : بلغني أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية ، فقال : أيها الناس
إن الله قد بعثنى رحمة وكافة ، فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، فقال
أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه ،
فأما من بعثه مبشرا قريبا فرضى وسليم ، وأما من بعثه مبشرا بعيدا فبكره وجهه وثاقل ، فشكا ذلك
عيسى إلى الله ، فأصبح المتشاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الامة التي بعث إليها .

(١) قزح : جبل بالمزدلفة .

(٢) أوعب : اجتمع .

أسماء الرسل وأسماء من أرسل إليهم : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتابا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، ملك الروم ، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقر ، ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعباد ابني الجلندي الأزديين ، ملكي عمان ، وبعث سليط بن عمرو ، أحد بني عامر بن لؤي ، إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن علي الحنفيين ، ملكي اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدى ، ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شجاع بن وهب إلى جيلة بن الأيهم الغساني ، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ، ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نسيت سليطا وثمامة وهوذة والمنذر .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري : أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه ، وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثنى رحمة وكافة ، فأدوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا علي كما اختلف الخواريون على عيسى بن مريم ، قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من قرأ به فأحب وسلم ، وأما من بعد به فكره وأبى ، نشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم .

أسماء رسل عيسى : قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الخواريين والأتباع ، الذين كانوا بعدهم في الأرض : بطرس الخواري ، ومعه بولس ، وكان بولس من الأتباع ، ولم يكن من الخواريين إلى رومية ، وأندرائس ومنه تا إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس ، وتوماس إلى أرض بابل ، من أرض المشرق ، وفيلبس إلى أرض قرطاجنة وهي إفريقية ، ويوحنا ، إلى أفسوس ، قرية الغتية أصحاب الكهف ، ويعقوب إلى أورشليم . وهي إيلياء ، قرية بيت المقدس ، وابن ثلماء إلى الأعرابية ، وهي أرض الحجاز ، وسيمون . إلى أرض البربر ، ويهوذا ، ولم يكن من الخواريين ، جعل مكان يوديس .

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد ابن إسحاق الملقب : وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين غزوة منها ، غزوة ودان ، وهي غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ، من ناحية رضوى ، ثم غزوة العشيرة ، من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، بطلب كرز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التي قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بني سليم ، حتى بلغ الكدر ، ثم غزوة السويق ، يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان ، وهي غزوة ذي أمر ، ثم غزوة بجران ، معدن بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حراء الأحد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني الحيان ، من هذيل ، ثم غزوة ذي قرد ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالا ، فصدته المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة البطائف ثم غزوة تبوك . قاتل منها في تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانيا وثلاثين ، من بين بعث وسرية : غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذي المروة ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر ، من ناحية العيص ؛ وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة ؛ وغزوة سعد بن أبي وقاص الخزار ، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القرعدة ، وغزوة محمد بن مسلمة : كعب بن الأشرف ، وغزوة مرثد بن أبي مرثد الضوي الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بن معوية ، وغزوة أبي عبيدة بن الجراح ذا القصة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بني عامر ، وغزوة علي بن أبي طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله السكلي ، كلب ليث ، الكندي ، فأصاب بني الملوحة .

مخروقة غالب بن عبد الله الليثي بنى الملوحة : وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثني عن مسلم بن عبد الله بن خيثم الجني ، عن المنذر ، عن جندب بن مكيث الجني ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبي ، كلب بن عوف بن ليث ، في سرية كنت فيها ، وأمره أن يشن الغارة على بنى الملوحة ، وهم بالكديد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثي ، فأخذناه ، فقال : إني جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلنا له : إن تلك مسلما فلن يضريك رباط ليلة ، وإن تلك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشددناه رباطا ، ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازك (١) فاحتز رأسه .

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ، فكننا في ناحية الوادي ، وبعثني أصحابي ريثة (٢) لهم ، فخرجت حتى آتت تلامشفا على الحاضر (٣) ، فأستندت فيه (٤) ، فعلوت على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إني لمنطمح على التل ، إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إني لأرى على التل سوادا مارأيت في أول يومى ، فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئا ، لا تكون الكلاب جرت بعضها : قال : فنظرت ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئا : قال : فتناولني قوسى وسهمين ، فتناولته ، قال : فأرسل سهمي ، فوالله ما أخطأ جنبي ، فأزعه ، فأضعه ، وثبت مكانى ، قال : ثم أرسل الآخر ، فوضعه في منكبى ، فأزعه فأضعه ، وثبت مكانى ، فقال لامرأته : لو كان ريثة لقوم لقد تحرك ، لقد خالطه سهمى لا أبالك ، إذا أصبحت فابتنهما ، فغذيهما ، لا يعضهما على الكلاب . قال : ثم دخل .

قال : وأمهلناهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان في وجه السحر ، شطنا عليهم الغارة ، قال : فقتلنا ، واستقنا النعم ، وخرج صريح القوم ، فجاءنا دم (٥) لأقبل لنا به ، ومضينا بالنعم ، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا : قال : وأكنا القوم حتى قربوا منا ، قال : فابتننا وبينهم إلا وادى قديد ، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من

(١) عازك : غالبك .

(٢) الريثة : الطليعة الذى يتجسس الاخبار .

(٣) الحاضر : من ينزلون على الماء . (٤) أستندت : ارتفعت .

(٥) الدم : الجماعة الكثيرة .

غير سحابة نراها ، لامطر ، لجاء بشيء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يجاوزه ، فوقفوا
ينظرون إلينا ، ولما لنسوق نعمهم ، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ، ونحن نحدوها
سراعا ، حتى فُتتاهم ، فلم يقدرُوا على طلبنا .

قال : فقد منا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من أسلم ، عن رجل منهم : أن شعار أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة : أُمِّتْ أُمِّتْ . فقال راجز من المسلمين وهو يحدها :

أبي أبو القاسم أن تعزبي في خضل نباته مغلوب^(٢)

صفر أعاليه كلون المذهب

قال ابن هشام : ويروى : « كلون الذهب » .

ثم خبر الغزاة ، وعدت إلى ذكر تفاصيل السرايا والبعوث .

تعريف ببعض الغزوات : قال ابن إسحاق : وغزوة على بن أبي طالب رضى الله عنه بنى
عبدالله بن سعد من أهل فُكٍّ ؛ وغزوة أبي العوجاء السلمي أرض بنى سليم ، أصيب بها هو
وأصحابه جميعا ؛ وغزوة عكاشة بن محصن الغسيرة ؛ وغزوة أبي سلبة بن عبد الأسد طلسمنا ، ماء
من مياه بنى أسد ، من ناحية نجد ، قتل بها مسعود بن عروة ، وغزوة محمد بن مسلمة ، أخى
بنى حارثة ، القرطاء من هوازن ؛ وغزوة بشير بن سعد بنى مرة بفُكٍّ ، وغزوة بشير بن سعد
ناحية خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجحوم من أرض بنى سليم ، وغزوة زيد بن حارثة جذام ،
من أرض مخشيين .

قال ابن هشام : عن نفسه ، والشافعى عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق : من
أرض حسمى .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام : قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثني من لائهم ،
عن رجال من جذام كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجذامى ، لما قدم على قومه من عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن قدم دحية
ابن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه

(٢) تعزبي : تغيبى فى المرعى . الخضل : الأخضر المبتل . المغلوب : الكثير .

ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بواد من أوديتهم يقال له شنار ، أغار على دحية بن خليفة الهنيد ابن عوص ، وابنه عوص بن الهنيد الضلعيان . والضليح : بطن من جذام ، فأصابا كل شيء كان معه ، فبلغ ذلك قوما من الضبيب ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بني الضبيب النعمان بن أبي جمال ، حتى لقوهم ، فاقتتلوا ، واتمى يومئذ قرة بن أشقر الضففاوى ثم الضلمى ، فقال : أنا ابن لبني ، ورعى النعمان بن أبي جمال بسهم ، فأصاب ركبته ؛ فقال حين أصابه : خذها وأنا ابن لبني ، وكانت له أم تدعى لبني ، وقد كان حسان بن ملة الضبيبي قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك ، فعلمه أم الكتاب .

قال ابن هشام : ويقال : قرة بن أشقر الضفاري ، وحيان بن ملة .

قال ابن إسحاق : خدثني من لا أتهم ، عن رجال من جذام ، قال : فاستنقذوا ما كان في يد الهنيد وابنه ، فردوه على دحية ، فخرج دحية ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاء دم الهنيد وابنه ، فبيعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذي هاج غزوة زيد جذام ، وبعث معه جيشا ، وقد وجهت غطفان من جذام ووائل ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزلوا الحرة ؛ حرة الرجلاء ، ورفاعة بن زيد بكراع ربة ، لم يعلم ومعه ناس من بني الضبيب ، وسائر بني الضبيب بوادي مدان ، من ناحية الحرة ، بما يسيل مشرقا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقص من قبل الحرة ، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بني الأحنف .

قال ابن هشام : من بني الأحنف .

قال ابن إسحاق في حديثه : ورجلا من بني الحنصيص . فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بفيفاء مدان ركب نفر منهم ، وكان فيمن ركب معهم حسان بن ملة ، على فرس لسويد بن زيد ، يقال لها العجاجة ، وأنيف بن ملة على فرس لملة يقال لها : رغال . وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال له لها شمر ، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد وحسان لأنيف بن ملة : كف عنا وانصرف ، فإننا نخشى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثب ، فقال : لانا أضن بالرجلين منك بالفرسين ، فأرخی لها ، حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذا فعلت ما فعلت فكف عنا لسانك ، ولا تشأنا اليوم ، فتواصوا أن لا يتكلم منهم إلا حسان بن ملة ، وكانت بينهم كلبة في الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد

أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بوري أو ثوري ؛ فلما برزوا على الجيش ، أقبل القوم يتدرونهم فقال لهم حسان : إنا قوم مسلمون ، وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدم ، فأقبل يسوقهم ، فقال أنيف : بوري ، فقال حسان : مهلا . فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد فاقموا أم الكتاب ، فقرأها حسان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا في الجيش أن الله قد حرم علينا ثغرة^(١) القوم التي جاؤوا منها إلا من ختر^(٢) .

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حسان بن ملة ، وهي امرأة أبي وبر بن عدى بن أمية بن الضييب في الأسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأخذت بحقوقه^(٣) فقالت أم الفيزر الضلمية : أتطلقون بنيائكم وتذرون أمهاتكم ؟ فقال أحد بني الخصيب : إنها بنو الضييب وسحر الستم سائر اليوم ، فسمعها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، ففكت يداها من حقوقه ، وقال لها : اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه ، فرجعوا ، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاؤوا منه ؛ فأمسوا في أهلهم ، واستعموا ذودا^(٤) لسويد بن زيد ، فلما شربوا عتمتهم^(٥) ركبوا إلى رفاعه بن زيد ، وكان من ركب إلى رفاعه بن زيد تلك الليلة : أبو زيد بن عمر ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبعجة بن زيد ، وبرذع بن زيد ، وثعلبة بن زيد ، ومخزبة بن عدى ، وأنيف بن ملة ، وحسان بن ملة ، حتى صبحوا سمرا رفاعه بن زيد بكراع ربة ، بظهر الحرة ، على بر هنالك من حرة ليل ، فقال لحسان بن ملة : إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذي جئت به ، فدعا رفاعه ابن زيد بجمل له ، لجعل يشد عليه رحله وهو يقول :

هل أنت حي أو تنادي حيا

ثم غدا وهم معه بأمية بن خنفرة أخى الخصيب المقتول ، مبكرين من ظهر الحرة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ، فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لا تنيخوا إبلكم ، فتقطع أيديهن ، فقلوا عنهن وهن قيام ، فلما دخلوا على

(١) الثغرة : ما يحمونه من جانبهم . (٢) ختر : تقض المهد .

(٣) حقوقه : خصمه . (٤) استعموا : انتظروا إلى العتمة . الذود : جماعة

الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة .

(٥) عتمتهم : لبثهم الذي يشربونه في العتمة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وآدم ألاح^(١) لإيهيم بيده : أن تعالوا من وراء الناس ، فلما استفتح رفاعه بن زيد المنطق ، قام رجل من الناس فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء قوم سحرة ، فرددما مرتين ، فقال رفاعه بن زيد : رحم الله من لم يحذنا^(٢) في يومه هذا إلا خيرا . ثم دفع رفاعه بن زيد كتابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان كتبه له . فقال : دونك يا رسول الله قد بما كتابه ، حديثا غدره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا غلام ، وأعلن ، فلما قرأ كتابه استخبره ، فأخبروه الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع بالقتلى ؟ — ثلاث مرأت — . فقال رفاعه : أنت يا رسول الله أعلم ، لا نحرّم عليك حلالا ، ولا نحال لك حراما ، فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حيا ، ومن قتل فهو تحت قدمي هذه ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا علي ، فقال له علي رضي الله عنه : إن زيدا لن يطيعني يا رسول الله ، قال : نخذ سيني هذا ، فأعطاه سيفه ، فقال علي : ليس لي يا رسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثعلبة ابن عمرو ، يقال له مكحال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقه من إبل أبي وبر ، يقال لها : الشميم ، فأنزلوه عنها ، فقال : يا علي ، ما شأنك ؟ فقال : ما لهم عرفوه فأخذوه ، ثم ساروا نلقوا الجيش بفيفاء الفحلين ، فأخذوا ما في أيديهم ، حتى كانوا يزعون ليبد المرأة من تحت الرحل ، فقال أبو جهمال حين فرغوا من شأنهم :

وعاذلة ولم تعذل بطيب	ولولا نحن مُحش بها السعير ^(٣)
تدافع في الأسارى بابلتها	ولا يرجى لها عتق يسير
ولو وكلت إلى معوص وأونس	لحار بها عن العتق الأمور ^(٤)
ولو شهدت ركائبنا بمصر	تحاذر أن يعل بها المسير ^(٥)
وردنا ماء يثرب عن حفاظ	لربع لأنه قرب ضرير ^(٦)
بكل مجرب كالسيد نهد	على أقتاد ناجية صبور ^(٧)

-
- (١) ألاح : أشار .
 (٢) لم يحذنا : لم يعطنا .
 (٣) بطيب : برفق .
 (٤) حار : رجع .
 (٥) يعل : يكرر .
 (٦) الربع : ورود الإبل إلى الماء لأربعة أيام . القرب : السير في طلب الماء . ضرير : مضرب .
 (٧) السيد : الذئب . النهد : الغليظ . أقتاد : أدوات الرحل . الناجية : أي ناقه صبور .

فدى لأبي سليمى كل جيش يثرب إذ تاطحت النحور
غداة ترى المجرب مستكينا خلاف القوم هامة تدور

قال ابن هشام : قوله : « ولا يرجى لها عتق يسير » . وقوله : « عن العتق الأمور » : عن غير ابن إسحاق .

تمت الغزاة ، وعدنا إلى تفصيل ذكر السرايا والبعوث .

غزوة زيد العفري : قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضا الطرف من ناحية نخل من طريق العراق .

غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة : وغزوة زيد بن حارثة أيضا وادى القرى ؛ لقي به بنى فزارة ، فأصيب بها ناس من أصحابه ، وارتث^(١) زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مداش ، وكان أحد بنى سعد بن هذيل ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن هشام : سعد بن هذيم .

قال ابن إسحاق : فلما قدم زيد بن حارثة آلى أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة ، فلما استبل من جراحته بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة في جيش ، فقتلهم بوادى القرى ، وأصاب فيهم ، وقتل قيس بن المسحر اليمرى مسعدة بن حكبة بن مالك ابن حذيفة بن بدر ، وأسرت أم قرقة فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مسعدة . فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرقة ، فقتلها قتلا عنيفا ، ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرقة وبابن مسعدة .

وكانت بنت أم قرقة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ، وكانت في بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : « لو كنت أعز من أم قرقة مازدت » . فسأها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة ، فوهبها له ، فأهداها لحاله حزن بن أبي وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

فقال قيس بن المسحر في قتل مسعدة :

سميت بورد مثل سعى ابن أمه ولانى بورد فى الحياة لثائر^(٢)

(١) ارتث : حمل جريحا من المعركة وبه رمق . (٢) الثائر : الآخذ بثأره .

كررت عليه المهر لما رأيته على بطل من آل بدر مغاور
فركنت فيه قعضيا كأنه شهاب بمعرة يذكي لناظر^(١)

غزوة عبدالله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام: وغزوة عبد الله بن رواحة خير مرتين :
إحداهما التي أصاب فيها اليسير بن رزام . قال ابن هشام : ويقال بن رازم .

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان يخير يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه ، منهم عبد الله بن أنيس ، حليف بني سلمة ؛ فلما قدموا عليه كلموه ، وقربوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استملك وأكرمك ، فلم يزالوا به ، حتى خرج معهم في نفر من يهود ، فحمله عبدالله بن أنيس على بعيره ، حتى إذا كان بالقرقرة من خير ، على ستة أميال ، ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطن به عبدالله بن أنيس ، وهو يريد السيف ، فاقتحم به ، ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليسير بمخرس^(٢) في يده من شوحط^(٣) ، فأمه^(٤) ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحدا أفلت على رجله ، فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل على شجته ، فلم تقح ولم تؤذه .

غزوة بن عتيك بخيبر: وغزوة عبدالله بن عتيك خير ، فأصاب بها أبارافع بن أبي الحقيق .

غزوة عبدالله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي : وغزوة عبدالله بن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلة أوبرنة ، يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ليغزوه ، فقتله .

(١) قعضيا : سنانا منسوب إلى قعضب ، رجل كان يصنعها . معرة : مكان لا يستره شيء .
يذكي : يشعل .

(٢) المخرس : عصا معقوفة . (٣) الشوحط : نوع من الشجر .

(٤) أمه : أصاب أم رأسه .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال عبدالله بن أنيس : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه قد بلغني أن ابن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني ، وهو بنخلة ، أو بمرنة ، فأته فاقتله . قلت : يا رسول الله ، انعمت لي حتى أعرفه . قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة . قال : فخرجت متوشحاً سيفي ، حتى دفعت إليه وهو في ظلمي^(١) يرتاد لمن منزلاً ، وحيث كان وقت العصر : فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بيني وبينه مجاورة تشغلني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ، أومئ برأسي ، فلما انتهيت إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت رجل من العرب سمع بك وجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أجل ، إني لفي ذلك . قال : فشيت معه شيئاً ، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظعائمه منكبات عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني ، قال : أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يا رسول الله . قال : صدقت .

ثم قام بي ، فادخلني بيته ، فأعطاني عصا ، فقال : أمسك هذه العصا عندك يا عبدالله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرني أن أمسكها عندي . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله لم ذلك ؟ قال ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال : آية بيني وبينك يوم القيامة . إن أقل الناس المتخضرون^(٢) يومئذ ، قال : فقرنها عبدالله بن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فوضعت في كفته ، ثم دفنا جميعاً .

قال ابن هشام : وقال عبدالله بن أنيس في ذلك :

تركت ابن ثور كالحوار وحوله نوائح تفرى كل جيب مقدر^(٣)
تناولته والظعن خلقي وخلفه بأبيض من ماء الحديد مهتد^(٤)

(١) الظعن : النساء في الهوادج .

(٢) المتخضرون : المتسكنون على الخناصر . والمخاصر . مفردها مخضرة العصا .

(٣) الحوار : ولد الناقة . تفرى : تقطع .

(٤) الظعن : الهوادج ، فيها النساء .

عجوم لهام الدارعين كأنه شهاب غضى من ملهب مثوقد^(١)
أقول له والسيف يعجم رأسه أنا ابن أنيس فارسا غير قعد^(٢)
أنا ابن الذى لم ينزل الدهر قدره رحيب فناء الدار غير مزند^(٣)
وقلت له خذها بضربة مانجد حنيف عل دين التبي محمد
وكنت إذا هم التبي بكافر سبقت إليه باللسان وباليد
تمت النزاة ، وعدنا إلى خبر البعوث .

بعض بغزوات أخرى : قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب
وعبد الله بن رواحة مؤتة من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعا ، وغزوة كعب بن عمير الغفارى
ذات أطلاق ، إلى أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا ، وغزوة عيينة بن حصن بن
حذيفة بن بدر بن العنبر من بني تميم .

غزوة عيينة بن حصن بن تميم : وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه
إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناسا ، وسبى منهم أناسا .

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول
الله ، إن على رقبة من ولد إسماعيل . قال : هذا سبى بنى العنبر يقدم الآن ، فتعطيك منهم
إنسانا فتعتقينه .

قال ابن إسحاق . فلما قدم بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ركب فيهم وفد من
بنى تميم ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم ربيعة بن ربيع ، وسبرة بن عمرو
والقعقاع بن معبد ، ووردان بن محرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن
حابس ، وفراس بن حابس : فكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم : فأعتق بعضا ،
وأفدى بعضا ، وكان ممن قتل يؤمئذ من بنى العنبر : عبد الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشداد
ابن فراس ، وحظلة بن دارم ، وكان ممن سبى من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكاس
بنت أري ، ونجوة بنت نهد ، ومجموعة بنت قيس ، وعمرة بنت مطر . فقالت في ذلك اليوم
سلى بنت عتبة : اب :

(١) عجوم : عضوض : الغضى : شجر سريع الالتهاب .

(٢) غير قعد : غير لثيم .

(٣) المزند : البخيل .

لعمري لقد لاقت. عدى بن جندب من الشر مهواة شديدا كثودها (١)
تكنفها الأعداء من كل جانب وغيب عنها عزها وجدودها (٢)
قال ابن هشام : وقال الفرزدق في ذلك :

وعند رسول الله قام ابن حابس بخطة سوار إلى المجد حازم (٣)
له أطلق الأسرى التي في حباله مغلة أعناقها في الشكائم
كفى أمهات الخالفين عليهم غلاء المقادى أو سهام المقاسم (٤)

وهذه الأبيات في قصيدة له . وعدى بن جندب من بني النضر ، والنضر ابن عمرو بن تميم .
غزوة غالب بن عبد الله أروض بني مرة : قال ابن اسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي
كلب ليث - أروض بني مرة ، فأصاب بهامرداس بن نهيك ، حليف لهم من الحرقة ، من جبيته ،
قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن هشام : الحرقة ، فيما حدثني أبو عبيدة .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال . أدركته أنا ورجل من الأنصار
فلما شهرنا عليه السلاح ، قال أشهد أن لا إله إلا الله . قال : فلم نزع عنه حتى قتلناه ؛ فلما قدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره ؛ فقال : يا أسامة ، من لك بلإله إلا الله ؟ قال :
قلت : يا رسول الله ، إنه لما قالها تعودا بها من القتل . قال : فن لك بها يا أسامة ؟ قال :
فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددها علي حتى لوددت أن مامني من إسلامي لم يكن ، وأني كنت
أسلست يومئذ ، وأني لم أقتله ؛ قال : قلت : أنظرنى يا رسول الله ، إنى أعاهد الله أن لا أقتل
رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا ، قال : تقول بعدى يا أسامة ؛ قال : قلت بعدك .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل : وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض
بني عذرة . وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث يستفر العرب إلى الشام .
وذلك أن أم العاص ابن وائل كانت امرأة من بني ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم
يستألفهم لنلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلسل ، وبذلك سميت تلك الغزوة
غزوة ذات السلاسل ؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ،

(١) المهواة : المكان المنخفض بين جبلين . السكود : الصعبة .

(٢) الجدود : الحظوظ . (٣) الخطة : الخصلة . السوار : الوثاب .

(٤) الخالفين : المتخلفين .

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ؛ وقال لأبي عبيدة حين وجهه : لا تختلفا ، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو إنما جئت مددا لي ؛ قال أبو عبيدة : لا ، ولكني على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلا لنا سهلا ، هينا عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لي ؛ فقال أبو عبيدة يا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي لا تختلفا ، ولأنك إن عصيتني أطعك ؛ قال : فإني الأمير عليك ، وأنت مدد لي ، قال : فدونك . فصلى عمرو بالناس .

قال : وكان من الحديث في هذه الغزاة ، أن رافع بن أبي رافع الطائي ، وهو رافع بن عبيدة ، كان يحدث فيما بلغني عن نفسه ، قال : كنت امرأ نصرانيا ، وسميت سرجس ، فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرمل ، كنت أدفن الماء في بيض النعام بنواحي الرمل في الجاهلية ، ثم أغير على إبل الناس ، فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبني فيه ، حتى أمر بذلك الماء الذي خبأت في بيض النعام فأستخرجه ، فأشرب منه ؛ فلما أسليت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فقلت : والله لأختارن لنفسى صاحباً ، قال : فصحبت أبا بكر ، قال : فكنت معه في رحله ، قال : وكانت عليه عبادة له فذكية ، فكان إذا أنزلنا بسطها وإذا ركبنا لبسها ، ثم شكها عليه بخلال له ، قال : وذلك الذي له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا : نحن نبائع ذا العبادة ١٩ قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال قلت : يا أبا بكر ، إنما صحبتك لينفعني الله بك ، فانهضني وعلني ، قال : لو لم تسألني ذلك لفعلت ، قال آمرك أن توحده الله ولا تشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمر على رجل من المسلمين أبدا . قال : قلت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فإني أرجو أن لا أشرك بالله أحدا أبدا ، وأما الصلاة فإن أتركها أبدا إن شاء الله ، وأما الزكاة فإن يك لي مال أو دهما إن شاء الله ، وأما رمضان فلن أتركه أبدا إن شاء الله ، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى ، وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلم تنهاني عنها؟ قال : إنك إنما استجهدتني لأجهدك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، لجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عوذاً لله وجيرانه ، وفي ذمته فإياك لا تخفر الله (١) في جيرانه فيتبعك الله في خضرته ، فإن أحدكم

(١) لا تخفر الله : لا تنقض عهده .

ميفر في جاره ، فيظل ناتثا عضله غضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير ، فأنه أشد غضبا لجاره . قال : ففارقه على ذلك .

قال : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر أبو بكر على الناس ، قال : قدمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تلك نهيتني عن أن أنامر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهارك عن ذلك ؛ قال : فقلت له : فما حملك على أن تلي أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بدا ، خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة .

قال ابن إسحاق : أخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه حدث عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال : كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فصحبنا أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم على جزور لهم قد نحرروها ، وهم لا يقدرين على أن يعضوها (١) ، وقال : وكنت امرأة ألقا جازرا ، قال : فقلت : أنعطوني منها عشيرا (٢) ، على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشفرتين ، فجزأتها مكاني ، وأخذت منها جزءا ، فحملته إلى أصحابي ، فاطبخناه فأكلناه . فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : أنى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره . فقالا : والله ما أحسن حين أطعمتنا هذا ، ثم لما يتقيان ما في بطونهما من ذلك ؛ قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لجنته وهو يصلي في بيته ؛ قال فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ؛ قال : أعوف بن مالك ؟ قال : قلت نعم ، بأبي أنت وأمي ؛ قال : أصحاب الجزور ؟ ولم يزدني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئا .

غزوة ابن أبي حدود بطن إضم وقيل عامر بن الأضيظ الأشجعي : قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حذر ، عن أبيه عبد الله بن أبي حذر ، قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم في نفر من المسلمين ، فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي ، ومحمد بن جثممة بن قيس ، وغرجنا حتى إذا كنا بطن إضم ، مر بنا عامر بن الأضيظ الأشجعي ، على قعوده ومعه متبع (٣) له ، ووطب من لبن (٤) . قال : فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحل عليه محمد بن جثممة ، فقتله شيء كان بينه وبينه ،

(١) يعضوها : يقتسموها أجزاء . (٢) العشير : جزء من عشرة أجزاء .

(٣) المتبع : تصغير متاع . (٤) الوطب : وعاء اللبن .

وأخذ بعيره ، وأخذ متيغه . قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر ، نزل فينا : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتيقنوا ، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا » . . . إلى آخر الآية .

قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ، لهذا الحديث .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد بن ضميرة بن سعد السلمي يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه ، عن جده ، وكانا شهدا حينئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم عمد إلى ظل شجرة ، يجلس تحتها ، وهو بخنن ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، يختصمان في عامر بن أخطب الأشجعي : عيينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غطفان ، والأقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة ، لمكانه من خندف ، فتداولوا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نسمع ، فسمعنا عيينة بن حصن وهو يقول : والله يارسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرقه مثل ما أذاق نسائي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا ، وهو يأبى عليه ، إذا قام رجل من بني ليث ، يقال له : « مكثير ، قصير بمحوج — قال ابن هشام : مكثيل — فقال : والله يارسول الله ما وجدت لهذا القتل شئها في غرة الإسلام ^(١) إلا لا تكفم وردت فرميت أولاه ، فنفرت أخراها ، أسن اليوم ، وغير غدا قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده . فقال : بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال فقبلوا الدية . قال ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقام رجل آدم ^(٢) ضرب ^(٣) طويل ، عليه حلة له ، قد كان تهيأ للقتل فيها ، حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا محلم بن جثامة ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم قال : اللهم لا تنفّر لمحلم بن جثامة ثلاثا . فقام وهو يتلقى دمه بفضل رداة . قال : فأما نحن فنقول فيها بيننا : إنا لندرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له ، وأما ما ظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا .

(١) غرة الإسلام : أوله .

(٢) الآدم : الأسمر .

(٣) ضرب : خفيف اللحم .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : أمتته بالله ثم قتلته ؟ ثم قال له المقالة التي قال : قال : فوالله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعا حتى مات ، فلفظته - والذي نفس الحسن بيده - الأرض ثم عادوا له فلفظته الأرض ، ثم عادوا فلفظته فلما غلب قومه عبدوا إلى صدين ^(١) فسطحوه بينهما ، ثم رضخوا عليه الحجارة حتى واروه . قال : فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : والله إن الأرض لتطأ أبق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم في حرم ما بينكم بما أراكم منه .

قال ابن إسحاق . وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث : أن عينة بن حصن وقيسا حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم ، يا معشر قيس ، منعم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا يستصلح به الناس ، أفأنتم أن يلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيلعنكم الله بلعنته ، أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضه ؟ والله الذي نفس الأقرع بيده لتسلنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصنمن فيه ما أراد ، أو لآتين بخمسين رجلا من بني تميم يشهدون بالله كلهم ، لم يقتل صاحبكم كافرا ؟ ما صلى قط ، نلاطن دمه ^(٢) فلما سمعوا ذلك ، قبلوا الهدية .

قال ابن هشام : محلم في هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق ، وهو محلم بن جثامة بن قيس الليثي .

وقال ابن إسحاق : ما نجم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبي حدره لقتل رفاعة بن قيس الجهمي : قال ابن إسحاق : وغزوة ابن أبي حدره الأسلي الغابة .

وكان من حديثها فيما بلغني ، عن لا أتهم ، عن ابن أبي حدره ، قال : تزوجت امرأة من قومي ؟ وأصدقتهما مائتي درهم ، قال : لجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحي ؛ فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مائتي درهم يا رسول الله ، قال : سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدرهم من بطن واد مازدتم . والله ما عندي ما أعينك به : قال : فلبثت أياما ، وأقبل رجل من بني جشم ، يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة ، في بطن عظيم من بني جشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) صدين : جبلين .

(٢) أطلن دمه : أجعل دمه باطلا فلا يؤخذ بثأره .

وكان ذا اسم في چشم وشرف . قال : فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معي من المسلمين ، فقال : أخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدم لنا شارفا (١) عجناء لحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ثم قال : تبلغوا عليها واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من الثبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر عيشية (٢) مع غروب الشمس . قال : كنت في ناحية ، وأمرت صاحبي ، فكمننا في ناحية أخرى من حاضر القوم ؛ وقلت لهما : إذا سمعنا في قد كبرت وشددت في ناحية العسكر فكبرا وشدا معي . قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر غرة (٣) القوم ، أو أن نصيب منهم شيئا . قال : وقد غشنا الليل حتى ذهبت خمة المشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح في هذا البلد ، فأبطأ عليهم حتى تهنفوا عليه . قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعه بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله في عنقه ، ثم قال : والله لا تبعن أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شر ؛ فقال له نفر من معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك ؛ قال : والله لا يذهب إلا أنا ، قالوا : فنحن معك ، قال : والله لا يتبعني أحد منهم . قال : وخرج حتى يربى . قال : فلما أمكنني نفحته بسهمي ، فوضعت في فؤاده . قال : فوالله ما تكلم ، ووثلت إليه ، فاحتزرت رأسه . قال : وشددت في ناحية العسكر ، وكبرت ، وشدا صاحبى وكبرا . قال : فوالله ما كان إلا التجاء عن فيه ، عندك ، عندك ، بكل ما قدروا عليه من نسايمهم وأبنائهم ، وما خف معهم من أموالهم . قال : واستقنا إبلا عظيمة ، وغنما كثيرة ، لجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وجئت برأسه أحله معي . قال : فأعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا في صداقي ، فجمعت إلى أهلي .

غزوة هبة الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل : قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ،

(١) الشارف : الناقة المستنة .

(٢) عيشية : تصغير عشية على غير القياس .

(٣) الغرة : الغفلة .

وحذيفة بن اليمان، وأبو سعيد الخدري، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أقبل فتى من الأنصار، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جلس، فقال: يا رسول الله، صلى الله عليك، أى المؤمنين أفضل؟ فقال: أحسنهم خلقا؛ قال: فأى المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم ذكرا للموت، وأحسنهم استعدادا له قبل أن أن ينزل به، أولئك الأكياس، ثم سكت الفتى، وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا معشر المهاجرين، خمس خصائل إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن - إنه لم يظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا اظهر فيهم الطاعون والأوجاع، التى لم تكن في أسلافهم الذين مضوا؛ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين ^(١) وشدة المؤنة وجور السلطان؛ ولم يمنموا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، فلولا الهائم ما مطروا؛ وما تقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدو من غيرهم، فأخذ بعض ما كان فى أيديهم، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم.

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرايس ^(٢) سوداء، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، ثم نقضها، ثم حمى بها، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوها من ذلك، ثم قال: هكذا يابن عوف فاعتم، فإنه أحسن وأعرف، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء. فدفعه إليه، لحمد الله تعالى. وصلى على نفسه، ثم قال: خذ يابن عوف، اغزوا جميعا فى سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا ^(٣) ولا تغدروا، ولا تثلثوا، ولا تقتلوا وليدا، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم. فأخذ عبد الرحمن ابن عوف اللواء.

قال ابن مشام: فخرج إلى دومة الجندل.

غزوة أبى عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر ^(٤): قال ابن إسحاق: وحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه، عن جده عبادة بن الصامت، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى سيف البحر، عليهم أبو عبيدة بن الجراح، وزودهم جرايا من تمر، لجعل يقوتهم إياه، حتى صار إلى أن يعده عليهم عددا، قال: ثم نفذ القمح حتى كان يعطى كل

(١) السنين: الجذب. (٢) الكرايس: الأقطان. واحده كريبوس.

(٣) لا تغلوا: لا تغزونوا فى المغمم. (٤) سيف البحر: جانبه وساحله.

رجل منهم كل يوم تمره . قال : فقسمها يوما بيننا . قال : قال فقضت تمره عن رجل ، فوجدنا فقدما ذلك اليوم . قال : فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر ، فأصبتنا من لحمها وودكها ^(١) ، وأقنا عليها عشرين ليلة ، حتى سمنا وابتللنا ^(٢) ، وأخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجسم يعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا ، قال : فجلس عليه ، قال : فخرج من تحتها وما مست رأسه . قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صنعنا في ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رزق رزقكموه الله .

بعث عمرو بن أمية الضمري للقتال أبي سفيان بن حرب وما ضلع في طريقه : قال ابن هشام : وما لم يذكره ابن إسحاق ^(٣) من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه بعث عمرو بن أمية الضمري ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثني من أثق به من أهل العلم بعد مقتل خبيب بن عدى وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جبار بن صخر الأنصاري فخرجوا حتى قدما مكة ، وحسبا جليلهما بشعب ^(٤) من شعاب يأجج ^(٥) ، ثم دخلا مكة ليلا ؛ فقال جبار لعمره : لو أنا طفتنا بالبيت واصلنا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تشوا جلسوا بأفئدتهم ؛ فقال : كلا ، إن شاء الله ؛ فقال عمرو : فطفنا بالبيت ، واصلنا ، ثم خرجنا نريد أبا سفيان ، فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلى رجل من أهل مكة فعرفني ، فقال عمرو بن أمية : والله إن قدما إلا لشر ؛ فقلت لصاحبي : الهباء ، فخرجنا نفثد ، حتى أصعدنا في جبل ، وخرجوا في طلبنا ، حتى إذا علونا الجبل يتسوا منا ، فرجعنا ،

(١) الودك : الضحم . (٢) ابتللنا : أخذنا الراحة .

(٣) يقول السبيل في الروض الأنف ج ٤ ص ٢٥٣ وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر سفيان ابن العاصي رحمه الله في هذا الموضع قال : نقلت من حاشية نسخة من كتاب السير منسوبة بسامع أبي سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخويه محمد وأحمد ابني عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه : وجدت بخط أخي قول ابن هشام : هذا لما لم يذكره ابن إسحاق (هو غلط منه) قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمر بن أمية فيما حدث أسد عن يحيى بن زكريا عن ابن إسحاق ، والقاتل في الحاشية : وجدت بخط أخي هو : أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم . وفي الكتاب المذكور قول أبي بكر المذكور في غزوة الطائف بعد قوله : فولدت له داود بن أبي مرة . إلى ما هنا ، انتهى سماعي من أخي ، وما بقي من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه .

(٤) الشعب : الطريق بين جبلين . (٥) يأجج : جبل بمكة .

فدخلنا كهفا في الجبل ، فبتنا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرضمتها دوتنا ؛ فلما أصبحتا غدا رجل من قريش يقود فرسا له ، ويحلى عليها ^(١) ، ففتشنا ونحن في الغار . فقلت ؛ إن رأنا صاح بنا ، فأخذنا فقتلنا .

قال : ومعى خنجر قد أعدته لآلئ سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على ثديه ضربة ، وصاح صيحة أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل مكاني ، وجاءه الناس يشتدون وهو بأخر رمق فقالوا : من ضربك ؟ فقال : عمرو بن أمية ، وغلبه الموت ، فات مكانه ، ولم يدل على مكاننا ، فأحتملوه . فقلت لصاحي ، لما أمسينا : النجاء ؛ فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة ، فررنا بالخرس ولم يحرسون جيفة خبيب بن عدى ؛ فقال أحدهم : والله ما رأيت كالثيلة أشبه بمشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ، قال : فلما حاذى الخشب شد عليها ، فأخذها فأحتملها ، وخرجنا شدا ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جرفا بهبط مسيل بأجبع ، فرمى بالخشب في الخلف ، فغيبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحي : النجاء النجاء ، حتى أتاني بعيرك فتقعد عليه ، فإني سأشغل عنك القوم ، وكان الانصارى لأرجلة له ^(٢)

قال : ومضيت حتى أخرج على ضجنان ، ثم أويت إلى جبل ، فأدخل كهفا ، فبينا أنا فيه ، إذ دخل على شيخ من بني الدليل أعور ، في غثيمة له ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : من بني بكر ، فن أنت ؟ قال : من بني بكر . فقلت : مرحبا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

ولست بمسلم مادمت حيا ولا دان لدين المسلمين

فقلت في نفسي : ستعلم ، فأملهته ، حتى إذا نام أخذت قوسى ، فجعلت سيتها ^(٣) في عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النجاء ، حتى جثت العرج ^(٤) ، ثم سلكت ركوبه ^(٥) ، حتى إذا هبطت التقيع ^(٦) ، إذا رجلا من قريش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتحسان ، فقلت استأسرا ، فأبيا ، فأرمى أحدهما بسهم فأقتله ، وأستأسر الآخر ، فأوثقه رباطا ، وقدمت به المدينة .

(١) يحلى : يجمع النخل . وهو ما ينبت الربيع .

(٢) لا رجلة له : ضعيف المشى على رجله .

(٣) سيتها : طرفها . (٤) العرج : واد بالحجاز .

(٥) ركوبة : ثنية بين الحرمين . (٦) التقيع : موضع يبلاد مزينة .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين : قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين . ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمه فاطمة بنت الحسين بن علي عليهم رضوان الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضئيرة مولى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سديا من أهل ميناء ، وهى السواحل ، وفيها جماع من الناس ، فبيعوا ، ففرق بينهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبيكون ، فقال ما لهم ؟ فقيل : يا رسول الله ، فرق بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبيعهم إلا جميعا .

قال ابن هشام : أراد الامهات والاولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبي عصفك : قال ابن إسحاق ، وغزوة سالم بن عمير لقتل أبي عصفك ، أحد بني عمرو بن عوف ثم من بني عبيده ، وكان قد نجم^(١) نفاقه ، حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن سويد بن ضامت ، فقال :

لقد عشت دهرأ وما إن أرى من الناس دارا ولا جمعا
أبر عهدأ وأوفى لمن يعاقد فيهم إذا مادعا
من أولاد قبيلة في جمعهم يهد الجبال ولم يخضعا^(٢)
فصدعهم راكب جاءهم حلال حرام لشقى معا^(٣)
فلو أن بالمر صدقتم أو الملك تابعتم تبعا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الحديث ، فخرج سالم بن عمير ، أخو بني عمرو بن عوف ، وهو أحد البكائين ، فقتله ؟ فقالت أمامة المزيارية في ذلك :

تكذب دين الله والمرء أحمدا لعمر الذى أمناك أن بشى ما يبنى^(٤)
جالك خيف آخر الليل طعنة أبا عصفك خذها على كبر السن

(١) نجم : وضع .

(٢) قبيلة : أم الأوس والخزرج .

(٣) صدعهم : فرقهم .

(٤) أمناك : أنساك .

غزوة عمير بن عدى الخطمي تقتل عصماء بنت مروان : وغزوة عمير بن عدى الخطمي
عصماء بنت مروان ، وهى من بنى أمية بن زيد ، فلما قتل أبو علفك نافقت ، فذكر عبد الله
ابن الحارث بن الفضيل عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خطمة ، ويقال له يزيد بن
زيد فقالت ، تعيب الإسلام وأهله :

باسئت بنى مالك والبيت وعوف وباست بنى الخزرج
أطعمم أتاوى من غيركم فلا من مراد ولا منجج^(١)
ترجؤوه بعد قتل الرموس كما يرتجى مرق النضج
ألا أف يبتنى غرة فيقطع من أمل المرتجى^(٢)

قال : فأجابها حسان بن ثابت ، فقال :

بنو وائل وبنو واقف وخطمة دون بنى الخزرج
مق ما دعت سفها ويحها بعوتها والمايا نجي
فهزت فقى ماجدا عرقه كريم المداخل والمخرج
فضرجها من نجيع الدما بعد الهدو فلم يهرج^(٣)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك ، ألا آخذلى من ابنة مروان ؟ فسمع
ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن عدى الخطمي ، وهو عنده ؛ فلما أسمى من
تلك الليلة سرى عليها فى بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
يا رسول الله ، إني قد قتلتها . فقال نصرت الله ورسوله يا عمير ، فقال : هل على شئ من شأنها
يا رسول الله ؟ فقال : لا يتطرح فيها عزان .

فرجع عمير إلى قومه ، وبنو خطمة يومئذ كثير موجهم^(٤) فى شأن بنت مروان ، ولما

(١) الأتاوى : الغريب .

(٢) الأقف : المترفع . الغرة : النفلة .

(٣) الهدو : منتصف الليل : أو بعد ساعة منه . يهرج : يأنم .

(٤) موجهم : اختلاطهم واختلافهم .

يومئذ بثون خمسة رجال ، فلما جاءهم عمير بن عدى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : يا بني خطمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون . فذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار بني خطمة ، وكان يستخفى بإسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أول من أسلم من بني خطمة عمير بن عدى ، وهو الذى يدعى القارىء ، وعبد الله بن أوس ، وخزيمة بن ثابت ، وأسلم يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بني خطمة ، لما رأوا من عز الإسلام .

أسر ثمانية بن أثال الحنفى وإسلامه : بلغنى عن أبي سعيد المقبرى عن أبي هريرة أنه قال : خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت رجلا من بني حنيفة ، لا يشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أتدرون من أخذتم ؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفى ، أحسنوا لإساره . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ؛ فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به إليه ، وأمر بلقحة^(١) أن يغدى عليه بها ويراح ؛ فجعل لا يقع من ثمامة موقعا ويأتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أسلم يا ثمامة ، فيقول : ليها^(٢) يا محمد ، إن تقتل تقتل ذا دم وإن ترد الفداء فسل ماشئت ، فكث ما شاء الله أن يمكث ؛ ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يوما : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع ، فطهر فأحسن طهوره ، ثم أقبل فبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام ؛ فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وباللقحة فلم يصب من حلابها إلا يسيرا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : مم تعجبون ؟ أمن رجل أكل أول النهار في معى كافر ، وأكل آخر النهار في معى مسلم ! إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل في معى واحد^(٣) .

قال ابن هشام : فبلغنى أنه خرج معتمرا ، حتى إذا كان بطن مكة لبي ، فكان أول من دخل مكة يلبي ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اخترت علينا ، فلما قدموه ليضربوا عنقه ؛ قال قائل منهم : دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم ، فخلوه ، فقال الحنفى في ذلك :

ومنا الذى لبي بمكة معلنا برغم أبى سفيان فى الأشهر الحرم

وحدثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغض الوجوه لى ، ولقد أصبح وهو أحب الوجوه لى ؛ وقال فى الدين والبلاد مثل ذلك .

(١) اللقحة : الناقة التى لها لبن .

(٢) ليها : حسبك .

(٣) أنظر ما فى هذا الحديث من البلاغة ، فى كتاب المجازات النبوية بتحقيقنا . ط الحلبي .

ثم خرج معتمرا ، فلما قدم مكة ، قالوا : أصبوت يا نمام ؟ فقال : لا ، ولكنى اتبعت خير الدين ، دين محمد ، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى اليمامة ، فنتهم أن يحملوا إلى مكة شيتا ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامنا ، وقد قنك الآباء بالسيف ، والآباء بالجوع ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يخلى بينهم وبين الخمل .

سرية علقمة بن عجزر : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن عجزر . لما قتل وقاص بن عجزر المدلجي يوم ذي قرد ، سأل علقمة بن عجزر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعثه في آثار القوم ، ليدرك ثأره فيهم .

فذكر عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن عجزر — قال أبو سعيد الخدري : وأنا فيهم — حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق ، أذن طائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت فيه دعاية ، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارا ، ثم قال للقوم : أليس لي عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أفأنا أمركم بشيء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنني أعزم عليكم بحق وطاعتي إلا توابتم في هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجج^(١) ، حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجاسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدموا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن عجزر رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارا : حدثني بعض أهل العلم ، عن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة محارب وبنى ثعلبة عبدا يقال له يسار ، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في لقاح له كانت ترعى في ناحية الجلاء ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيسية

(١) يحتجج : يشد ثوبه على خصمه .

من بجيلة ، فاستوثبوا ، وطحلوا^(١) ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

فلما صحوا وانطوت بطونهم ، عدوا على راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسار ، فذبحوه وعرزوا الشوك في عينيه ، واستاقوا اللقاح . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم كرز بن جابر ، فلحقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة ذي قرد ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم .

غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن : وغزوة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن ، غزاها مرتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدني : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد في جند آخر ، وقال : إن التقيت فلامير علي بن أبي طالب . وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد بن الوليد في حديثه ، ولم يذكره في عدة البعث والسرايا فينبغي أن تكون العدة في قوله تسعة وثلاثين .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين وهو آخر البعث : قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطئ الخيل نخوم البلقاء والداروم ، من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه الذي قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، في ليال بقين من صفر ، أو في أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدئ به من ذلك ، فيما ذكر لي ، أنه خرج إلى بقيع الفرقد ،

(١) استوثبوا : أصيبوا بالآوبة . طحلوا : أصيبوا بداء الطحال .

من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتسدى بوجهه من يوه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن عمر ، عن سعيد بن جبير ، مولى الحكم بن أبي العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي موسى ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : يا أبا موسى ، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليبي . لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ؛ ثم أقبل على ، فقال : يا أبا موسى ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة قال : فقلت : بأني أنت وأمي ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ؛ قال : لا والله يا أبا موسى ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه الذي قبضه الله فيه .

تمريضه في بيت عائشة : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهري ؛ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدني وأنا أجعد صداعا في رأسي ، وأنا أقول : واراأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة واراأساه . قالت : ثم قال : وما ضرك لو مت قبلي ، فقممت عليك وكفنتك ، وصليت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنني بك ، لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي ، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنام به وجهه ، وهو يدور على نساؤه ، حتى استعز به ^(١) ، وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنن في أن يمرض في بيتي ، فأذن له .

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : وكن نسما : عائشة بنت أبي بكر ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وسودة بنت زمعة بن قيس ،

(١) استعز به : غلبه .

وزينب بنت جحش بن رثاب ، وميمونة بنت الحارث بن حزن ، وجويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار ، وصفية بنت يحيى بن الخطب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم .

خديجة : وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة : خديجة بنت خويلد ، وهي أول من تزوج ، وزوجه إياها أبوها خويلد بن أسد ، ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكثرة ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك ، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ، حليف بني عبد الدار ، فولدت له هند بن أبي هالة ، وزينب بنت أبي هالة ، وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله ، وجارية .

قال ابن هشام : جارية من الجوارى ، تزوجها صيفى بن أبي رفاعه .

عائشة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة ، وهي بنت سبع سنين ، ونفي بها بالمدينة ، وهي بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها ، وزوجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمئة درهم .

سودة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة بنت قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وزوجه إياها سليط بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمئة درهم .

قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل .

زينب بنت جحش : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية . وزوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمئة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها » .

أم سلمة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية راسمها هند ؛ وزوجه إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فراشا حشوه ليف ، وقدحا ، وصحفة ، ومجشة (١) ؛ وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية .

حفصة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند مخنيس بن حذافة السهمي .

أم حبيبة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ، واسمها رمة بنت أبي سفيان ابن حرب ، وزوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعائة دينار ، وهو الذي كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله هند عبيد الله بن جحش الأسدي .

جويرية بنت الحارث : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية ، كانت في سبايا بني المصطلق من خزاعة ، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس ابن الشساس الأنصاري ، فكاتبا على نفسها ، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها . فقال لها : هل لك في خهر من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء ، فرغب في بيعين منها ، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ،

(١) المجشة : الرحي .

أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبت بالمقيق في شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك رسول الله ، صلى الله عليك ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودفعته إليه ابنته جويرية ، فأسلت وحسن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربعمئة درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عم لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس ، فأعتبها وتزوجها ، وأصدقها أربعمئة درهم .

صفية بنت حيي : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب ، سبأها من خيبر ، فأصطفها لنفسه ، وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمة ، ما فيها شحم ولحم ، كان سويقا وتمرا ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق .

ميمونة بنت الحارث : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن مزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمئة درهم ، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤي ؛ ويقال : لأنها التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهي على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله : فأنزل الله تبارك وتعالى : « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » .

ويقال : إن التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، ويقال أم شريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بني منقذ بن عمرو بن مغيص بن عامر بن لؤي ، ويقال : بل هي امرأة من بني سامة بن لؤي ، فأرجأها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زينب بنت خزيمة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أم المساكين ؛ لرحمتها لإياهم ، ورقتها عليهم ، زوجه إياها قيص بن عمرو اللخمي ، وأصدقها رسول الله صلى

الله عليه وسلم أربعمائة درهم . وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمها .

فهؤلاء اللاتي بنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ، فمات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة . وتوفي عن تسع قد ذكرناهن في أول هذا الحديث وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها فوجد بها بياضا فمتعها (١) وردھا إلى أهلها ، وعمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : منيع عائذ الله ، فردھا إلى أهلها ، ويقال : إن التي استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها ، فقالت : إنا قوم نؤتى ولا نأتى ؛ فردھا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

القرشيات منهن : القرشيات من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ست : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وعاتشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُطَرب بن رياح بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤى ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى .

العربيات وغيرهن : والعربيات وغيرهن سبع : زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وميمونة بنت الحارث بن حزن ابن بهير بن مُزَمٍّ بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وزينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ، وجويرية بنت

(١) متعها : أعطاهما ما تمتع به .

الحارث بن أبي ضرار الخزاعية ، ثم المصطلقية ، وأسماء بنت النعمان الكندية ، وعمرة بنت يزيد السكلبية .

ومن غير العربيات : صفية بنت حيي بن أخطب ، من بني النضير^(١)

تمريض رسول الله في بيت عائشة

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبيد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس . ورجل آخر ، عاصبا رأسه ، تحط قدماه حتى دخل يتي .

قال عبيد ، فحدث هذا الحديث عبد الله بن العباس ، فقال : هل تدري من الرجل الآخر قال : قلت : لا ؟ قال : علي بن أبي طالب .

اشتداد المرض : ثم غمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجعه ، فقال هريقوا علي سبع قرب من آبار شقي ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم ، قالت : فأقعدها في مخضب^(٢) لمحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم حسبكم .

خطبة للنبي وتفضيلة أبا بكر : قال ابن إسحاق : وقال الزهري : حدثني أيوب بن بشير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول

(١) لم يذكر ابن إسحاق في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم شراف بنت خليفة أخت دحية بن خليفة الكلبي ، وذكرها غيره ، ولم تقم عنده إلا يسيراً حتى ماتت ، وكذلك العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف ، ذكرها غيره في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك وسى بنت الصلت تزوجها ثم خلى سبيلها ، ويقال فيها : سنا بنت أسماء بنت الصلت . ومنهن أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية ، انفقوا على تزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها ، واختلفوا في سبب فراق النبي صلى الله عليه وسلم لها . وكذلك قيل في شراف بنت خليفة : إنها هلكت قبل أن يدخل بها ، والله أعلم .

(٢) المخضب : إناء يقتسل فيه .

ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبدا من عباد الله خير من الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففعل أبو بكر وعرف أن نفسه يريد ، فبكى وقال : بل نحن نغديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رسلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللاظلة^(١) في المسجد ، فسودوها لإبنت أبي بكر ، فإنى لا أعلم أحدا كان أفضل في الصحبة عندي يدا منه .

قال ابن هشام . ويروى : إلا باب أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبي سعيد بن المولى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ في كلامه هذا : فإنى لو كنت متخذاً من العباد خليلا لاختذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

أمره بالثأذ بعث أسامة : وقال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس في بعث أسامة ابن زيد ، وهو في وجهه ، فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة : أمر غلاما حدثا على جلة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلمعمرى لئن قلت في إمارة لقد قلت في إمارة أيه من قبله ، ولأنه لخلق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقا لها . قال : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكشف^(٢) الناس في جهازهم ، واستمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف ، من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتنام إليه الناس ، وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصايته بالانصار : وقال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقاتله يومئذ : يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالانصار خيرا ، فإن الناس يزدون ، وإن الانصار على هيئتها لا تزيد ، وأنهم كانوا عيبتى^(٣) التي أويت إليها ، فاحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم .

(١) اللاظلة : النافذة . (٢) انكشف الناس في جهازهم : أسرعوا فيه .

(٣) عيبة الرجل : مكن سره .

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتنام به وجهه ، حتى غشى .

اللدود (١) : قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نسائه : أم سلمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عميس ، وعنده العباس عمه ، فأجمعوا أن يلدوه ، وقال العباس : لآلئنه . قال : فلدوه ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من صنع هذا بي ؟ قالوا : يا رسول الله ، عمك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمه العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقدفني به ، لا يبق في البيت أحد إلا لد إلا عمي ، فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة ، لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لهم بما صنعوا به .

دعاؤه لأسامة بالاشارة : قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصممت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على ، فأعرف أنه يدعولي .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهري : حدثني عبيد بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه يقول : إن الله لم يقبض نبياً حتى يخبره ، قالت : فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول : بل الرفيق الأعلى (٢) من الجنة ، قالت : فقلت : إذا والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا : إن نبياً لم يقبض حتى يخبر .

(١) اللدود : مجموعة من سبعة أدوية مخلوطة يجعل في جانب الفم في داخله ويحك بالأصبع قليلاً .
(٢) اللهم الرفيق الأعلى : وهذا منزع من قوله تبارك وتعالى : « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين » إلى قوله سبحانه : « وحسن أولئك رفيقاً » فهذا هو الرفيق الأعلى ، ولم يقل الرفقاء لأن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد ، وهي تتضمن معنى التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام المؤمن ، فإنه قال : « مع الذين أنعم الله عليهم » وهم أصحاب الصراط المستقيم ، وهم أهل لا إله إلا الله ، قال الله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » ثم بين في الآية المتقدمة من الذين أنعم الله عليهم فذكرهم ، وهم الرفيق =

أبو بكر يصل بالناس : قال الزهري : وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر ، أن عائشة قالت : لما استخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت : قلت : يا نبي الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن . قال : مروه فليصل بالناس . قالت : فعدت بمثل قولي ، فقال : لا تكن صواحب يوسف ، فمروه فليصل بالناس ، قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر وعرفت أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه أبداً ، وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب : حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زمة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قال : لما استخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده في نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا من يصلي بالناس . قال : فخرجت فإذا عمر في الناس . وكان أبو بكر غائباً ، فقلت : قم يا عمر فصل بالناس قال : فقام ، فلما كبر ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر رجلاً مجبراً ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ يا نبي الله ذلك والمسلمون ، يا نبي الله ذلك والمسلمون : قال : فبعث إلى أبي بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصل بالناس . قال : قال عبد الله بن زمة . قال لي عمر : ويحك ، ماذا صنعت بي يا بن زمة ، والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس . قال : قلت والله ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولكنني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

== الأعلى الذين ذكرهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين خيّر فاختار ، وبعض الرواة يقول عن عائشة في هذا الحديث . فأشار بأصبعه ، وقال . في الرفيق ، وفي رواية أخرى أنه قال اللهم الرفيق ، وأشار بالسبابة ، يريد التوحيد ، فقد دخل بهذه الإشارة في عموم قوله عليه السلام من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، ولا شك أنه عليه السلام في أعلى درجات الجنة ولو لم يشر ، ولكن ذكرنا هذا لئلا يقول القائل . لم لم يكن آخر كلامه : لا إله إلا الله . وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مسترجع عند حلينة أن قال : الله أكبر قاله الواقدي . وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بأن قال : الصلاة وما ملكت أيمانكم ، حرك بها لسانه وما يكاد يبين ، وفي قوله . ملكت أيمانكم قولان . قيل : أراد الرفق بالملوك ، وقيل : أراد الزكاة ، لأنها في القرآن مقرونة بالصلاة ، وهي من ملك العيين ، قاله الخطابي .

اليوم الذي قبض الله فيه رسوله

صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وقال الزهري : حدثني أنس بن مالك . أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الناس ، وهم يصلون الصبح ، ورفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحاً به ، وتفرجوا ، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ؛ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً لما رأى من هيبتهم في صلاتهم ، وما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفرق من وجهه فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة : أين أبو بكر ؟ يأي الله ذلك والمسلمون فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته ، لم يشك المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن أنزكهم فقد تركهم من هو خير مني ، فعرف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحداً ، وكان عمر غير متهم على أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصياً رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يعلى بالناس ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبص عن مصلاه ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظهره ، وقال : صل بالناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فكلهم رافعا صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس ، سمعت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإني والله ما تمسكون على شيء ؛ إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ؛ ولم أحرم إلا ما حرم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر : يائي الله إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفأتيتها ؟ قال : نعم ؛ ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

شأن علي والعباس قبل وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني عبد الله بن كعب ابن مالك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أصبح بحمد الله بارئاً ، قال : فأخذ العباس بيده ، ثم قال : يا علي ، أنت والله عبد العصاة بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كنت أعرفه في وجهه بنى عبد المطلب : فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان في غيرنا ، أمرناه فأوصى بنا الناس . قال فقال له علي إنى والله لأفعل ؛ والله لئن مُنعتاه لا يؤتيناها أحد بعده .

فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبل وفاته : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع في حجرى ، فدخل على رجل من آل أبي بكر ، وفي يده سواك أخضر . فقلت : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه في يده فنظراً عرفت أنه يريدني . قالت : فقلت : يا رسول الله ، أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فضغته له حتى ليته ، ثم أعطيته إياه : قالت : فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط ، ثم وضعه (١) ، ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل في حجرى ، فذهبت أنظر في وجهه ، فإذا به صرير قد شخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة : قالت : فقلت : بخيرت فاخترت والذي بعثك بالحق . قالت : وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعت عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى وفي دولتى لم أظلم فيه أحداً

(١) فيه من الفقه : التنظف والتطهر للموت ، ولذلك يستحب الاستحداد لمن استشعر القتل أو الموت كما فعل خبيب أحد أصحابه صلى الله عليه وسلم حينما أراد المشركون قتله وقصته موجودة فيما سبق من السيرة — لأن الميت قادم على ربه كما أن المصلى مناج لربه ؛ فالنظافة من شأنهما . وكان السواك المذكور في هذا الحديث من حبيب نفل فيما روى بعضهم ، والعرب تستاك بالصب ، وكان أحب السواك إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صريح الأراك .

فمن سفهي وحداثة سني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجرى ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقتت ألتدم (١) مع النساء ، وأضرب وجهى .

هقالة عمر بعد وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهرى ، وحدثنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجلا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ؛ ووالله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

شان أبى بكر بعد وفاته : قال وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فى ناحية البيت ، عليه برد حبرة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها مودة أبدا . قال : ثم رد البرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : على رسلك يا عمر ، أنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين » .

قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبى بكر ، فإنما هى فى أفواههم ؛ وقال : فقال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فمقرت (٢) حتى وقعت إلى الأرض ما تحملنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

(١) ألتدم : أضرب صدرى .

(٢) مقرت : دهشت فلم أستطع التقدم أو التأخر .

أمر سقيفة بني ساعدة

قال ابن إسحاق : ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة ، واعتزل على بن أبي طالب والزيبر بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر ، وانحاز معهم أسيد بن حضير ، في بني عبد الأشهل ، فأتى أت إلى أبي بكر وعمر ، فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفارق أمرهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله . قال عمر : فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن عبد الله بن أبي بكر ، حدثني عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عوف ، قال : وكنت في منزله بمنى أنتظره ، وهو عند عمر في آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدني في منزله بمنى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن ، قال ابن عباس ، فقال لي عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً ، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت ، قال : فغضب عمر ، فقال : إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس ، فمحذروهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاي الناس وغوغاهم ، ولأنهم هم الذين يغلبون على قريتك ، حين تقوم في الناس ، ولأن أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير ، ولا يعوها ولا يضعوها على موضعها ، فأهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة ، وتخلص بأهل الثقة وأشراف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكناً ، فيعي أهل الفقه مقاتلتك ، ويضعوها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

عمر يذكر البيعة لأبي بكر : قال ابن عباس : فقدما المدينة في عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الزواجر حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلا ركن المنبر فجلست حذوه تمس ركبتي ركبته ، فلم أنشب أن أخرج عمر بن الخطاب ، (١٥ - السيرة النبوية ج ٤)

فلما رأته مقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : ليقولن العشيّة على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ، قال : فأنكره على سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقول بما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكّت المؤذنون ، قام فأثنى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فإنّ قاتل لكم اليوم مقالة قد قدر لي أن أقولها ، ولا أدري لعلها بين يدي أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشي أن لا يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب على : إن الله بعث محمدا ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعلمناها ووعيناها ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجننا بعده ، فأخشي إن طال بالناس زمان يقول قاتل : والله ما نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحسن من الرجال والنساء ، وإذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف ، ثم إننا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم » ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما أطروا عيسى بن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله » ، ثم إنه قد بلغني أن فلانا قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، فلا يغرن امرأة أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وفق شرها ، وليس فيكم من تنقطع الاعناق إليه مثل أبي بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه فغرة أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الانصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة ، وتخلف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى أخواننا هؤلاء من الانصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلا صالحا ، فذكرنا لنا ما تمالأ عليه القوم ، وقال : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد لإخواننا هؤلاء من الانصار ، قالوا : فلا عليكم ألا تقرّبوهم يا معشر المهاجرين ، اقضوا أمركم . قال : قلت : والله لتأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا بين ظهرانهم رجل مزمل فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجع . فلما جلسنا نشهد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكشيّة الإسلام ، وأتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت دافة^(١) من قومكم ، قال : وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكّت

(١) الدافة : الجماعة من الناس تأتي من بلد إلى بلد .

أردت أن أتكلم ، وقد زورت (١) في نفسى مقالة قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدي أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحد (٢) ، فقال أبو بكر : على رسلك يا عمر ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت ؛ قال : أما ما ذكرتكم فيكم من خير ، فأتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ؛ فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدي وبدأ أبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئا مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فبضرب عنقى ، لا يقربنى ذلك إلى لائم ، أحب إلى من أن أقامر على قوم فيهم أبو بكر .

قال قائل من الأنصار : أنا جديلا (٣) المحكك وعذيقها المرجب (٤) ، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش . قال : فكثر اللغظ ، وارتفعت الأصوات ، حتى تحوفت الاختلاف ، فقلت : أبسط يدك يا أبابكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا (٥) على سعد بن عبادة ، فقال قائل منهم : قتلت سعد بن عبادة . قال فقلت : قتل الله سعد بن عبادة .

قال ابن إسحاق : قال الزهري أخبرنى عروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة ، والآخر معن بن عدى ، أخو بنى العجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله عز وجل لهم : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم المرء منهم عويم بن ساعدة . وأما معن بن عدى ، فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجل ، وقالوا : والله لوددنا أنا متنا قبله إنا نخشى أن نفتن بعده . قال معن بن عدى : لكنى والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا ؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر ، يوم مسيلة الكذاب .

(١) زورت : أعددت . (٢) الحد : الحدة التى كان يتصف بها عمر .

(٣) الجذيل : تصغير حذل : عود من الحطب فى مبرك الإبل تحتك به فتستريح .

(٤) العذيق : تصغير عذق النخلة : والمرجب من الترجيب وهو بناء يساعده لكثرة حملة

(٥) نزونا : وثبنا .

خطبة عمر بعد البيعة لأبي بكر : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، قال : حدثني أنس بن مالك ، قال : لما بويج أبو بكر في السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبي بكر ، حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إني كنت قلت لكم أمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا ؛ يقول : يكون آخرنا وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبي بكر بعد البيعة : فتكلم أبو بكر ، حمد الله ، وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ؛ وإن أسأت فقوموني ؛ الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا أعهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، : قال : والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له ، وفي يده الدرة ، وما معه غيره ، قال وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحنى (١) قدمه بدرته ، قال : إذ التفت إلي ، فقال : يا ابن عباس هل تدري ما كان حنئي على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ، قال فإنه والله ، إن كان الذي حنني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شيدها » ، فوالله ، إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقي في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذي حنني على أن قلت ما قلت .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

من توفى غسله : قال ابن إسحاق : فلما بويج أبو بكر رضى الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقسّم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم الذين ولوا غسله ، وأن أوس بن خولى ، أحد بني عوف بن الحزرج ، قال لعلي بن أبي طالب : أنشدك الله يا علي وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل مجلس ، وحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده على بن أبي طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقسم يقبلونه معه ، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعلى يغسله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قيصة يدلكه به من ورائه ، لا يفضى يده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى يقول : بأبي أنت وأمي ، ما أطيبك حياً وميتاً . ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً مما يرى من الميت .

كيفية غسله : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه . فقالوا : والله ما ندري ، أن مجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم ، حتى مامنهم رجل إلا ذقته في صدره ، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسلوه وعليه قيصة ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم .

تمسكه به : قال ابن إسحاق : فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب ، ثوبين صحاريين ^(١) وبرد حبرة ، أدرج فيها لإدراجاً ، كما حدثني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده علي بن الحسين والزهرى ، عن علي بن الحسين .

القبر : قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال :

(١) صحاريين : نسبة إلى صحار . مدينة باليمن .

لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح (١) كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهيل هو الذى يحفر لأهل المدينة ، يلحد ، فدعا العباس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وللآخر اذهب إلى أبي طلحة ، اللهم خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

الصلاة عليه ودفنه : فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وضع في سريرته في بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه . فقال قائل : ندفنه في مسجده وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض : فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفي عليه ، خفراه تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون عليه أرسالا ، دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان . ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء .

قال ابن إسحاق : وحديثي عبد الله بن أبي بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عمار ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة رضى الله عنها : جوف الليل من ليلة الأربعاء .

من تولى دفنه : وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ، والفضل بن عباس ، ووثم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أوس بن خولى لعلى بن أبي طالب : يا على ، أنشدك الله ، وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولا شقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته وبني عليه قد أخذ قطيفة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها ، فدفنها في القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا .

قال : فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحدث الناس عهداً به : وقد كان المغيرة بن شعبة يدعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أخذت خاتمي ، فألقيته في القبر ، وقلت : إن خاتمي سقط مني ،

(٢) يضرح : يشق الأرض لجعلها ضريحاً .

ولما طرحته عمداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهداً به صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن مقسم أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاة عبد الله بن الحارث ، قال : اعترت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فمسكب له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا الحسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه ؟ قال : أظن المغيرة ابن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : أجل ، هن ذلك جئنا نسألك ؟ قال : كذب ؛ قال : أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن عياض .

خميصة الرسول السوداء : قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة سوداء حين اشتد به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : لا يترك بحزيرة العرب دينان .

افتتان المسلمين بعد موته : قال ابن إسحاق : ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغني ، تقول : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد العرب ، واشترأت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبي بكر .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتاب بن أسيد ^(١) ، فتواري فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه ، فراجع الناس وكفوا عما همموا به ، وظهر عتاب بن أسيد .

(١) كان عتاب والي مكة .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطاب : إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه .

حسان بن ثابت يراى الرسول : وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم فيما حدثنا ابن هشام ، عن أبى زيد الأنصارى :

بطية رسم للرسول ومعه	منير وقد تعفو الرسوم وتهمد ^(١)
ولا تمتحى الآيات من دار حرمة	بها منبر الهادى الذى كان يصعد
وواضح آثار وباقي معالم	وربيع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها	من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آياها	أناها البلى فالآى منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده	وقبر آياها واره فى التراب ملحد
ظلت بها أبكى الرسول فأسعدت	عيون ومثلاها من الجفن تسعد ^(٢)
يذكرن آلاء الرسول وما أرى	لها محصيا نفسى فنفسى تبلد
مفجعة قد شقها فقد أحمـد	فظلت لآلاء الرسول تعدد ^(٣)
وما بلغت من كل أمر عشيره	ولكن لنفسى بعد ماقد توجد ^(٤)
أطالت وقوقا تذرف العين جهدا	على طلل القبر الذى فيه أجد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت	بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحـد منك ضمن طيبا	عليه بناء من صفيح منضد ^(٥)
تهيل عليه التراب أيد وأعين	عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيـبوا حلـا وعلـا ورحـة	عشية علوه الثرى لا يؤسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم	وقد وهنت منهم ظهور وأعـد

(١) الرسم : ما بقى من آثار الديار . تعفو : تدرس ، تهمد : تبلى .

(٢) أسعدت : أعانت .

(٣) شقها : أضعفها . (٤) عشيره : عشرة . توجد : من الوجد وهو الحزن .

(٥) الصفيح : الحجارة . منضد : بعضه فوق بعض .

يسكون من تبكي السموات يومه
وهل عدلت يوما رزية هالك
تقطع فيه منزل الوحي عنهم
يدل على الرحمن من يقتدى به
إمام لهم يهديهم الحق جاهدا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله
فينا هم في نعمة الله بينهم
عزيز عليه أن يمحروا عن الهدى
عطوف عليهم لا يثنى جناحه
فينا هم في ذلك النور إذ غدا
فأصبح محموداً إلى الله راجعا
وأمت بلاد الحرم وحشا بقاعها
قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها
ومسجده فالمرحشات لفقده
وبالجرة الكبرى له ثم أوحشت
فبكي رسول الله ياعين عبدة
ومالك لا تبكين ذا النعمة التي
لجودى عليه بالدموع وأعوى
وما فقد الماضون مثل محمد

ومن قد يكته الأرض فالناس أكد
رزية يوم مات فيه محمد ١٩
وقد كان ذا نور يغور وينجد^(١)
وينقذ من هول الخزايا ويرشد
معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
وإن يحسنوا فآله بالخير أجود
فمن عنده تيسير ما يتشدد
دليل به نهج الطريقة يقصد
حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
إلى كنف يخو عليهم ويمهد^(٢)
إلى نورهم سهم من الموت مقصد^(٣)
يكيه حتى الرسائل ويحمد^(٤)
لغية ما كانت من الوحي تعهد
فقيد يكيه بلاط وغرق^(٥)
خلاء له فيه مقام ومقدم
ديار وعرصات وربيع ومولد
ولا أعرفك الدهر دمك محمد
على الناس منها سابغ يتغمد
لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
ولا مثله حتى القيامة يفقد

-
- (١) يغور : من الغور وهو ما انخفض من الأرض وينجد من النجد وهو ما ارتفع من الأرض .
- (٢) الكنف : الجانب .
- (٣) مقصد : مصيب : اسم فاعل من أقصد .
- (٤) الرسائل : الملائكة .
- (٥) ضافها : نزل بها . البلاط : ما استوى من الأرض : الغرق : شجر .

أعف وأوفى ذمة بعد ذمة وأقرب منه نائلا لا يُشكك^(١)
وأبذل منه للطريف وتالد إذا ضن معطاء بما كان يتلد^(٢)
وأكرم صيتا في البيوت إذا اتنى وأكرم جدا أبطحيا يسود^(٣)
وأمنع ذروات وأثبت في العلا دعائم عز شاهقات تشيد^(٤)
وأثبت فرعا في الفروع ومنبتا وعودا غذاه المزن فالعود أغيد^(٥)
رباه وليدا فاستتم تمامه على أكرم الخيرات رب محمد
تأهت وصاة المسلمين بكفه فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند^(٦)
أقول ولا يلقي لقلوب عائب من الناس إلا عازب العقل مبعد^(٧)
وليس هوى نازعا عن ثنائه لعل به في جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره وفي نيل ذاك اليوم أسمى وأجهد
وقال حسان بن ثابت أيضاً، يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما بال عينك لاتنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعا على المهدي أصبح ثاويا ياخير من وطى الحصى لاتبعد
وجهي يقبك الترب لهفي ليتنى مُغيبت قبلك في بقيع الغرقد^(٨)
بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهدي
فظللت بعد وفاته متبلدا متلدا ياليتنى لم أولد
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم ياليتنى صبحت سم الأسود^(٩)

-
- (١) لا يشكك : لا يكدر .
(٢) الطريف : ما استحدث من المال التالد : المال الموروث . يتلد : يكتسب قديما .
(٣) الصيت : الذكر الحسن . الأبطحى : المنسوب إلى أبطح مكة .
(٤) الذروات : الأعالى . (٥) المزن : السحاب . أغيد : ناعم .
(٦) يفند : يخطأ . (٧) عازب العقل : بعيد العقل غائبه .
(٨) بقيع الغرقد : مدافن أهل المدينة .
(٩) صبحت سم الأسود : أى سقيت صباحا سم الأسود ، والأسود نوع من الحيات .

أو حل أمر الله فينا عاجلا في روحة من يومنا أو من غد
فتقوم ساعتنا فنلقى طيبا محضا ضرائبه كريم المحتد^(١)
يا بكر آمنه المبارك بكرها ولدته محصنة بسعد الأسعد
نورا أضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتدى
يارب فاجعنا معا ونينا في جنة تشفى عيون الحسد^(٢)
في جنة الفردوس فاكتبها لنا يا ذا الجلال وذا العلا والسود
والله أسمع ما بقيت بهالك إلا بكيت على النبي محمد^(٣)
يا ويح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد
ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا سودا وجوههم كلون الإثم
ولقد ولدناه وفينا قبره وفضل نعمته بنا لم نحمد^(٤)
والله أكرمنا به وهدى به أنصاره في كل ساعة مشهد
صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيون على المبارك أحمد

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نبّ المباكين أن الخير فارقيم مع النبي تولى عنهم سحرا^(٥)
من ذا الذي عنده رحلى وراحلى ورزق أهلى إذا لم يؤنسوا المطر
أم من نعائب لا نخشى جناده إذا اللسان عتا في القول أو عثرا^(٦)
كان الضياء وكان النور تتبعه بعد الإله وكان السمع والبصرا
فليتنا يوم واروه بملحده وغيوه وألقوا فوقه المدرا
لم يترك الله منا بعده أحد ولم يعيش بعده أنثى ولا ذكرا
ذلت رقاب بني التجار كلهم وكان أمرا من امر الله قد قدرا
واقسم النبيء دون الناس كلهم ويددوه جباراً بينهم هـدرا

(١) الضرائب : الطبايع . المحتد : الأصل

(٢) تشفى : تبعد . (٣) والله أسمع : أى والله لا أسمع .

(٤) يريد : بولدنا : أن أخوال والد الرسول صلى الله عليه وسلم من بني التجار .

(٥) نب : نبىء : سهل فعل الأمر بحذف الهمزة ثم بناء على حذف حرف العلة كما يبنى المعتل

(٦) الجنادع : أوائل الشر .

وقال حسان بن ثابت يبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا :

آليت ما في جميع الناس مجتهداً	مضى أليّة بر غير إفناد ^(١)
تالله ما حملت أنثى ولا وضعت	مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا الله خلقاً من بريته	أوفى بدمّة جار أو بيمعاد
من الذي كان فينا يستعزاء به	مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
أمسى نساؤك عطلى البيوت فما	يضر بن فسوق قفا رستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبس المبادل قد	أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي ^(٢)
يا أفضل للناس إنى كنت في نهر	أصبحت منه كمثل المفرد الصادي ^(٣)

قال ابن هشام : عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق .

* * *

تمت السيرة

(١) الآلية : اليمين . الإفناد : الخطأ والعيب .

(٢) المبادل : الأثواب التي تستعمل يومياً أو الأثواب الخلقية .

(٣) الصادي : الشديد العطش .

وقد رثاه غير حسان الكثير من الشعراء . ولكن كان المرثي أعظم من أن يرثى وكانت المصيبة أكبر من شعر الشعراء ورثاء الرائيين وحزن المحزونين .



خاتمة

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه القوى القدير : طه عبد الرموف سعد
وأنا معترف بتقصيري وعيوبي طالبا إلى علام الغيوب أن يغفر ذنوبي .
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

والصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله . صلى الله عليك وعلى آلك
وأصحابك والتابعين وتابعيهم بإحسان ومن نهج نهجك وسار على سبيلك واتبع
سننك إلى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فهما يقول المؤرخون ومهما يصف الواصفون فانت أعز وأكرم ،
لأنهم لا يستطيعون أن يحلوك مكانا رفعا لله إليه بقوله تعالى : « وإنك لعلی
خلق عظیم ، فلتكف الأقلام ولتصمت الألسنة .

وبعد : فقد تم بون الله الجزء الرابع من كتاب سيرة الرسول
عليه الصلاة والسلام للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري الحيرى
البصرى الأصل .

((وقد تم الكتاب بانتهاء الجزء الرابع))

فهرست الجزء الرابع

من السيرة النبوية

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣	عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع	٣٣	عرض الجيش على أبي سفيان
٥	زواج الرسول بميمونة	٣٤	إسلام أبي قحافة
٧	ذكرى غزوة مؤتة	٣٦	دخول مكة
١١	لقاء الروم وحلفائهم	٣٧	شعار المسلمين يوم الفتح
	مقتل زيد بن حارثة		من أمر النبي بقتلهم
١٢	مقتل جعفر	٤٠	الرسول يدخل الحرم
١٣	مقتل عبد الله بن رواحة	٤٣	تحوف الأنصار من بقاء الرسول بمكة
١٤	إمارة خالد	٤٤	كسر الأصنام
	الرسول يتنبأ بما حدث		إسلام فضالة
١٥	حزن الرسول على جعفر		الامان لصفوان بن أمية
١٦	ما قالته كاهنة حدس	٤٥	إسلام رموس أهل مكة
	الرسول يلتقي بالأبطال	٤٦	هيرة يبق على كفره
١٧	ما قيل من الشعر في غزوة مؤتة	٤٧	عدة من فتح مكة
٢١	تسمية شهداء مؤتة		ما قيل من الشعر في فتح مكة
٢٢	ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة	٥٢	إسلام عباس بن مرداس
	وذكر فتح مكة	٥٤	مسيرة خالد بن الوليد بعد الفتح
	ما وقع بين بني بكر وخزاعة		إلى بني جذيمة من كثانة ومسير
٢٧	أبو سفيان يطلب الصلح		على لتلافي خطأ خالد
٢٨	الاستعداد لفتح مكة	٥٤	الرسول يتنأ من فعل خالد
٣٩	حاطب يحذر أهل مكة	٥٦	ما كان بين قريش وبني جذيمة
٣٠	خروج الرسول إلى مكة		في الجاهلية
٣١	إسلام أبي سفيان بن الحارث	٥٧	خبر ابن أبي حدرد في بني جذيمة
	وعبد الله بن أبي أمية	٦٠	خالد يهدم العزى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٩٥	شعر الضحاك بن سفيان وسببه	٦٠	غزوة حنين في سنة ثمان - بعد الفتح
٩٦	الشهداء يوم الطائف	٦٢	استعارة أذراع صفوان
٩٧	قصيدة بجير بن زهير في حنين والطائف	٦٣	قصيدة بن مرداس
٩٨	أمر أموال هوازن وسباياها، وعطايا المؤلفه قلوبهم منها - وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها	٦٤	ذات أنواط
١٠٧	عمرة الرسول من الجمرانة ، واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمانى أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف	٦٥	ثبات الرسول وبعض الصحابة حسان يهجو كلفة شيبه بن طلحة يحاول قتل الرسول
١٠٩	كعب بن زهير وقصيدته (بانت سعاد)	٦٦	النصر أم سليم في المعركة
١١٦	كعب يسترضى الأنصار بمدحهم	٦٨	من قتل قتيلا فله سلبه
١١٨	غزوة تبوك في رجب سنة تسع	٦٩	الملائكة تحضر القتال
	انذني لي ولا تفتني	٧٥	المنهى عن قتلهم الشيباء أخت الرسول
١١٩	شأن المنافقين	٧٦	ما أنزل الله في حنين
	حضر الأغنياء على النفقة		شهداء حنين
	ما أنفق عثمان		سبايا حنين وأموالها
	البكاءون والمعذرون والمتخلفون		ما قبل من الشعر يوم حنين
١٢١	المنافقون يرجفون بعلى	٩٠	ذكر غزوة الطائف بعد حنين في سنة ثمان
	أبو خيشمة وعمير بن وهب يلحقان بالرسول	٩١	ما قبل من الشعر في غزوة الطائف
١٢٢	ما حدث بالحجر	٩٣	الطريق إلى الطائف القتال
١٢٣	تقول ابن الأصيص	٩٤	أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف
١٢٤	تخويف المنافقين للمسلمين	٩٥	ارنحال المسلمين عن الطائف
١٢٥	الصلح مع صاحب أيلة		عيد الطائف ينزلون إلى المسلمين

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٢٥	خالد وأكيدر دومة	١٤٦	مازل في المستأذنين والمعذرين
١٢٦	وادي المشقق وماؤه		والبكائين ومنافقي العرب
١٢٧	ذو البجادين ودفنه وتسميته		مازل في الخالصين من الأعراب
	حديث أبي رهم في تبوك	١٤٧	مازل في السابقين من المهاجرين
١٢٨	أمر مسجد الضرار عند القفول		والأنصار
	من غزوة تبوك	١٤٨	حسان يعدد مغازيه صلى الله عليه
١٢٩	مساجد الرسول		وسلم شعرا
	أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر	١٥٢	ذكر سنة تسع ، وتسميتها سنة
	المعذرين في غزوة تبوك		الوفود - وتزول سورة الفتح
١٣٥	أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر		قدوم وفد بني تميم وتزول سورة
	رمضان سنة تسع		الحجرات
١٣٨	هدم اللات		رجال الوفد
١٣٩	كتابه عليه السلام لثقيف		الحنات
	حج أبي بكر بالناس سنة تسع	١٥٣	أصحاب الحجرات
١٤١	اختصاص على بتأدية براءة		كلمة عطار
١٤٢	الأمر بمهاد المشركين	١٥٤	الزبرقان يفتخر بقومه
	القرآن يرد على قريش ادعاهم		حسان يرد على الزبرقان
	عمارة البيت	١٥٦	شعر آخر للزبرقان
١٤٣	مازل في أهل الكتابين	١٥٧	شعر آخر لحسان في الرد على الزبرقان
	مازل في النسيء		إسلام الوفد
	مازل في تبوك		شعر ابن الأهم في هجاء قيس
	مازل في أهل النفاق	١٥٨	قصة عامر بن الطفيل وأريد بن قيس
١٤٤	مازل في أصحاب الصدقات		في الوفادة عن بني عامر
	مازل فيمن آذوا الرسول		رؤساء الوفد
١٤٥	مازل بسبب الصلاة على ابن أبي		عامر يدبر الغدر بالرسول
		١٥٩	موت عامر بدعاء الرسول عليه

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٥٩	موت أربد بصاعقة	١٧٤	قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم
	مازل في عامر وأربد		كتاب الرسول إليهم
	شعر ليبد في بكاء أربد	١٧٥	وصية الرسول معاذًا حين بعثه
١٦٢	قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن		إلى اليمن
	بني سعد بن بكر	١٧٦	إسلام فروة بن عمرو الجذامي
١٦٣	إسلامه		حبس الروم له وشعره ومقتله
	دعوة قومه للإسلام	١٧٧	إسلام بني الحارث بن كعب على يدي
١٦٤	قدوم الجارود في وفد عبد القيس		خالد بن الوليد
	إسلامه	١٧٨	قدوم خالد مع وفدهم على الرسول
	موقفه من ردة قومه	١٧٩	الرسول يبعث عمرو بن حزم
	إسلام المنذر بن ساوى		بعده إليهم
	قدوم وفد بني حنيفة ومعهم	١٨٠	قدوم رفاعة بن زيد الجذامي
	مسليمة الكذاب		قدوم وفد همدان
١٦٥	تنبؤ مسليمة	١٨٢	ذكر الكذابين : مسليمة الحنفي
	قدوم زيد الخيل في وفد طيء		والأسود العنسي
١٦٦	قدوم عدى بن حاتم		الرسول يتحدث عن الدجالين
١٦٧	أسر الرسول ابنة حاتم		خروج الأمراء والعلماء على الصدقات
١٦٨	قدوم فروة بن مسيك المرادي	١٨٣	كتاب مسليمة إلى رسول الله
١٧٠	قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس		والجواب عنه
	من بني زبيد		حجة الوداع
١٧١	ارتداد عمرو بعد موت الرسول		تجهز الرسول
١٧٢	قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة		استعماله على المدينة أبا دجاجة
١٧٣	قدوم صرد بن عبد الله الأزدي مسلما		حكم الحائض في الحج
	قتاله أهل جرش	١٨٤	موفات على - في قفوله من اليمن
	إخبار الرسول بما حدث		رسول الله في الحج
١٧٤	إسلام أهل جرش	١٨٥	خطبة الوداع

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٢٠٦ بعث عمرو بن أمية الضمري لقتال		١٨٧ تعاليم الرسول عليه السلام للحاج	
أبي سفيان بن حرب وما صنع		بعث أسامة بن زيد إلى أرض	
في طريقه		فلسطين	
٢٠٨ سرية زيد بن حارثة إلى مدين		بعث رسول الله إلى الملوك	
سرية سالم بن عمير لقتل أبي علفك		١٨٨ أسماء الرسل والمرسل إليهم	
٢٠٩ غزوة عمير بن عدى الخطمي لقتل		أسماء رسل عيسى	
عصماء بنت مروان		١٨٩ ذكر جملة الغزوات	
٢١٠ أسر ثمامة بن أثال الحنفي وإسلامه		ذكر جملة السرايا والبعوث	
٢١١ سرية علقمة بن مجزز		١٩٠ غزوة غالب بن عبد الله الليثي إلى الملوح	
سرية كرز بن جابر لقتل البجليين		١٩١ غزوة زيد بن حارثة جذام	
٢١٢ غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن		١٩٥ غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة	
بعث أسامة بن زيد إلى أرض		١٩٦ غزوة عبد الله بن رواحة لقتل	
فلسطين وهو آخر البعث		اليسير بن رزام	
ابتداء شكوى رسول الله صلى الله		غزوة عتيك خير	
عليه وسلم		غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد	
٢١٣ استئذانه نساءه في تمريره في		ابن سفيان بن نبيح الهذلي	
بيت عائشة		١٩٨ بعض غزوات آخر	
ذكر أزواجه عليه السلام		غزوة عينة بن حصن بن تميم	
٢١٤ خديجة - عائشة - سودة - زينب		١٩٩ غزوة عمرو بن العاصي ذات السلاسل	
بنت جحش		٢٠١ غزوة ابن أبي جدر بدطن لضم	
٢١٥ أم سلمة - حفصة - أم حبيبة -		وقتل عامر بن الأصبط الأشجعي	
جويرية بنت الحارث		٢٠٣ غزوة ابن أبي جدر لقتل رفاعة	
٢١٦ صفية بنت حيي - ميمونة بنت		ابن قيس الجشمي	
الحارث - زينب بنت خزيمة		٢٠٤ غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى	
٢١٧ القرشيات منهن - العرييات وغيرهن		دومة الجندل	
٢١٨ تمرير رسول الله في بيت عائشة		٢٠٥ غزوة أبي عبيدة بن الجراح سيف	
اشتداد المرض		البحر	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٢٨	خطبة أبي بكر بعد البيعة	٢١٨	خطبة للنبي وتفضيله أبا بكر
٢٢٩	جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه	٢٢٩	أمره بإنفاذ بعث أسامة وصايته بالانصار
	من تولى غسله	٢٢٠	اللدود
	كيفية غسله		دعاؤه لأسامة بالإشارة
	تكفينه	٢٢١	أبو بكر يصلى بالناس
	القبر	٢٢٢	اليوم الذى قبض فيه الرسول
٢٣٠	الصلاة عليه ودفنه	٢٢٣	شأن علي والعباس قبل وفاته
	من تولى دفنه		سواك الرسول قبل وفاته
	أحدث الناس عهدا به	٢٢٤	مقالة عمر بعد وفاته
٢٣١	خمصة الرسول السوداء		شأن أبي بكر بعد وفاته
	افتتان المسلمين بعد موته	٢٢٥	أمر سقيفة بنى ساعدة
٢٣٢	حسان بن ثابت يرثى الرسول		عمر يذكر البيعة لأبي بكر
٢٣٧	خاتمة	٢٢٨	خطبة عمر بعد البيعة لأبي بكر

SERAGELDIN



IS00082